



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
بُؤَيْيْفِ الْقِزْصَاوِيِّ

المجلد السابع والثمانون





حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

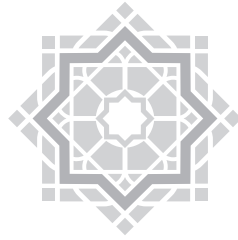
الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م



للطباعة والنشر والتوزيع

مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
بُيُوتِ الْقُرْضَاوِيِّ



الْجُورُ الْخَادِي عَشْر

خُطَبُ الْجَمْعَةِ

- ١٧٢ خطب الشيخ القرضاوي ٩
١٧٣ خطب الشيخ القرضاوي ١٠





مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
بُيُوتِ الْقُرْطُبِي



المحور الحادي عشر

خطب الجمعة



خطب الشيخ القرضاوي

٩

إعداد
المكتب العلمي للشيخ

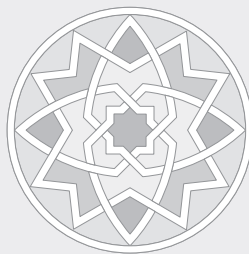


من الدستور الإلهي للبشرية

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿[البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

﴿وَأَنْفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِكَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿[المنافقون: ١٠، ١١].



غير مرخصة للطباعة

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي بَرزَةَ الأسلميِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن عمره فيما أفناه؟ وعن علمه فيمَ فعل؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كلُّ ذنبٍ عسى الله أن يغفره، إلَّا من مات مشركًا، أو مؤمنٌ قتل مؤمنًا متعمدًا». رواه أبو داود وابن حبان.



نسخة مجانية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، وكما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه.
وأزكى صلواته وتسليماته على رحمته المهداة، ونعمته المسداة، سيّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبينا محمّداً، وعلى آله وصحبه، ومن اتّبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

(أمّا بعد)

فهذا هو الجزء التاسع من خطبي، قام بتفريغه كالعادة: الأخ الحبيب الدكتور خالد السّعد، حفظه الله وجزاه عني خيراً، الذي سنّ هذه السّنة في نقل كلامي من الأشرطة إلى الورق؛ ليصبح مكتوباً بعد أن كان مسموعاً. وقد خرّج أحاديثه تخريجاً أولياً، وعلّق على بعض الأشياء تعليقاً أولياً أيضاً. ولكنّي قد التزمتُ منذ سنين منهجاً في التخريج يعتمد على المصادر الأولى والأعلى ما أمكن ذلك، ولا نكتفي بكتب التجميع التي صنّفها المتأخرون، ولذلك عمد الإخوة في مكتبي العلمي على إعادة التخريج على هذا المنهج، وعلّقوا بعض التعليقات على بعض الأقوال، كما وضعوا بعض العناوين الجانبية.

ثم جاء الأخ الحبيب العالم الباحث الداعية الشيخ مجد مكي بعد أن التحق بمركز القرضاوي للوسطية الإسلامية والتجديد، وقام بمراجعة الكتاب، وعلّق على حواشيه بتعليقات ضافية، وأكمل العناوين الجانبية؛ حتى تُعين القارئ على حسن فهمه.

ثم أُعطيَ الكتاب بعد هذا الجهد المبارك من الجميع، فأعملتُ فيه قلمي، في تغيير بعض العبارات التي اقتضاها الارتجال، لتكون لائقة بكلام يُقرأ، لا بكلام يُسمع، وأضفتُ بعض عباراتٍ أو جُمَلٍ اقتضاها المقام، وعلّقتُ أحياناً بعض تعليقات رأيّها ضرورية، فأصبحت تعليقات هذا الكتاب مشتركة بين الدكتور خالد ومكتبي والشيخ مجد والفقير إليه تعالى.

أسأل الله جلّ ثناؤه وتباركت أسماؤه أن ينفع به كلّ مَنْ أسهم فيه بجهد حتّى خرج للنّاس، وأن يثيب قارئه وناشره، وكلّ مَنْ اجتهد في تعميم النفع به.

وختاماً أقول ما قال سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

الفقير إلى عفو ربّه

يوسف القرضاوي

الدوحة: ربيع الآخر ١٤٣١هـ

الموافق مارس ٢٠١٠م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداه.

(وبعد)

فهذا هو الجزء التاسع من «خطب الشيخ القرضاوي» حفظه الله ورعاه، أقدمه للقراء الكرام لا سيّما خطباء الجوامع، الذين يحرصون على اقتناء هذه الخطب والاستفادة منها، ولا زال عدد منهم يستنجزونني ما وعدتُ به من أجزاء، ويرجون منّي كلّما صدر جزء منها أن أُسرّع في استكمال هذه السلسلة المباركة، ونشر ما تبقى لديّ من خطب للشيخ الإمام أيّده الله ومدّ في عمره.

والمشكلة التي نعانيها جميعًا هي أنّ الواجبات أكثر من الأوقات، فليس لنا إلّا أن نضرع إلى الله تعالى أن يُبارك في أوقاتنا، ويوفّقنا في أعمالنا، ويُعيننا على صفاء نيّاتنا، إنّه سميع مجيب.

دكتور خالد السّعد



أباطيل حول الاحتفال بالمولد النبوي أنحتفل بميلاد الرسول أم بميلاد الرسالة؟

الخطبة الأولى

أما بعد، فيا أيها الإخوة المسلمون:

حُبُّ الْمُسْلِمِينَ لِلنَّبِيِّ وَحَقِيقَتُهُ:

المسلمون جميعًا يحبُّون رسول الله ﷺ، ولا يتمُّ إيمانُ المسلم إلا بحُبِّ الله ورسوله، كما قال ﷺ: «لا يؤمن عبدٌ حتَّى أكون أحبَّ إليه من أهله وماله والنَّاس أجمعين»^(١)، وقال ﷺ: «ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النَّار»^(٢).

حُبُّ رسول الله ﷺ جزء من الإيمان، ولكنَّ المهمَّ أن يُترجم هذا الحبُّ إلى عملٍ واتباع، كما يُترجم حُبُّ الله تعالى كذلك: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤)، كلاهما في الإيمان، عن أنس بن مالك.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣)، كلاهما في الإيمان، عن أنس بن مالك.

كثير من المسلمين يظنون أنهم يحبون رسول الله ﷺ بمجرد أن يحتفلوا بالمولد ويتحدثوا فيه وأفواههم لا تزال رطبة برائحة الخمر، والعياذُ بالله.

حُبُّ رسول الله ﷺ لا بدَّ أن يتمثّل في اتّباعه، في العمل بسُنّته، في نُصرة دينه، في التمكين لكلمته في الأرض، هذا هو الحبُّ الحقيقيُّ لرسول الله ﷺ.

وهذا ما كان عليه أصحابه رضوان الله تعالى عليهم، لقد ترجموا حبّه إلى عملٍ بدينه، واتّباعٍ لكتاب الله تعالى وسُنّة رسوله ﷺ.

كان هذا الحبُّ عملاً وجهاداً وبذلاً في سبيل الله للأَنْفُس والأموال، ما ضُنُّوا بنفس، ولا بخلوا بمال، بعد أن اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنّة، وتمّت الصفقة، فبذلوا المبيع ليتسلّموا الثمن، والثمن جنّة عرضها السّماوات والأرض.

بدعة الموالد ونشأتها:

ثمَّ جاء عهدٌ على المسلمين ابتدعوا ما لم يأذن به الله؛ ابتدعوا فكرة الموالد، وهذه جاءت بعد أربعة قرون لم يحدث فيها شيء من ذلك؛ فكان هؤلاء الذين يُسمّون: «الفاطميّين»، وما هم من نسب فاطمة في قليل ولا كثير، أنّهم العبيديّون كما يعرف ذلك المؤرّخون، ليسوا من نسب فاطمة في شيء، ولكنَّ هؤلاء كانت لهم أهداف دينيّة وسياسيّة.

هم من غلاة الشيعة، من الإسماعيليّة الباطنيّة، الذين استولوا على المغرب، ثمَّ استولوا على مصر، وبنوا الجامع الأزهر؛ ليكون مركزاً للدعوة الإسماعيليّة الباطنيّة.

ولكنَّ الله خَيَّبَ مكرهم، وأصبح الأزهر بعد صلاح الدين الأيوبي مركزًا للدعوة إلى السُّنة والجماعة.

هؤلاء ابتدعوا للنَّاس أمورًا تشغلهم، فكان منها الموالد، على طريقة السَّاسة الطغاة المُحنَّكين، إذا أرادوا أن يُدبِّروا أمرًا، ويمكروا مكرًا: اخترعوا للشعوب مهرجانات وأعيادًا لا تنتهي؛ فهم يخرجون من عيد إلى عيد، ومن مهرجان إلى مهرجان؛ حتَّى يتلهَّى النَّاس بذلك ويستغرقوا فيه. وهكذا فعل هؤلاء: مولد النَّبيِّ، ومولد الحسين، ومولد السَّيدة، ومولد الوليِّ الفلاني.

وهكذا شغل النَّاس بهذه الأشياء عن تتبُّع القضايا العامَّة، وما يجري في السياسة، وكيف تُدار الأمور هؤلاء شغلوا النَّاس بهذه الموالد، وما كانت هذه الموالد عند المسلمين، ولم يعرفوها من قبل.

هكذا اخترعوا الموالد، وتوارثها المسلمون بعد ذلك.

وما زلنا نذكر ونحن صغار: كيف كنَّا نفرح بهذه المناسبة التي تُذبح فيها الذبائح، ويكثر فيها الطعام والشراب، ويأكل النَّاس ما لذَّ وطاب، وتوزَّع علينا الحلوى والمشروبات في المساجد، وتُقصُّ علينا قصَّة المولد، ومعظمها خرافات ما أنزل الله فيها من سلطان.

هكذا كنَّا نفرح.

ولكنَّ الأمور يجب أن تُردَّ إلى نصابها، يجب أن تُوزن الأمور بميزان القرآن والسُّنة، هل وَرَدَ شيء من الشعائر أو التَّعبُّدات يتعلَّق بشهر ربيع الأوَّل؟ لا والله.

أحداث وذكريات في شهر ربيع الأول:

شهر ربيع الأول وُلد فيه رسول الله ﷺ، وإن كان اليوم الذي وُلد فيه لم يُعرف ولم يُحدّد، فقد اختلفوا فيه على روايات شتى، وإن اشتهر بين الناس أنّه الثاني عشر من ربيع الأول، ولكن لا يوجد على ذلك دليل صحيح^(١).

النبي وُلد في ربيع الأول، كما أنّه تُوفي ﷺ في ربيع الأول، كما أنّه هاجر من مكّة إلى المدينة في ربيع الأول، لم تكن الهجرة في المحرم - كما يتوهم الكثيرون - الهجرة في ربيع الأول، ولكن حينما أراد عمر رضي الله عنه أن يجعل للمسلمين تاريخاً، كما أنّ للأمم المتحضّرة تاريخاً، فكّر هو والصّحابة: ماذا يجعلون للمسلمين من التاريخ؟ بأيّ حادثة يبدوون؟

لم يبدووا بميلاد النبي ﷺ كما فعل النّصارى، وبدؤوا تاريخهم بميلاد المسيح؛ وذلك لأنّ ميلاد المسيح كان معجزة أو إرهاباً بمعجزة نبيّ، نبيّ وُلد من غير أب، ولهذا اتّهمت أمّه، فأنطقه الله في المهد صبيّاً ليبرئها: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ؕ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ؕ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾ [مريم: ٢٩ - ٣١].

فكان هذا الميلاد آية خارقة، فلا عجب أن يبتدئوا به تاريخهم.

ولكنّ ميلاد نبيّنا ﷺ لم يكن كذلك، وإن رُويت فيه روايات من نحو ما ذكره ابن حجر: لما كانت ليلة ولد رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى وسقط منه أربع عشرة شرفة، وغاضت بحيرة ساوة، وفاض وادي السماء،

(١) راجع: نتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الإسلام وفي تحقيق مولد النبي وعمره ﷺ للعلامة محمود باشا الفلكي.

وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام^(١). وهذه كلها لم تصح بها الأحاديث^(٢).

اختيار الهجرة للتاريخ:

إنَّما أراد عمر أن يكون للمسلمين شيء يبدأ به التاريخ، فكانت الهجرة؛ لأنها بداية إقامة المجتمع الإسلامي، بداية تكوين الدولة المسلمة التي تُنفَّذ فيها أحكام الإسلام: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١].

الميلاد في ربيع الأوَّل، والوفاة في ربيع الأوَّل، ولكن لم يتعلّق بذلك حكم شرعي.

هناك خمسة أشهر ليس فيها أيُّ عبادة مُعيَّنة، ولا أيُّ شعيرة مُحدَّدة: صفر، وربع الأوَّل، وربع الآخر، وجمادى الأولى، وجمادى الآخرة.

(١) انظر: الإصابة (٤١١/٦)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.

(٢) قال العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة: فهذا الحديث ليس بصحيح، ولا يجوز قوله ولا إنشاده، ويزيده منعاً أنّه يتعلّق بشأن من شؤون النَّبي ﷺ، وبأمور خارقة للعادة. ولا يغرنك ذكر بعض العلماء له في كتب السيرة أو التاريخ، مثل ابن جرير الطبري في تاريخه (١٣١/٢، ١٣٢)، وأبي نعيم الأصفهاني في دلائل النبوة ص ٩٦ - ٩٩، فإنّ هؤلاء المؤلفين وأمثالهم رحمهم الله تعالى يذكرون في كتبهم هذه: كلّ ما ورد في الباب مما صحّ ومما لم يصحّ؛ لتسجيله ومعرفته، وتمحيصه وغربلته، لا لصدقه وصحته اهـ. انظر تعليق الشيخ أبي غدة على المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص ١٨، ١٩، نشر دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ٥، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

هذا وقد سجّل البوصيري في برده الشهيرة، هذه الأساطير في حديثه عن المولد النَّبوي، وقلّده أمير الشعراء أحمد شوقي في نهج البردة، فأورد نفس الأساطير، ممّا أشاع هذه الأباطيل بين الناس.

كلُّ هذه الأشهر لا يتعلّق بها عبادة خاصّة.
أمّا الأشهر الأخرى فلها مزايا معيّنة: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦]،
هي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب.

ومنها شعبان، ورمضان، وشوّال، وهو من أشهر الحجّ.
فالأشهر الخمسة ليس فيها عبادة، ولذلك مَنْ يسأل: هل يُطلب في
يوم المولد صيام نهاره، أو قيام ليله، أو نحو ذلك؟
كلُّها أسئلة غلط، لا يوجد أيُّ عبادة متعلّقة بشهر ربيع الأوّل كلّهُ.

الامتنان بالبعثة وليس بالمولد:

والقرآن حينما امتنَّ على المسلمين برسوله ﷺ لم يمتن عليهم
بمولده، إنّما امتنَّ عليهم ببعثته.. برسالته، كما قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي
بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ
فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وكان هذا استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام، حينما دعا ربّه، فقال: ﴿رَبَّنَا
وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

ضلال العرب قبل البعثة وهداية النبي لهم:

فبعث الله إليهم رسولاً منهم، من أنفسهم، من أشرفهم حسَباً،
وأوسطهم نسباً، يعرفونه ويعرفون مدخله ومخرجه، وسيرته ونشأته.

فما عرفوا فيه إلا الصدق، وإلا الأمانة، وإلا الخلق الكريم، في حياته كلها.

هداهم الله برسوله ﷺ من الجهالة الجَهلاء، ومن الضلالة العمياء، وأيُّ ضلال أبين ممَّا كان فيه أهل الجاهليَّة، لذلك كان عمر رضي الله عنه يقول: إِنَّمَا تُنْقَضُ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةُ عُروَةٍ، إِذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْجَاهِلِيَّةَ^(١)؛ لَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ: مَاذَا قَدَّمَ الْإِسْلَامُ؟ وَمَاذَا قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ وَمَاذَا صَنَعَ بِالنَّاسِ؟ وَأَيُّ ضَلَالٍ أَزَالَهُ؟ وَأَيُّ فسادٍ نَقَلَ النَّاسَ مِنْهُ إِلَى الصَّلاحِ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ؟

الجاهليَّة أفسدت عقول الإنسان وتفكيره:

لا بدَّ أن تُعرف الجاهليَّة، الجاهليَّة التي فسدت فيها عقل الإنسان، وفسدت فيها قلبه.

فسدت فيها عقل الإنسان إلى حدٍّ أن يعبد حجارة ينحتها يديه: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: ٩٥]، يصنع الإنسان الصنم ثمَّ يسجد له، ويسأله أن يكشف عنه الضرَّ، ويفرِّج عنه الكرب، وينصره على عدوِّه. وهو منحوت بيديه!

هكذا كانوا يصنعون.

بل روى البخاريُّ عن أبي رجاء العطارديِّ قال: كنَّا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً هو أخير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه، ثم طفنا به^(٢).

(١) منهاج السُّنة النبويَّة لابن تيمية (٥٩٠/٤)، تحقيق محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢) رواه البخاري في المغازي (٤٣٧٦).

وضع على التراب شيئاً من الحليب؛ حتّى يصبح كالطين أو الصلصال، ثمّ يشكّلونه فيصبح إلهاً.
أيّ ضلالٍ أبين من هذا الضلال؟!!

بل كان بعض العرب يعبدون أصناماً يُشكّلونها من التمر، من العجوى، فإذا وقع عليها الذباب لم تستطع أن تردّ الذباب عن نفسها، كما قال الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

بل كان أحدهم يصطحب إلهه هذا في سفره، يتبرّك به؛ ليدفع عنه الشّوء، ويدفع عنه الأذى، ولكنه إذا فني زاده ونفد طعامه وشرابه، فماذا يصنع؟

إنّه لا يجد أمامه إلّا هذا الإله يستدير إليه، فيفطر بثلثه، ويتغذى بثلثه، ويتعشى بالباقي!

أيّ ضلالٍ أبين من هذا الضلال؟!!

أفسدت الجاهليّة عقل الإنسان إلى هذا الحدّ.

الوثنيّة تجني على البشريّة، وكم نرى في عصرنا أناساً إلى اليوم يعبدون الأحجار، أو يعبدون الأشجار، أو يعبدون الأبقار.

هكذا رأيناهم بأعيننا، في عصرنا هذا، ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين، في عصر الكمبيوتر، وغزو الفضاء، وثورة الاتّصالات، وثورة المعلومات.

الجاهليّة أفسدت عقل الإنسان وعاطفته:

الجاهليّة أفسدت عقل الإنسان، كما أفسدت قلبه وعاطفته، حتّى إنّه ليئد أولاده من إملاق، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١]، أو خشية إملاق: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، وبخاصّة البنات: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِيتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩]، كانوا يعتبرون ولادة البنت مصيبة أو جريمة يُتوارى منها، كما صرّح القرآن: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩]، يسير في الأزقة والمنعطفات بعيداً عن الطرقات العامّة حتّى لا يلقاه أحد، ﴿أَيْمُسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٩]، أيرضي بالواقع ويقبل الذلّ؟ أم يتخلّص من هذه البلوى ويدشّ هذا المولود في التراب؟

جريمة أيّ جريمة، لم يكن القتل بالسيف فيريحها، ولكنه الوأد، الوأد: أن يحفر لها حفرة، ثمّ يدفنها فيها حيّة، ويُهيل عليها التراب، بيديه يفعل هذا.

الجاهليّة عمّت العالم كلّهُ:

أفسدت الجاهليّة عقل الإنسان وأفسدت قلبه، ولم تكن هذه الجاهليّة في بلاد العرب وحدها، فربّما كانت بلاد العرب خيرًا من بلاد أخرى؛ كلّ العالم كان في جاهليّة.

الجاهليّة في الحضارة الهنديّة:

بلاد الهند كان فيها في القرن السادس الميلادي ثلاثمائة وثلاثون

مليون إله، صنم! هكذا ذكر المؤرخون^(١)؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ نافع أو جميل أصبح إلهاً عندهم، في البيت الواحد عدَّة آلهة، في الشوارع، في الطرقات، كلُّ ما يُصوَّر ويُشكَّل جعلوه آلهة، بل قُوَى الطبيعة المختلفة من أنهار وأشجار ونباتات وحيوانات جعلوها آلهة.

ثمَّ من الناحية الاجتماعية قسّموا النَّاس إلى طبقات أربع: هؤلاء خلّقوا من فم الإله، وهؤلاء خلّقوا من ذراعيه، وآخرون خلّقوا من ركبتيه، وآخرون خلّقوا من قدميه! وهؤلاء هم المنبوذون الأنجاس الذين يحرمُ مشهم.

وهذه الطبقات لا تتغيّر، ولا يستطيع الإنسان أن ينتقل من طبقة إلى طبقة مهما بلغ من العلم والعمل والخلُق. كان ذلك في الهند.

الجاهليّة في الحضارة الفارسيّة:

وكان هناك في فارس: إله الخير وإله الشرّ، إله النور وإله الظلمة، وكان إله الشرّ يتمثّل في النَّار التي تُعبد هناك، ويُرْمى لها بالوقود باستمرار، وكان هناك الطبقات - أيضاً - المتنازعة والمتنافسة، وكان كسرى هذا من سُلالة الآلهة لا يستطيع أحد أن يرقى إليه.

كان العالم كلّهُ في فساد وضلال حينما بُعث محمّد ﷺ، وأرسله ربُّه رحمة للعالمين.

(١) انظر: ما كتبه السيد أبو الحسن النّدوي عن الوثنية المتطرّفة في الهند، خلال القرن السادس الميلادي، في كتابه القيم: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ ص ٤٧، ٤٨، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

لهذا كان الامتنان بالبعثة، ولم يكن الامتنان بالميلاد.

البعثة هي النعمة العظيمة، التي ينبغي أن تذكر فتشكر: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

مقابل هذه النعمة ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٢].

بعثة النبي ﷺ أعظم نعمة:

أعظم نعمة من الله بها علينا هي بعثة محمد ﷺ، أرسله ربُّه بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، أرسله بالقرآن ليكون للعالمين نذيرًا، أرسله رحمةً للعالمين، وحُجَّةً على الخلق أجمعين: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، إنها نعمة عظيمة علينا نحن المسلمين.

فعلينا إذا أردنا أن نحتفل: أن نحتفل بميلاد الرسالة، لا بميلاد الرسول، أن يكون حديثنا عن الرسالة، عن البعثة، عمّا صنعه محمد ﷺ. هذا هو الشيء الذي ينبغي أن نهتمَّ به، وأن تدور أحاديثنا حوله.

لا مانع إذا جاءت مثل هذه الذكريات أن نذكر الناس برسول الله ﷺ، أي: برسالته، بأخلاقه، بسيرته، ولكن لا نجعل الناس يعيشون في الأوهام والخرافات والقصص، ولا نخترع أحفالا، ونحو ذلك.

إنَّ الله أكرمنا بمحمد ﷺ، ولا يمكن أن نصل إلى الله وإلى رضوانه

إِلَّا إِذَا مَشِينَا خَلْفَهُ، كَمَا قَالَ الْجُنَيْدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الطَّرْقُ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ إِلَّا مَنْ سَارَ خَلْفَ مُحَمَّدٍ ﷺ (١).

الرسول هو الأسوة المثلَى لكل المؤمنين:

لقد جعل الله في رسوله الأسوة المثلَى العامة لجميع المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، هو الأسوة العُلَيَا، هو القدوة المثلَى في حياته كُلِّهَا.

يستطيع كل إنسان أن يجد في سيرة رسول الله ﷺ ما يتَّخذ منه نبراسًا ونورًا، لا يوجد من الأنبياء من حفلت حياته بمثل هذا.

بعض الأنبياء يمكن أن يُقتدى به في جانب من الجوانب.

سليمان عليه السلام يُمكن أن يُقتدى به الحاكم، أو يقتدي به الرجلُ الغنيُّ.

داود عليه السلام يُمكن أن يُقتدى به - أيضًا - الإنسان الذي مَلَكَ، ولكنَّ المُلْكَ لم يجعله يطغى أو يتجبر، بل ظلَّ يعمل بيده، ويأكل من صناعة الدروع، كما في الحديث: «وإنَّ نبيَّ الله داود كان يأكل من عمل يده» (٢).

المسيح عليه السلام يُمكن أن يُقتدى به الرجلُ الزاهد أو الفقير، ولكن إذا أردت أن تقتدي بالمسيح عليه السلام وأنت غنيٌّ، فكيف تُقلِّد المسيح وتهدي به وتشبهه، وهو لم يملك مالا؟ كيف يستطيع الزوج أن يقتدي بالمسيح في حياته الزوجية، وهو لم يتزوَّج؟ كيف يستطيع الأب أن يقتدي به، وهو بالطَّبع لم يولد له؟ كيف يستطيع الحاكم أن يقتدي به، وهو لم يحكم؟ كيف يستطيع المُسالِم والمُحَارِب أن يقتديا به في سلمه وحر به، وهو لم يُسالِم، ولم يُحارب؟

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٥٧/١٠)، نشر دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٢) رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٢)، عن المقدم بن معديكرب.

إنَّما الَّذي سالم وحارب، وعاش فترةً محكومًا وفترةً حاكمًا، وعاش في الفقر وعاش في الغنى، وعاش في الضيق وعاش في السَّعة، وتزوَّج امرأةً وعاش معها، وتزوَّج عدَّة نساء، ومن زوجاته الصغيرة ومنهنَّ الكبيرة، ومنهنَّ البكر ومنهنَّ الثَّيب، وكان له أولاد، وكان له أحفاد، منهم مَنْ عاش، ومنهم مَنْ مات في حياته، إنَّما هو محمَّد ﷺ، الأسوة العامَّة لكلِّ المؤمنين.

كلُّ إنسان في هذه الحياة الحافلة يجد في سيرة رسول الله ﷺ ما يتَّخذ منه الهداية والعبرة، والأسوة والقُدوة، ولهذا قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، لكم كلُّكم جميعًا.

علينا أن نتمثَّل رسول الله ﷺ إن كنَّا نُحبُّه حقًّا، ونُعَيشه، ونفقه سيرته، ونحاول أن نقبَس من هُدايه، ونأخذ من سنَّاه، سنجد فيها النُّور، سنجد فيها مكارم الأخلاق التي تَمِّمها، كما قال ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١).

صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ وَسَلِّمْ يَا رَسُولَ اللهِ، وجعلنا الله من أتباعك الصادقين. اللهمَّ آمين.

أقول قولي هذا أيُّها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقال مخرَّجوه: صحيح. والبخاري في الأدب المفرد في حسن الخلق (٢٧٣)، والحاكم في تواريخ المتقدمين (٦١٣/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.

الخطبة الثانية

أما بعد، فيا أيُّها الإخوة:

وجوب تبليغ الرسالة إلى العالم:

بعثة مُحَمَّد ﷺ رحمةً ونعمةً وهدايةً، فعلينا أن نستفيد منها بالاتباع والعمل وحُسن الفهم والإيمان والجهاد من أجل هذا الدين العظيم.

وعلينا بعد ذلك أن نُبلِّغ هذه الرِّسالة إلى العالم، لا يجوز أن نكون أنانيّين، ونحتكر هذا النُّور لأنفسنا.

إنَّ رسالة مُحَمَّد ﷺ رسالة عالميّة، هكذا أكَّد القرآن في عشرات الآيات في سورة المكيّة عالميّة هذه الدعوة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿لِيَكُونَ لِّلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤]، ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

هذه العالميّة تفرض علينا أن نبثَّ هذه الدعوة، ونمدَّ شُعاعها في الآفاق.

حرامٌ علينا - نحن المسلمين - أن تجد الأديان الباطلة مَنْ ينشرها في الشرق والغرب، والشمال والجنوب، وأن تُرصد لها مئات الملايين بل آلاف الملايين!

حتّى لنشرها بيننا، التنصير يعمل عمله لينصّرنا نحن أتباع مُحَمَّد ﷺ، ونحن أتباع الدعوة الحقّة، الدعوة الخاتمة، الرسالة العامّة الخالدة، لا نبذل جهدًا يُذكر لنشر دعوة الإسلام، والدعوة الآن مفتّحة الأبواب.

قلتُ في خطبة من الخطب هنا: إننا الآن لسنا في حاجةٍ إلى السَّيف. وقام مَنْ قام من النَّاس الذين لا يفقهون حديثًا فقالوا: يُريد أن يُبطل الجهاد! أيُّ جهاد وليس معنا سيفٌ ولا قبلة ذرِّيَّة؟ وكيف نجاهد بالسَّيف ونحن لم نجاهد باللسان والبيان والقلم^(١)؟!

الإنجيل تُرجم إلى مئات وآلاف من اللغات واللهجات المحليَّة في العالم، ونحن لم نستطع أن نترجم القرآن إلى اللُّغات الحيَّة ترجمات نطمئنُ إليها.

الإذاعات الآن مُوجَّهة يمكن أن تخاطب العالم في كلِّ مكان، ما أكثر ما نسمع صوت الإنجيل من كذا، ومن كذا، فأين صوتُ القرآن؟ أين صوتُ الإسلام بلغات العالم؟ أين نحن من هذا؟

هل بلَّغنا دعوة الإسلام تبليغًا صادقًا؟

إنَّ الله سائلنا عن ضلال هذه الأمم؛ هذه الأمم لم تبلغها دعوة الإسلام بلوغًا حقًّا يحملها على التفكير فيها والنَّظر فيها، إنَّما بلغتْها بلوغًا مُشوَّهاً، بلوغًا قاصرًا، وتوارثوا عن الإسلام من عهد الحروب الصليبيَّة أقاصيص وأباطيل، ما أنزل الله بها من سلطان، تُصوِّر محمَّدًا ﷺ بأنَّه رجل كذاب مفترٍ، قام والسَّيف في يمينه يضرب به من ناحية، ويده الأخرى تأخذ النِّساء إليه، إلى آخر ما قالوا من تزويرات وأكاذيب.

نحن في حاجة إلى أن نُزيل آثار هذا العدوان وهذا الافتراء، وأن نقدِّم لهم صورة صحيحة عن الإسلام.

أين ما صنعنا من هذا؟ أين ما رصدنا من هذا؟ أين الدُّعاة القادرون

(١) انظر كتابنا: فقه الجهاد (١/١٥٥) وما بعدها، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٤، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

على التحدّث بلغات مختلفة، يستطيعون فيها أن يُبينوا عن الإسلام، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، فإذا كان لساننا عربيًّا نتكلّم بالعربيّة، ولكن كيف نُبين لغير العرب، لأجناس العالم؟

لا بدّ أن نفهم لغتهم، بل لا بدّ أن نعرف كيف نصل إلى عقولهم وقلوبهم، كما يفعلون هم بنا.

إنّ المُبشّرين إذا ذهبوا إلى منطقة من المناطق أو إقليمٍ من الأقاليم، درسوا كلّ ما فيه: القبائل التي تسكنه، وما بينها من صلات، أو ثارات قديمة، وما بينها من مخالفات أو موافقات، عقائدها، المذهب الفقهيّ الذي يسود بينها، الطّريقة الصّوفيّة التي تنتشر بينها، الأفكار التي تشيع عندها، الأمثال التي يضربونها، العادات المُتمكّنة، اللهجات.

هكذا يفعلون، فماذا فعلنا نحن أمّة الرسالة العامّة الخالدة الرّحمة للعالمين؟

إنّ الله سألنا عن هذا.

دلائل صدق النّبي ﷺ كثيرة:

والله إنّ صدق الإسلام لا ريب فيه، الدلائل على صدق الإسلام أكثر من أن تُحصّر، ولو أردنا أن نتحدّث عن هذا لطال بنا الحديث، وقد حدّثكم في عدّة خطب عن صدق محمّد ﷺ، وصحّة نبوّته ورسالته، وقد قال أحد الكتاب الغربيّين بالمنطق العقلي الفطري: ماذا تطلب ممّن يدّعي لك أنّه بناء أكثر من أن يبني لك صرحًا، من المتانة بحيث يبقى مئات السنين، ومن السّعة بحيث يسع مئات الملايين؟ كذلك ماذا تطلب ممّن جاء بدين هدى الله به مئات الملايين، وعاش أكثر من ألف سنة إلى اليوم؟

هكذا قال المفكر البريطاني الشهير توماس كارلايل وغيره، قال: ألا فليعلم الناس أن مثل الباطل كمثّل أوراق البنكنوت الزائف، يمرّ من يد إلى يد، ثم لا يلبث أن يُضبط ويُعرف أنّه زائف، فلا يرفع به أحد رأسًا. أمّا الإسلام فهو دينٌ باقٍ، وأهله أشدُّ الناس حماسًا له، من أيّ أمة لدينها في الأرض.

هكذا قال هذا الكاتب.

نحن أصحاب الدين الحقّ، والدلائل على صدق رسولنا، وصحة ديننا أكثر من أن تُحصّر، وأشهر من أن تُذكر، ولكنّا نحن المقصّرون. الأديان الأخرى - حتّى الأديان الوثنيّة الآن - انتقل بها أصحابها إلى أمريكا، فأين نحن؟

التنصير في ديار المسلمين:

نحن - للأسف - نُغزى في عُقر دارنا، حتّى إنّ من المسلمين من يُنصّرون.

في خارج المنطقة العربيّة يُنصّر المسلمون، وينتقل الشخص من اسم إسلاميّ إلى اسم غير إسلاميّ.

ولكن في المنطقة العربيّة اكتفى المُبشّرون منذ عهد «زويمر»^(١) أن يُخرجوا المسلم من الإسلام، ويُشكّكه فيه، وإن لم يدخل في دين آخر؛

(١) هو رئيس إرساليّة التبشير في البحرين في بدايات القرن العشرين الميلادي، من أشهر أقواله: تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم، ومن بين صفوفهم؛ لأنّ الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها. انظر: الغارة على العالم الإسلامي ص ٨٠، نشر منشورات العصر الحديث، ١٣٨٧هـ.



بحسبه أن يعيش متأرجح الحقيقة، شاكًا مُضطربًا، لا هو بمسلم ولا هو
بغير مسلم.

ما أحوجنا إلى أن نبذل لديننا، كما يبذل الآخرون لدينهم.
لا يجوز أن يعمل الناس للباطل، وأصحاب الحق لا يعملون له.
نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل.





عناصر الخلود في هذه الأمة^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

المرض يصيب الأمم كما يصيب الأفراد:

تمرُّ بالأفراد حالات يضعف فيها المرء، أو يمرض، أو يصيبه الهوان، ولكن ليس معنى مرض الفرد أَنَّهُ مَيِّتٌ، وليس معنى ضعف الفرد أَنَّهُ هَالِكٌ. وكذا الأمم تُصيبها حالات من الضعف، وحالات من الهوان، تفقد فيها القوَّة، وتفقد فيها العزَّة، ولكن لا يعني هذا أَنَّ الأُمَّة قد ماتت، أو أَنَّها ستموت لا محالة.

وهكذا مرَّت على أُمَّتنا فترات وفترات، حتَّى وصلنا إلى الفترة الَّتِي انتهينا إليها في عصرنا هذا.

كُنَّا فِي الْقَمَّةِ فَأَصْبَحْنَا فِي السَّفْحِ، كُنَّا فِي الْمَقَدِّمَةِ فَصَرْنَا فِي الْمَوْخِرَةِ، كُنَّا فِي رَأْسِ الْقَافِلَةِ فَأَصْبَحْنَا فِي ذَيْلِهَا، كُنَّا أُمَّةً قَائِدَةً فَأَصْبَحْنَا أُمَّةً تَابِعَةً، كُنَّا نَقُودُ فَأَصْبَحْنَا نُقَادُ، كُنَّا نَسُودُ فَأَمْسَيْنَا نُسَادُ، كُنَّا نُنْتِجُ فَبِتْنَا

(١) أُلْقِيَتْ بِتَارِيخِ ٢٧ سِبْتَمْبَرِ ٢٠٠٢م.

نستهلك، كنّا نُنشئ فأمسينا نستورد، كنّا نُرسل فأصبحنا نستقبل، كنّا نعطي فأصبحنا نأخذ.

هكذا صارت أمّتنا.

الأمة الإسلامية أمة مجد وعزّ:

لم تكن أمّتنا كذلك، أمّتنا هي الأمة التي سادت الأمم، وكانت كما قال الله: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وكانت ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] حقًا، كانت هذه الأمة تقود ولا تُقاد، وتسود ولا تُساد.

المجد السياسي لأمة الإسلام:

بلغ من مجدها السياسي أن أصبحت كلمتها العليا، وكلمتها الأولى في الأمم، وكلمة خلفائها هي السائدة المسيطرة على العالم، وكان خليفتها يتحدّى السحابة في سمائها ويقول: أيتها السحابة شرّقي أو غربي وأمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك^(١)!

هكذا بلغ مجد الأمة السياسي.

المجد العسكري لأمة الإسلام:

وبلغ مجدها العسكري أن أصبحت هي الأمة المرهوبة، تُنصر بالرب من مسيرة شهر، كما قال ﷺ^(٢).

(١) انظر: صبح الأعشى (٢٨٥/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) في الحديث: «أُعْطِيَتْ خُمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي» - وذكر منها - «وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ». متفق عليه: رواه البخاري في التيمم (٣٣٥)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٢١)، عن جابر.

لم تكن أكثر الأمم عددًا في ذلك الوقت، ولا أعظمها عُدة، ولكنها انتصرت على جيوش الدول الكبرى، انتصرت على جيوش كسرى وقیصر، كان المسلمون في اليرموك ثلاثين ألفًا، وكان الروم مائتي ألف أو ثلاثمائة ألف! هكذا قدّروا تلك الجيوش، ومع هذا انتصرت القلّة على الكثرة.

انتصرنا - نحن المسلمين - على جيوش كسرى، وعلى جيوش قَيْصَر، وانظر معارك: القادسية، واليرموك، وأجنادين، ونهاوند، وفتح دمشق، وفتح فلسطين، وفتح مصر، انظر إلى هذه الفتوح، في أقلّ من قرن من الزمن كان المسلمون يُسيطرون على مقاليد معظم الدُّنيا القديمة. كان في وقت واحد أيّام الدولة الأمويّة كان هناك عدد من القادة، كلُّ واحد في طرف من أطراف العالم: قتيبة بن مسلم الباهلي هناك على أسوار سمرقند، ومسلّم بن عبد الملك - أخو الخليفة - هناك - أيضًا - في الشرق الأقصى، ومحمّد بن القاسم بن محمّد الثقفي يفتح بلاد الهند والسند، وموسى بن نصير يفتح الأندلس، وقد انضم إليه طارق بن زياد، وعقبة بن نافع يفتح بلاد المغرب وتونس وما بعدها.

هكذا كان قادتنا، في وقت واحد يفتحون أطراف العالم.

هكذا كان مَجْدُنَا العسكري.

وقد بلغ عمر بن عبد العزيز أنّ ملك الروم استذلّ أسيرًا مسلمًا، فأرسل إليه يقول: إذا بلغك كتابي هذا فخلّ سبيله - أطلق سراحه - وإلا غزوتك بجنود أوّلها عندك وآخرها عندي^(١).

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد بن عبد الحكم ص ١٤٨، تحقيق أحمد عبيد، نشر عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

وما إن وصل الكتاب إلى ملك الروم حتّى أطلق سراح المسلم.
وكذلك فعل هارون الرشيد من بعده، وكذلك فعل المعتصم في
واقعته المعروفة حينما لُطمت امرأة مسلمة على خدّها فصاحت:
وا معتصماه. فما إن وصل الخليفة هذه المقولة حتّى جيّش الجيوش،
ولقي الروم في واقعة شهيرة في التاريخ، وانتصر لتلك المرأة^(١).
هكذا كان مجدنا العسكري.

وفي نخوة المعتصم قال الشاعر عمر أبو ريشة:
رُبَّ وَامُعْتَصِمَاهِ انْطَلَقَتْ مِلْءَ أَفْوَاهِ الصَّبَايَا الثِّمَمِ
لَامَسَتْ أَسْمَاعَهُمْ لَكْنَهَا لَمْ تَلَامِسْ نَخْوَةَ الْمُعْتَصِمِ^(٢)

المجد الاقتصادي لأمة الإسلام:

أمّا مجدنا الاقتصادي؛ ففي زمن عمر بن عبد العزيز كانوا يبحثون
عن فقير يعطونه الزكاة في بعض البلاد فلا يجدونه.

بعث والي عمر بن عبد العزيز على إفريقية يحيى بن سعيد إليه
يقول: بحثتُ عن فقير مسلم أعطيه الزكاة فلم أجده، عن فقير من أهل
الذمة فلم أجده.

فأرسل إلى الخليفة أمير المؤمنين عمر يسأله: ماذا أفعل؟

(١) فتح المسلمون (عمورية) في رمضان ٢٣٠هـ، بعد حصار دام ستة أشهر. انظر: تاريخ الطبري (٥٧/٩ - ٧١)، نشر دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ. والكامل لابن الأثير (٣٨/٦)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٤م، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٥٢/١٤)، نشر دار هجر للطباعة، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
(٢) ديوان عمر أبو ريشة (٧/١ - ١١)، قصيدة: بعد النكبة، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

فقال له: اشتر بها رقاباً فأعتقها^(١).

حرّر الإسلام الناس من الفقر، فبدأ يُحرّرهم من الرّق، الإسلام لم يصنع الرّق، إنّما وجده، وإنّما استحدث العتق^(٢)، الإسلام استحدث العتق، ولم يستحدث الرّق، ومن مصارف الزّكاة مصرف: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ [التوبة: ٦٠]، في تحرير الرّقاب من الرّق والعبوديّة.

هكذا كان مجدنا الاقتصادي، وكنا أغنى دولة في العالم.

الضعف بعد القوّة:

ثمّ دار الزمن دورته، وللتاريخ دورات ودورات، وإذا بهذه الأمّة تضعف بعد قوّة، وتذلّ بعد عزّة، وتهون بعد كرامة.

مرّت علينا فترات من التاريخ نعرفها، زحف علينا الفرنجة من الغرب، والتتار من الشرق، ولم يحدث ذلك إلّا بسبب من المسلمين أنفسهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

تمزّق المسلمون وتفرّقوا، وانحرفوا عن كتاب الله وسنة رسوله، وساء فهمهم للإسلام، وساء إيمانهم بالإسلام، وساء تطبيقهم للإسلام، فعوقبوا بتسليط تلك الأمم عليهم.

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد بن عبد الحكم ص ٦٥.

(٢) استحدث الإسلام العتق، فجعله من القربات والطاعات التي يُتقرب بها إلى الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿وَأَنَّى الْمَالُ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَمِ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ ﴿فَكَ رَقَبَةً﴾ [البلد: ١١ - ١٣].

وعن أبي هريرة، أنّ النبي ﷺ قال: «أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ». متفق عليه: رواه البخاري (٢٥١٧)، ومسلم (١٥٠٩)، كلاهما في العتق. وألزم به في كفارة القتل الخطأ، والظهار، واليمين، والجماع في نهار رمضان.

ومع هذا لم تستسلم الأمة لهذا الغزو، فسرعان ما هيا الله لها رجالاً من داخلها يقودونها بزمَام الإيمان، ويُعيدونها إلى حظيرة الدين، وينفخون فيها من رُوح الإسلام، فتجدد الأمة بعد بلى، وتقوى بعد وهن، وتعزُّ بعد ذلٍّ، وتجتمع بعد تفرُّق.

إن لم تجتمع كلُّها فعلى الأقلِّ اجتمع بعضها على أيدي هؤلاء القادة المؤمنين: عماد الدين زكي، ونور الدين محمود، وصالح الدين الأيوبي، وسيف الدين قطز، ومن بعدهم.

استطاع هؤلاء أن يقفوا في وجه الزحف الذي جاء من الغرب ومن الشرق، في ساعة غفلة من الأمة، وفي ساعة ضعف من الأمة، وساعة تفرُّق، فحقَّق الله على أيديهم الانتصارات العظيمة، واستعادت الأمة مَجدها، ودخل التتار في دين الإسلام، التتار الغالبون دخلوا في دين المغلوبين مختارين!

هكذا كانت الأمة، تضعف وتنام، ولكنها لا تموت، هذه الأمة قد تنام، وهذه الأمة قد تُنَوِّم وتُخَدِّر، ولكنها لا تموت، ولن تموت؛ لأنَّها آخر الأمم، الأمة الخالدة، الأمة الأخيرة، التي تحمل آخر رسالة من الله إلى النَّاس.

عناصر الخلود في الأمة:

لهذا أودع الله فيها عناصر الخلود، فلا يمكن أن تزول:

أَوَّلًا: حفظ القرآن والسُّنة:

أَوَّل عناصر الخلود في هذه الأمة: أن كتابها محفوظ، وسُنَّة نبيِّها محفوظة، مصادرها الأصيلة لا يمكن أن تذهب، ولا يمكن أن تُحَرَّف.

التوراة حُرِّفَتْ وَبُدِّلَ فِيهَا كَلَامُ اللَّهِ، وَهَذَا أَمْرٌ اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ الشَّرْقِ وَأَهْلُ الْغَرْبِ، حَتَّى الْغَرْبِيُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَيَّنُّوا مَا حَدَّثَ فِي التَّوْرَةِ مِنْ تَحْرِيفٍ.

لَقَدْ ذَهَبَ الْإِنْجِيلُ، فَلَمْ نَعْرِفِ الْإِنْجِيلَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى عِيسَى أَيْنَ هُوَ؟

هناك أربعة أناجيل اختيرت من نحو سبعين إنجيلًا كانت موجودة^(١)، وهذه الأناجيل كتبها رجال من حوارِيَّ عِيسَى، أَوْ مَنْ بَعْدَ الْحَوَارِيِّينَ، تَلَامِيذُ تَلَامِيذِهِ.

ولكنَّ أَيْنَ الْإِنْجِيلُ الْأَصْلِيُّ؟

لا نجده.

أَمَّا الْقُرْآنُ فَهُوَ كِتَابُ اللَّهِ الْبَاقِي، الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، تَكْفُلُ اللَّهُ بِحِفْظِهِ، وَلِذَلِكَ نَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَا كَانَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، نَقْرُؤُهُ بِغَنِّهِ وَمَدِّهِ وَحَرَكَاتِهِ وَسُكُونَاتِهِ، وَنَقْرُؤُهُ كَمَا كُتِبَ فِي عَهْدِ عِثْمَانَ إِلَى الْيَوْمِ، فِي مَصَاحِفٍ لَمْ يَجْرَوْ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ فِيهَا شَيْئًا، إِلَّا النَّقْطَ وَالشَّكْلَ.

هَذَا الْقُرْآنُ مُحْفُوظٌ، وَمَا يُبَيِّنُهُ مِنَ السُّنَّةِ مُحْفُوظٌ، فِي عُمُومِهِ وَجَمَلَتِهِ؛ لِأَنَّ حِفْظَ الْمُبَيَّنِّ يَسْتَلْزِمُ حِفْظَ بَيَانِهِ، كَمَا قَرَّرَ الْإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَوَرَدَ عَنِ الْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ سَأَلَ: هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الْمَصْنُوعَةُ؟!

(١) وهي: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا. ولمعرفة حقيقة هذه الأناجيل، وثبوت تحريفها، وتاريخ تدوينها، ومن هم أصحابها و مترجموها؟ راجع ما كتبه رحمه الله الهندي في كتابه: إظهار الحق، ومحمد أبو زهرة في كتابه: محاضرات في النصيرية.

قال: تعيش لها الجهادية، ثم قرأ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).
والأمة محفوظة - أيضًا - بحفظ مصادرها.

ثانيًا: وجود الطائفة القائمة على الحق:

ثم من عناصر الخلود في هذه الأمة: أن فيها طائفة قائمة على الحق، لا يضرها من خالفها، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك. فلا تجتمع هذه الأمة على ضلالة أبدًا، يظل فيها من يقول الحق، ومن يقاوم الباطل، ومن يدعو إلى الخير ويحارب الشر، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، لا تخلو الأرض من قائم لله بالحجة.

هذه الطائفة التي يسميها العلماء: «الطائفة المنصورة»، وهي التي صحَّ بها عدد من الأحاديث^(٢) عن عدد من الصحابة^(٣).

ولذلك تظل هذه الأمة قائمة ما دامت فيها هذه الطائفة، وما دام فيها من أهل العلم في كل خلف، وفي كل جيل، من ينفون عن ميراث النبوة «تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»^(٤).

(١) رواه الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية ص ٣٦، تحقيق أبو عبد الله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني، نشر المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

(٢) منها ما رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس». واللفظ لمسلم.

(٣) عن جابر بن سمرة، وجابر بن عبد الله، ومعاوية بن أبي سفيان، وعقبة بن عامر، وعمران بن حصين، وقرة بن إياس، وعمر بن الخطاب، والمغيرة بن شعبة، وثوبان، وأبي هريرة، وأبي أمامة الباهلي، انظر: أحاديثهم في صحيح الجامع الصغير من (٧٢٨٧) إلى (٧٢٩٦).

(٤) رواه ابن وضاح في البدع (١)، والبيهقي في الشهادات (٢٠٩/١٠)، وصححه الألباني في =

سيظلُّ في هذه الأمة مَنْ يُجدِّد الله به أمر دينها^(١)، من علمائها
الربَّانِيِّينَ، وأئمَّتها الصادقين.

لن تجتمع هذه الأمة على ضلالة أبدًا، فهذا من سرِّ قوتها.

ثالثًا: ظهور القوَّة الذاتية في الشدائد والكروب:

ومن عناصر الخلود لهذه الأمة: أن فيها قوَّة كامنة؛ هذه القوَّة الكامنة
لا تبرز ولا تتجلَّى إلَّا في ساعات الشدائد والأزمات، حينما يكفهُرُّ
الجوُّ، وتتلبَّد سماءُها بالغيوم، وحين تحيط بها الشدائد والكروب،
وتنزل بها المُلَمَّات والخطوب، هنا تظهر هذه القوَّة الذاتية.

ظهرت أيَّام الرِّدَّة في عهد أبي بكر، وظهرت أيَّام الصليبيِّين،
وظهرت أيَّام التتار، وظهرت في مقاومة الاستعمار الحديث، الذي
احتلَّ بلاد المسلمين كلَّها تقريبًا، ولا زالت هذه القوَّة تظهر ما بين
الحين والحين.

= مشكاة المصابيح (٢٤٨)، عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري. وقد ذكره الإمام ابن القيم،
وقوَّاه لتعدد طرقه، في مفتاح دار السعادة (١٦٣/١، ١٦٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
وكذلك العلامة ابن الوزير الذي استظهر صحته أو حُسْنه؛ لكثرة طرقه مع ما نقل من
تصحيح الإمام أحمد له، والحافظ ابن عبد البر، وترجيح العقيلي لإسناده، مع سعة اطلاعهم
وأمانتهم، فهذا يقتضي التمسك به. انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم
(٢١/١ - ٢٣)، نشر دار المعرفة، بيروت. وانظر: كلامنا عن هذا الحديث في كتابنا: كيف
نتعامل مع السُّنَّة النبويَّة ص ٣٦ - ٤١، نشر دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠م.

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧)، والحاكم في الفتن
والملاحم (٥٢٢/٤)، وسكت عنه. ولكن نقل تصحيحه المناوي في فيض القدير (٢٨١/٢)،
فلعله سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي. عن أبي هريرة.

راجع تعليقنا على سند هذا الحديث ومنتنه في كتابنا: من أجل صحوة راشدة ص ١١، نشر دار
الشروق، القاهرة.



ظهرت في أفغانستان حينما قاوم أبناؤها بأسلحتهم الخفيفة والبسيطة
أعطى قوّة إلحادية في الأرض وفي التاريخ، وهي قوّة الاتحاد السوفيتي.

ظهرت قوّة هذه الأمّة الكامنة في الانتفاضة الفلسطينية، في
الانتفاضات المتتالية؛ فهي ليست انتفاضة واحدة، الآن الانتفاضة الثانية،
وقبلها الانتفاضة الأولى، وقبلها ثورات وثورات، ومقاومات ضد
الاحتلال البريطاني، وضدّ التسلّل الصهيوني من قديم.

كلّ هذا يدلّ على القوّة الكامنة في هذه الأمّة.

هذه القوّة الكامنة هي التي جعلت إخواننا في الجزائر يقاومون
الاستعمار الفرنسي، الذي احتلّ بلادهم قرناً وثلاث قرن من الزّمان،
وحاول أن يُجرّدهم من كلّ قوّة، وأن (يُفرّسهم) عقيدة ولغة، أن يسلبهم
هذا السّلخ، ولكنّه فشل، وظهرت القوّة الكامنة في حرب التحرير
الجزائريّة ضدّ الفرنسيين.

هذه الأمّة لا تموت، أمّة حيّة، مهما حاول الآخرون أن يُذلّوها، أو
يُمزّقوها، أو يقضّوا عليها، فهيها هيهات.

إنّ أمّتنا تملك من عناصر الخلود وعناصر القوّة، ما يجعلها قادرة
على أن تعيد بناء نفسها من جديد، وأن تتبوّأ مكانتها تحت الشمس من
جديد، وأن تقول لأعدائها: لا ثمّ لا، لن أستسلم، ولن أموت، ولن أنهزم.
هذه هي أمّة محمّد، أمّة القرآن، أمّة الإسلام، أمّة الأبطال عبر
التاريخ.

الأمّة قادرة على أن تحيا، وتخلد، وتبقى، وتتحدّى، إذا عرفت سرّ
قوّتها، وسرّ خلودها.

سرُّ قوَّة الأُمَّة:

وسرُّ قوَّتِها يتمثَّل في عدَّة عناصر:

أولاً: الاستمساك بشرع الله:

أَوَّل هذه العناصر: الاستمساك بشرع الله، أن تعرف الأُمَّة أنَّ مصدر عزَّتِها وقوَّتِها في الاستمساك بالعروة الوثقى، بكتاب ربِّها وسُنَّة نبيِّها، فلا عزَّ لها بغير ذلك، كلمة قالها ابن الخطَّاب: «إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا نَلْتَمَسَ الْعِزَّةَ بغيره أَذَلَّنَا اللَّهُ»^(١).

لا بدَّ أن تعرف ذلك الأُمَّة.

وقد جرَّبت المنظومات المختلفة: الاشتراكيَّة، والقوميَّة، والثوريَّة، وغيرها، فلم ينفعها ذلك كلُّه.

ما نفعها إلَّا حين قالت: الله أكبر، ومشت وراء نداء الإيمان.

الاستمساك بشرع الله، بدين الله الحقِّ، إذا فهمناه الفهم الصحيح، بعيداً عن غلوِّ الغالين، وتسيُّب المتسيِّبين، إذا فهمناه الفهم الوسطيَّ المستنير، وهذا هو العنصر الأوَّل.

ثانياً: احترام سُنن الله في الأنفس والآفاق:

العنصر الثاني: اتِّباع سُنن الله، احترام سُنن الله في الآفاق، وفي الأنفس، في الكون، وفي المجتمع.

هذا الوجود ليس سائباً، هذا الكون منضبط بسُنن وقوانين إلهيَّة،

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٨٥)، والحاكم في الإيمان (٦١/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.



لا تَليَن لأحد، ولا تُحابي أحداً، مَنْ راعاها راعته، ومن حفظها حفظته،
وَمَنْ ضَيَّعها ضَيَّعته، وداست عليه ولم تبال به.

رعاية الأسباب والمسببات واجبة:

هذه هي السُّنن، شبكة الأسباب والمسببات. من جدَّ وجد، ومن زرع
حصد، مسلماً كان أو كافراً، برّاً كان أو فاجراً.

لا يمكن أن تُعطي الأرض ثمرتها لمسلم تركها ولم يهتمَّ بها، لم يلقِ
فيها البذرة الطيبة، ولم يتعهَّدها بالسقاية والرعاية.

ولكن تعطي ثمرتها للفاجر والكافر إذا أحسنَّا استخدامها، وأحسنَّا
الاهتمام بها.

لا يمكن أن ينصر الله ﷻ الجهل على العلم، ولا الفوضى على النظام،
ولا التخلف على التقدم، ولا الإهمال على الإتقان، ولا الفرقة على الوحدة.

لا يمكن؛ فله سُنن لا بدَّ أن نرعاها، فإذا لم نرعَ سُنن الله لم ترعنا.

أعداؤنا اليهود الذين احتلُّوا أرضنا، وهتكوا عرضنا، وسفكوا دماءنا،
قاموا على أساس من السُّنن: خَطَطُوا، ونظَّمُوا، وتجمَّعُوا، وأعدُّوا القوة،
واستفادوا من تناقضات العالم، ودرسوا، وعملوا، وكان لهم حكماء
يجتمعون ويُدبرون، ولكنَّ أَمَتنا لم تخطَّط.

نقول: نحن ضحايا التخطيط الجهنمي اليهودي والصليبي
والشيوعي، وإلى متى نظلُّ نحن ضحايا لتخطيط غيرنا؟ لماذا لا نُخطِّط
لأنفسنا؟ أليس في رؤوسنا عقول وهبنا الله إياها؟ أليس عندنا أفضل
كتاب أنزله الله؟ أليس لنا حضارة وتاريخ نقتبس منهما؟

إلى متى نظل نقول: نحن ضحايا التخطيط الأجنبي؟

السُّنن لا ترحم، لا بدَّ لهذه الأمة أن ترعى سُنن الله، تعرف: بماذا تنتصر الأمم وبماذا تنهزم؟ بماذا تقوم وبماذا تسقط؟ هذا ما لا بدَّ منه.

ثالثًا: التعاون على البرِّ والتقوى:

العنصر الثالث لبقاء الأمة حيّة قويّة مُتَحَدِّية: التماسك، التلاحم، التساند، التعاون على البرِّ والتقوى، التواصي بالحقِّ والصبر، أن يكون فيها «المؤمن للمؤمن كالبُنَيان يشدُّ بعضُهُ بعضًا»^(١)، وأن تكون «كالجسد الواحد، إذا اشتكى بعضه اشتكى كله»^(٢).

هذا شأن الأمة الواحدة: «يسعى بذمتهم أدناهم، ويُجير عليهم أقصاهم، وهم يد على مَنْ سواهم»^(٣). هذا شأن أُمَّتِنا.

أمّا إذا تمزّقت الأمة شرَّ مُمزّق، وأصبح بأسها بينها شديدًا، وأصبح بعضها يذوق بأس بعض، وأصبح بعضها عميلًا للقوى الأخرى، وأصبح كلُّ منهم يخاف الآخر، فهنا وقعت الأمة شرَّ موقع.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الصَّلَاة (٤٨١)، ومسلم في البرِّ والصَّلَاة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البرِّ والصَّلَاة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

(٣) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال: حديث صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود في المنتقى (١٠٧٣)، وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل (٢٢٠٨)، عن عبد الله بن عمرو.

ما تشكو منه أمتنا اليوم هذا الانفصال الحادّ، هذا الفصام النكد ما بين الحكّام والشُّعوب. الشُّعوب والجماهير في واد، والحكّام في واد آخر، والحكّام كلّ منهم في واد غير واد صاحبه، وحتىّ الشُّعوب لم تُعد كتلة واحدة، هناك مَنْ يدعون إلى تمزيق هذه الشُّعوب بدعاٍ مختلفة.

وهذه الأمة يجب أن تترك كلّ الدعاوى، وأن تجتمع على الحدّ الأدنى، على ما يصير به المسلم مسلماً، على شهادة «أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً رسول الله»؛ لا وقت للخلاف، ولا وقت للفرقة.

في ساعات الشدائد يجتمع النّاس وينسّون الخلافات، ينسّون المعارك الجانيّة، كلّ مَنْ يثير هذه المعارك الجانيّة، وهذه الخلافات الجزئيّة، وهذه التفصيلات والتفريعات التي بين النّاس بعضهم وبعض: هو خائن لهذه الأمة، أو جاهل لا يعرف حقيقة المعركة بين الأمة وبين أعدائها.

لا بدّ أن تتجمّع الأمة، أمّا إذا ظلّت هكذا: الحاكم يعبد الكرسي من دون الله، والنّاس تعبد الدنيا، فهذا هو ما يضيّع النّاس.

وهن الأمة اليوم:

كانت أمتنا قليلة العدد، ولكنّها كانت مرهوبة من العالم، يهابها النّاس، ويرهبونها من مسيرة شهر^(١).

والآن أمتنا مليار ونصف المليار من البشر، ولكنّها كما وصفها الحديث الشريف: «غناء كغناء السيل».

(١) كما في الحديث: «نُصِرْتُ بالرعب من مسيرة شهر». سبق تخريجه ص ٢٩.

الأمّة في هذه المرحلة الغثائيّة.

والغناء: ما يحمله السّيل من حطب وخشب وعيدان وقشّ وأوراق؛
أشياء كلّها خفيفة سطحية، ليست ثقيلة عميقة، وأشياء غير متجانسة،
لا تجانس بينها.

ثمّ إنّ السّيل ليس له هدف، إنّّه ينزل من هنا ويذهب إلى هناك،
وليس له مجرى معلوم، ولا طريق مرسوم.

وهكذا الأمّة في المرحلة الغثائيّة، ليس لها هدف، وليس لها طريق،
وليس بينها تجانس، وهي تجتمع على السطحيّات التي تطفو، أمّا
الأعماق فلا يصل إليها أحد.

وهنا ينزع الله من صدور عدوّها المهابة منها، ويقذف في قلوبها
الوَهْن. قالوا: وما الوَهْن، يا رسول الله؟

قال: «حُبُّ الدُّنيا، وكراهية الموت»^(١).

حينما يحبُّ النَّاسُ الدُّنيا ويكرهون الموت، هذا هو أساس الوَهْن،
الوَهْن أمر نفسيّ، وهن النُّفوس هو ضعف النُّفوس، وإنّما تضعف
النُّفوس إذا تشبّثت بالدُّنيا، وجرت وراء الدُّنيا، وركضت وراء الشّهوات،
وكرهوا الموت في سبيل الله.

أمّا حينما تتحرّر الأمّة من هذا الوَهْن، فهي تُطَلّق الدُّنيا، تُطَلّق
الشّهوات، ولا يهتمُّها أوقعت على الموت أم وقع الموت عليها؛ لأنّها

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحّحه
الألباني في الصحيحة (٩٥٨). عن ثوبان.

تعتقد أنَّ الموت في سبيل الله هو عين الحياة: ﴿وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ * يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمُ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٤ - ٧].

تلك هي عناصر الخلود، وعناصر القوة لهذه الأمة.

كيف تجتمع هذه الأمة؟

ولن تجتمع هذه الأمة إلا إذا اتَّحد منهاجها، واتَّحدت غايتها، أن تجعل غايتها رضوان الله وَعَلَيْكُمْ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]، وأن تجعل طريقها هو الاستمسك بالإسلام، بأحكام الإسلام، وأخلاق الإسلام، وقيم الإسلام، وآداب الإسلام، لا تحيد عنه قيد شعرة، ولا تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض، وإنما تؤمن بالكتاب كله: ﴿وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

بهذا تجتمع الأمة ولا تتفرق، وإلا فهيها أن يلتئم لها شمل، وقد قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

هو صراط واحد، ومنهج واحد، هو منهج الله وصراط الله.

أما السُّبُل التي على رأس كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، فهي التي تفرق الأمة^(١).

(١) ففي الحديث الذي رواه ابن مسعود قال: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ». ثُمَّ خَطَّ خَطوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سَبِيلٌ - قَالَ: يَزِيدُ - مَتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ =



هذه هي عناصر القوّة لهذه الأمّة، إذا تمسّكت بها، وعضّت عليها
بالنّواجذ، والتقت عليها، كان لها النّصر، وكان لها العزّ، وكان لها
الخلود.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّّه هو الغفور
الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



= فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ [الأنعام: ١٥٣]. رواه أحمد (٤١٤٢)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن.
والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١٧٤)، وابن حبان في المقدمة (٦)، وقال الأرناؤوط:
إسناده حسن. والحاكم في التفسير (٢٣٩/٢)، وصحّحه، ووافقه الذهبي.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

الذكرى الثانية للانتفاضة الثانية:

بهذا اليوم تكون انتفاضة الإخوة في فلسطين، انتفاضة الأقصى، الانتفاضة الثانية المباركة، تكون قد أكملت عامين، منذ أن انطلقت شرارتها الأولى حينما دنّس المجرم شارون أرض المسجد الأقصى^(١) مُتحدِّيًا أبناء هذه الأمّة، ومُتحدِّيًا حضارتها، ومُتحدِّيًا تاريخها، ومُتحدِّيًا دينها.

مرّت سنتان كاملتان على الانتفاضة الفلسطينية، وقد زعم السفّاح شارون حينما وصل إلى الحكم، أنّه في خلال مائة يوم سيقضي على الانتفاضة، وسيجعل جمرتها رمادًا، وكذب المجرم السفّاح؛ لقد مضت مائة يوم، ومائة يوم، ومئات الأيام، والانتفاضة باقية، مرفوعة المنار.

لا تزال الانتفاضة مرفوعة الرايات، لا تزال الانتفاضة تتحدّى جبروت الصّهاينة، وتتحدّى استكبار الأمريكان - وراء الصّهاينة - الذين يمدّونهم بكلّ القوّة: بالمال والسّلاح والتأييد السياسي.

لا زالت الانتفاضة المباركة راسخة الجذور، راسبة في الأعماق.

لا زال الشّعب الفلسطيني يُرِينا من العجائب، ومن البطولات، ومن الروائع كلّ يوم ما نهتُزُّ له طربًا، وما نعتزُّ به ونفخر.

(١) كان ذلك في يوم الخميس ١ رجب ١٤٢١هـ، الموافق ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠م.

حيُّوا معي هذا الشَّعب الفلسطيني، حيُّوا معي هذا الشَّعب الصَّامد الصَّابر المصابِر المَرباط.

حيُّوا رجال هذا الشَّعب.

حيُّوا نساء هذا الشَّعب.

حيُّوا شباب هذا الشَّعب.

حيُّوا شيوخ هذا الشَّعب.

حيُّوا أطفال هذا الشَّعب.

حيُّوا هذا الشَّعب كلَّه.

بُوركت يا شعب فلسطين، حُيِّت يا شعب فلسطين، لقد أزلت العار والشنار عن هذه الأُمَّة القاعدة، الأُمَّة التي خذلتك.

خذلان الشَّعب الفلسطيني:

نشكو إلى الله الذين خذلوا الشَّعب الفلسطيني، نشكو إلى الله الحَكَّام والرؤساء في الجامعة العربيَّة.

أين الجامعة العربيَّة؟ أين الدفاع المشترك؟ أين القوميَّة؟ أين الإسلام؟ أين الروابط؟ أين الوشائج؟

تركوا الشَّعب الفلسطيني يقاوم الجبروت الصهيوني - ووراءه ومعه الاستكبار الأمريكي - بالحجارة، أو بالأسلحة الخفيفة التي تنفذ ذخائرها في بعض الأحيان، ولا يجد من الذخائر ما يسنده، كما فعل أبناؤنا وإخوتنا في جنين، الذي جعلهم يستسلمون نفاد الذخيرة، نفدت ذخيرتهم، نفدت جِعب الرصاص، وما أكثر الذخائر والأسلحة المخزونة والمركونة، والتي أكلها الصدأ في مخازن البلاد العربيَّة!

أسلحة دُفعت فيها المليارات من أقوات الشُّعوب، من عُصاة أرزاق النَّاس، تُدفع هذه الأموال لشركات صنع السِّلَاح، ليس لشيء غير ذلك، تريد ألا تتوقَّف شركات السِّلَاح عن الصُّنع، ثمَّ نأخذها ولا نفعل بها شيئاً.

نترك إخوتنا الأبطال الصَّناديد الرجال بدون سلاح، حتَّى الأطفال - والله - رجال؛ هم رجال وإن كانوا أطفالاً، هم أسود وإن كانوا أشبالاً، هم أساتذة وإن كانوا تلاميذ، هم كبار وإن كانوا صغاراً، الصغار حقاً هم الَّذِينَ خذلوهم، هم الَّذِينَ باعوهم بثمان بخس، دراهم معدودة.

القرآن سَمَّى الدُّنْيَا كُلَّهَا ثَمَنًا قَلِيلًا، وقال: ﴿أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [التَّوْبَة: ٩]، الدُّنْيَا كُلَّهَا ثَمَن قَلِيل، الدُّنْيَا لَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ^(١).

هؤلاء باعوا الفلَسْطِينِيِّينَ بِجَنَاحِ بَعُوضَةٍ، بِجُزْءٍ صَغِيرٍ صَغِيرٍ مِنْ جَنَاحِ الْبَعُوضَةِ!

بل إِنَّ بَعْضَهُمْ باعَهُمْ بِغَيْرِ ثَمَنٍ، لَمْ يَأْخُذُوا ثَمَنًا، وَإِنَّمَا هُمْ قَدَّمُوا أَنْفُسَهُمْ قَرَابِينَ لَهُؤُلَاءِ النَّاسِ، بِضَاعَةٍ رَخِيصَةٍ لَيْسَ لَهَا ثَمَنٌ، وَلَيْسَ لَهَا مُشْتَرٍ وَلَيْسَ لَهَا مَنْ يَسُومُهَا!

باعوا الفلَسْطِينِيِّينَ بِثَمَنٍ بِخَسٍّ، أَوْ بِغَيْرِ ثَمَنٍ.

(١) إشارة إلى ما رواه الترمذي (٢٣٢٠)، وقال: صحيح غريب. وابن ماجه (٤١١٠)، كلاهما في الزهد، والحاكم في الرقائق (٣٠٦/٤)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. وقال الذهبي: زكريا بن منظور ضعفه، وقال الألباني في الصحيحة (٦٨٦): صحيح لغيره، عن سهل بن سعد.

اثبت شعب فلسطين فالنصر آت:

يا أيُّها الفلسطينيون الأبطال، يا أيُّها الشعب الصابر المصابر
المرابط:

اثبت على عهدك، لا تتردد، ولا تتلکأ، وثق أن النصر لك إن شاء
الله، إنَّ مع اليوم غداً، وإنَّ غداً لناظرة قريب، وإنَّ مع العسر يسراً، وإنَّ
بعد الليل فجرًا.

وقد علَّمتنا التاريخ أنَّ النصر يأتي من عند الله من حيث لا نحسب.
نحن نرتقب نصر الله وعجل، ولن نستسلم أبداً.

أدعو إخوتي الفلسطينيين أن يثبتوا ولا يترددوا، وأن يُقدموا
ولا يُحجموا.

وأرجو من أبي عمَّار أن يتعلَّم من الدرس، فلم يشفع له ما قال عن
إخوانه حينما جرَّمهم، واتَّهمهم بأنَّهم إرهابيون، وأنَّ عملهم من الإجرام
والإرهاب!

لم يشفع له هذا عند هؤلاء الطغاة الظالمين، فليتعلَّم من هذا الدرس،
وليتعلَّم منه هذه الأمة.

إننا نثق أنَّ النصر آتٍ إن شاء الله.

لقد انتصر الصليبيون مائتي سنة ثمَّ خذلهم الله، وانتصر التتار
بعدهم، ثمَّ خذلهم الله، وانتصر الاستعمار بعد ذلك، ثمَّ أخرجهم الله
من ديارنا.

وستنتصر هذه الأمة، وسينتصر هذا الدين، وصدق العظيم إذ يقول:



﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿[التوبة: ٣٢، ٣٣].

نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل.



مآسي المسلمين والعلاج^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

المسلمون اليوم يعيشون عصر المآسي:

كُلُّ مَنْ يَقْرَأُ الصَّحْفَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، أَوْ يَسْمَعُ نَشْرَاتِ الْأَخْبَارِ مِنَ الْمَذِياعِ، أَوْ يَشَاهِدُهَا فِي التَّلْفَازِ، يَتَبَيَّنُ لَهُ بوضوح أَنَّ هُمُومَ الْمُسْلِمِينَ وَمَآسِيَهُمْ تَحْتُلُّ مَسَاحَةً كَبِيرَةً مِنْ هَذِهِ الْأَنْبَاءِ.

لَا تَكَادُ تَخْلُو نَشْرَةَ مِنَ النَّشْرَاتِ، إِلَّا وَيَقْرَأُ الْمُسْلِمُ أَوْ يَسْمَعُ أَوْ يَرَى مَصَائِبَ الْمُسْلِمِينَ وَمَآسِيَهُمْ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، وَالشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ.

هَكَذَا قُدِّرَ عَلَيْنَا - نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ - أَنْ نَعِيشَ عَصْرَ هَذِهِ الْمَآسِي.

نَقْرَأُ، وَنَسْمَعُ، وَنَرَى، مَا يَحْدُثُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْبُوسْنَةِ وَالْهَرَسَكِ (يُوغْسْلَافِيَا الْقَدِيمَةِ)، هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ يَدَافِعُونَ عَنْ حُرْمَاتِهِمْ، وَعَنْ حَقِّهِمْ فِي الْحَيَاةِ، وَعَنْ تَقْرِيرِ مَصِيرِهِمْ، هَؤُلَاءِ يُرَادُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْهِمُ الْحُلُولُ بِالْحَدِيدِ وَالنَّارِ، يُرَادُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُسَاقُوا كَالْغَنَمِ سَوَاقًا، لَا يَكُونُ لَهُمْ رَأْيٌ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ قَرَارٌ.

(١) أُلْقِيَتْ فِي جَامِعِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالدُّوْحَةِ، بَتَارِيخِ ٨ مَآيُو ١٩٩١ م.

القُوَّة الباطشة وحدها هي التي تتحكَّم فيها، تنتهك الحُرُمات، تسفك الدماء، تهتك الأعراض، تنهب الأموال، تدوس كرامة الإنسان، ولا يوجد مَنْ يدافع عن المسلمين هناك إلا بالكلام أو الاحتجاج أو الاستنكار. حينما كان غير المسلمين هم الذين يُهدِّدون من الجيش الاتِّحادي اليوغسلافي، استُخدمت القُوَّة واستخدم النُّفوذ لمنع هؤلاء من ضرب الكروات. أمَّا والمسلمون هم الذين يُضربون ويُقتلون ويُذبحون، فيُكتفى بالاحتجاج الكلامي، وبالاستنكار اللفظي.

لقد أرسل إليَّ أحد الإخوة مجلة «التايمز» البريطانية، وفيها صور تُقطع نياط الفؤاد، وتفتَّت لها الأكباد، مسلمون يُداسون بالأحذية، الجنديُّ الصربيُّ يقف على رأس المسلم، أو على ظهره، يدوس عليه بالحداء، والبندقية في رأسه.

المسلم يرفع يديه استسلامًا ويبكي، وأولئك يضربونه ويصفعونه ولا يتركونه.

ألا يوجد مسلمون يغارون لهؤلاء المُضَيِّعين ويحمونهم؟ ألا يحتجُّ المسلمون ويصرخون صرخةً قويَّة ويقولون بملء فيه: لا، بدلاً من هذا الكلام الهادئ النَّاعم، كأنَّ الأمر لا يهْمُّهم؟ أين المسلمون الذين وصفهم النَّبي ﷺ بأنَّهم «كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمى»^(١).

المسلمون في البوسنة والهرسك يُداسون، وتنتهك حُرُمات نسائهم، ويذبح أطفالهم، ويُقتل شيوخهم، والعالم الإسلامي ساكن ساكت هادئ! سكون أهل القبور!

(١) سبق تخريجه ص ٤٠.

مآسي المسلمين في كل مكان:

مآسي المسلمين في كل مكان، المسلمون في بورما أُخرجوا من ديارهم بغير حقٍّ إلَّا أن يقولوا: ربُّنا الله، وهامُوا في الأرض، لا يجدون بلدًا تُؤويهم، حتَّى إخوانهم وجيرانهم في بنغلاديش، لم يفسحوا لهم صدورهم، بدعوى أنَّ لديهم من المشكلات، ومن المصائب، ومن المجاعات ما يكفيهم.

نجد مآسي المسلمين هنا وهناك، في كلِّ منطقة من الأرض، في كلِّ محاكم الأرض يشتكي المسلمون، كما قال الشاعر:

في كلِّ مَحْكَمَةٍ قَضِيَّةٌ مُسْلِمٍ يشكو بليَّته لغيرِ المُسْلِمِ
ومن الرزيَّة أن حِزْبَ مُحَمَّدٍ قد أصبحوا نهبًا لحزب جهنَّم^(١)

هكذا أصبحنا - نحن المسلمين - نهبًا وغرضًا للطَّامعين في أنحاء الأرض: اليهود من ناحية، والصليبيَّين من ناحية، والشيوعيين من ناحية، والوثنيين من ناحية.

هؤلاء اختلفت مللهم ونحلهم ولكن اتَّفَقوا علينا - نحن المسلمين؛ فالكفر - كما قال فقهاؤنا - ملَّة واحدة، والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الجاثية: ١٩]، اختلفوا فيما بينهم، واتَّفَقوا علينا.

الوثنيَّة تنكَّر للمسلمين، والوثنيُّون يضربون المسلمين هناك في الهند، وفي سيلان، وفي غيرها.

(١) البيتان للشاعر خالد الجرنوسي، في قصيدة ألقاها بدار الشبَّان المسلمين، في يوم كشمير، ومطلعها:

يا يومَ كشميرِ تحيَّةٌ مسلم مطلولة عبَّرى ترقق بالدم

والشيوعية لا زالت إلى الآن - للأسف - في الجمهوريات الإسلامية الآسيوية، سقطت الشيوعية في روسيا، وفي أوروبا الشرقية، ولكن لا زالت إلى الآن في الجمهوريات الإسلامية، الحكام الذين كانوا يحكمون في أيام الإمبراطورية الشيوعية السوفيتية لا زالوا يتحكمون في هذه الجمهوريات، بتأييد من الغرب!

ولهذا رأينا ما رأينا في طاجيكستان^(١).

المسلمون بحاجة إلى مَنْ يقف معهم:

لا بدّ للمسلمين أن يتخلّصوا من هؤلاء الطواغيت، لكنهم في حاجة إلى مَنْ يشدّ أزرهم.

الإخوة في فلسطين، في أرض النّبوءات، في الأرض المقدّسة، يعانون، وهؤلاء الشباب الإسلامي - الأصوليون كما يسمّونهم - يدافعون عن حُرّماتهم، عن دينهم، عن أرضهم، عن مُقدّساتهم، ولكن أين العرب؟ وأين المسلمون في أنحاء العالم؟

إنّهم يتكلّمون عن السّلام، وعن مؤتمر السّلام الذي نسمع عنه، يتكلّمون عن السّلام، و«شامير» شامخٌ بأنفه، مُصعّرٌ خديّه، ثانٍ عِطفيه، يتكلّم من علٍّ، ويفرض شروطه، ويُملي ما يريد، والآخرين يلهثون وراءه، يتسوّلون منه السّلام، والسّلام لا يُتسوّل، إنّما يُفرض.

الحلول لا تُشحذ، الحلول إنّما تُفرض فرضاً، ما أخذ بالسيف لا يُردّ إلّا بالسيف.

ستثبت الأيام هذا، كما أثبت ذلك التاريخ.

(١) أعلنت طاجيكستان استقلالها عن «الاتحاد السوفيتي» عقب انهياره عام ١٩٩١م. ولكن الحزب الشيوعي أصر على البقاء في السلطة، والادعاء بأنّه يمثل الشعب الطاجيكي.

ليتنا نتعلّم من أعدائنا:

إِنَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَدْعُوا شَبْرًا أَخْذُوهُ إِلَّا إِذَا أُجْبِرُوا عَلَيْهِ، إِنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ مَعَ أَمْرِيكَ كَلَامَ النَّدِّ لِلنَّدِّ، وَالسَّيِّدَ لِلْسَّيِّدِ، فَلَيْتَنَا نَتَعَلَّمَ مِنْهُمْ، لَيْتَنَا نَتَعَلَّمَ مِنْ أَعْدَائِنَا، وَنَتَكَلَّمَ بِعِزَّةٍ صَاحِبِ الْحَقِّ، نَتَكَلَّمَ بِقُوَّةِ صَاحِبِ الدَّارِ أَمَامِ اللَّصُوصِ مَهْمَا كَانَتْ قُوَّتُهُمْ، وَمَهْمَا كَانَ سَلَا حُهُمْ.

اليهوديّة تعمل عملها، ولا زالت تبني المستوطنات وتتوسّع، ولا تبالي بما يقول القائلون، وما يحتجّ به المحتجّون.

اصطناع الصليبيّة لعدوّ جديد:

الصليبيّة في العالم تعمل عملها في كلّ مكان، بعد أن سقطت الشيوعيّة كتب الكاتبون منهم أنّهم في حاجة إلى عدوّ جديد يبرزونه أمام شعوبهم؛ حتّى يُشعل الجذوة في الانتخابات، وفي الصراع، لا بدّ لهم من عدوّ، هذا العدو - كما يحكون باستمرار - هو الإسلام!

الإسلام هو الخطر في نظرهم، يتمثلونه خطرًا على مستقبلهم رغم ضعف المسلمين، ورغم تمزّق المسلمين!

الكيد لأمة الإسلام والمكر بصحوتها:

إنّهم يخافون من الإسلام الزاحف، ولهذا يكيّدون لأمتّه كيّدًا، ويمكرون بصحوته مكرًا، ويوقعون بين الشُّعوب بعضها وبعض، وبين الحكّام والشُّعوب، وبين الحكّام والعلماء، حتّى يمزّقوا الصفّ تمزيقًا، هذا ما رأيناه في كلّ مكان.

إنَّهم يريدون أن يوقعوا المسلمين في مشكلات لا تنتهي، نخرج من أزمة لنقع في أزمة، ومن كارثة لنسقط في كارثة، ومن محنة لنواجه محنة، وهكذا.

انظر ما يُبيِّتونه الآن لليبيا.

نحن لا نوافق على سياسة النظام الليبي وموقفه من الإسلام والمسلمين، ولكننا لا نرضى أبدًا أن يُعامل بلد بمثل هذا، وأن يُجبر على أن يُسلم من أبنائه من يحاكم في بلد آخر^(١)، ولم يفعلوا هذا مع غيره من الدول. ولكن - نحن المسلمين - أصبحنا هدفًا وغرضًا لكل نابل، ولكل من يريد أن يضرب بسهم.

هكذا أصبحت بلاد المسلمين، وشعوب المسلمين.

وجوب تجمُّع الأمة وتكتُّلها تحت قيادة واحدة:

نقرأ في الصُّحف عن المسلمين في كلِّ مكان، فنشعر بالأسى، ونشعر بالهم، وتكوننا مشاعرُ الحزن على مصائر هذه الأمة.

وهذا ما ينبغي أن يصنعه كلُّ مسلم، لا يجوز أن نعيش وحدنا، ولا نفكر في إخواننا أهل الإسلام.

لا يستطيع بلدٌ ما، ولا مجموعة من البلدان أن تعيش وحدها في هذا العالم، ولو أجاز الدين ذلك، لم يُجز لنا الواقع ذلك.

(١) وقد أُجبرت ليبيا تحت ضغط الغرب على تسليم المتهمين في قضية «لوكربي» ليحاكموا في لاهاي، وأُجبرت على دفع تعويض لأسر الضحايا بلغ ثلاثة مليارات دولار تقريبًا، وبعد غزو العراق أُجبرت أيضًا على تفكيك برنامجها النووي، وتسليم كلِّ ما يتعلَّق به من ملفات للولايات المتحدة الأمريكية.

الواقع يقول: إننا نعيش في عصر التجمُّع والتكُّل، والنَّاس ينضمُّ بعضهم إلى بعض؛ لِيُكوَّنوا مجموعات اقتصادية وعسكرية وسياسية، وهم ليسوا بالضعفاء، حتَّى نقول: الضعيف إلى الضعيف يُقوِّي بعضهم بعضًا، لكنَّهم أقوياء، يريدون أن يزدادوا قوَّة.

من أجل هذا قامت السوق الأوربيَّة، وهي الآن تريد أن تتحوَّل من سوق اقتصادية إلى كتلة سياسيَّة.

نحن المسلمين وحدنا الذين نتفرَّق ونتمزَّق، ونتجافى ونتعادى، بل ربَّما نتقاتل، مع أنَّ ديننا يفرض علينا أن نتَّحد، يفرض علينا أن يضع كلُّ منَّا يده في يد أخيه، الإسلام فرض الجماعة كلَّ يوم خمس مرَّات، وفرض الجمعة في كلِّ أسبوع، ودعا إلى العيد مرَّتين في كلِّ عام، وشرَّع لنا الحجَّ ليكون مؤتمرًا للأُمَّة كلّها، تتلاقى فيه على اختلاف أجناسها وألوانها، وأوطانها وطبقاتها، فتذوب الفوارق بين أبنائها، ولا يُعرف غنيٌّ من فقير، ولا مأمور من أمير، ولا ذو إقليم من ذي إقليم آخر.

ضياع الخلافة وتمزُّق بلاد المسلمين:

الإسلام يريد أن يوحد هذه الأُمَّة، ومن أجل هذا جعل الخلافة فريضة. الخلافة ليست مُجرَّد حكم إسلاميٍّ؛ الخلافة هي القيادة المركزيَّة لهذه الأُمَّة؛ لتكون تحت خليفة واحد يناديها في الملَّمات أن تتساند وتتَّحد.

للأسف ضاغت الخلافة، سعى أعداء الإسلام - وعلى رأسهم اليهود - في تحطيم هذه القلعة، وهتك هذه المظلة، فأصبح المسلمون عرايا لا مظلة لهم، ولا قلعة تحميهم، وتفرَّقوا دولًا ودُوِيَّات، تحت



قوميّات شتّى، وأقاليم مختلفة، بعد أن كانوا دولة واحدة أصبحوا بضعا وثمانين دولة، يضمّها ما يُسمّى «المؤتمر الإسلامي»!

لم يجدوا اسمًا يضمّ جماعة المسلمين له شأن وله قوّة، وله إحياء؛ في الأوّل اقترحوا تسميته بـ«جامعة الدول الإسلاميّة» على غرار «جامعة الدول العربيّة»، فاعترض البعض - ممّن حضر ذلك المؤتمر الذي دعا إليه الملك فيصل رَحِمَهُ اللهُ، وجزاه خيرًا عن أمّته - وقالوا: نحن لسنا دولًا إسلاميّة، نحن دول علمانيّة فكيف تسمّوننا دولًا إسلاميّة؟

واتّفقوا - أخيرًا - على أن يُسمّوا هذا الكيان: «منظمة المؤتمر الإسلامي»! تصوّروا: اسم لا معنى له، ليس منظمة الدول الإسلاميّة، ولا منظمة الحكومات المسلمة، ولا منظمة بلاد المسلمين، ولكن: منظمة المؤتمر الإسلاميّ، أي المؤتمر الذي دعا هذه الدول للحضور!

ماذا يصنع المؤتمر الإسلاميّ أمام هذه الأحداث؟

المفروض أن تكون للمسلمين قيادة واحدة، ولا عَجَب، إذا كان المسلمون في العالم ألف مليون أو أكثر من ألف مليون، فهناك دولة واحدة في العالم عدد سكّانها أكثر من ألف مليون وهي دولة «الصين».

ما المانع أن يكون للمسلمين كيان يقودهم ويجمع شتاتهم: فيدرالي، كونفدرالي، إلى آخر ما يسمّونه في عصرنا؟

الإسلام الصحيح أساس الوحدة:

أمّا هذه الذي يسمّونه «التضامن الإسلامي»، فهو ليس بتضامن حقيقيّ، أين هو التضامن الإسلامي ونحن نرى المسلمين مختلفين فيما بينهم، والعرب مختلفين فيما بينهم؟!

وسيظلُّون كذلك.

الشيء الوحيد الذي يمكن أن يجمعهم وأن يوحدتهم هو أن يتنادوا جميعاً بالرجوع إلى الإسلام الصحيح، باتخاذ الإيمان هادياً، بتحكيم شريعة الله، باتخاذ القرآن منهاجاً وإماماً.

هنا تتوحد طرائقهم ومناهجهم، كما اتحدت قبلتهم وعقيدتهم، وهذا هو الذي يقول الله تعالى فيه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

هناك سُبُل على رأس كلِّ «سبيل منها شيطان يدعو إليه»^(١)، هذا يدعو إلى اليمين، وهذا يدعو إلى اليسار، وهذا يدعو إلى يمين اليمين، وهذا إلى يسار اليسار، وإلى يسار اليمين، وإلى يمين اليسار! إلخ، كلها ستُفرِّق المسلمين بدداً.

الذي يجمعهم: هو شريعة الإسلام، الفهم الصحيح لها، الالتزام المستنير بتطبيق أحكامها، والوقوف عند حدودها، الفقه الوسطي لمنهجها هذا هو الذي يجمع الأمة، ويجعلها أمة واحدة كما أمر الله، وليست أمماً كما يريد أعداء الإسلام.

الله تعالى يقول: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، فكيف تتفرَّق الأمة وتصبح أمماً؟

سعي أعداء الإسلام لتمييق الأمة المسلمة:

إنَّ أعداء الإسلام يريدون أن يُمزِّقوا هذه الأمة، وأن يُفرِّقوا أبناءها شيعاً وأحزاباً، وليس اللوم على هؤلاء؛ فهذا هو المتوقع منهم، إنما

(١) سبق تخريجه ص ٤٣.



اللّوم علينا نحن المسلمين، وليس عُذْرًا لنا أن نقول: إنّ أعداء الإسلام يُخَطِّطون لنا، ويمكرون بنا، ويكيدون لنا. ليس هذا عُذْرًا، لماذا نسمح لهم؟ لماذا أصبحنا فرائس لمكرهم؟ لماذا لا نكون أوعى منهم؟ لماذا لا نُحَصِّن أنفسنا ضدّ هذه المكاييد؟

وإنّما نُحَصِّن أنفسنا بالإسلام؛ الإسلام الذي جعل الأخوة بنت العقيدة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، فإذا وُجد الإيمان وُجدت الأخوة، وإذا انتفت الأخوة معناه أنّنا لسنا مؤمنين حقًا.

مظاهر كيد الأعداء للمسلمين:

إنّ أعداء الإسلام يكيدون، وهذا ما لاحظناه في كلّ مكان.

حينما كنّا قبل أسبوع في «بيشاور» للقيام بمحاولة للتوفيق بين الإخوة الأفغان، لاحظنا أنّ أعداء الإسلام يريدون أن يفرّقوا ويمزّقوا بين الصفوف، تارة يثيرونها قبلية جاهلية بين أصحاب الأصول الفارسية من الطاجيك والبشتو، وأصحاب الأصول التركية من الأزبك والتركمان، وتارة يقسّمونهم تقسيمًا آخر فيقولون: السنة والشيعة.

والسنة منهم المعتدلون ومنهم الأصوليون، والأصوليون منهم المتشدّدون ومنهم المتساهلون.

والشيعة أقسام وألوان، منهم الغلاة، ومنهم المعتدلون.

تقسيمات لا تنتهي، الهدف منها تمزيق هؤلاء المجاهدين.

تحذيري للإخوة الأفغان من التنازع:

ولذلك حدّرنا إخواننا هناك: أن يعوّا هذه المكاييد، وأن يكونوا أبصر

بالحقائق، وأن يتقوا الله في أنفسهم وإخوانهم وجهادهم، ولا يُشوّهوا صورة هذه الجهاد العظيم، الذي بيّض وجه المسلمين، وذاد عن حُرّمات هذه الأمّة، وكان خطّ الدفاع الأوّل أمام زحف الشيوعيّة إلى باكستان وإلى الخليج. هذا الجهاد العظيم قدّم مليوناً ونصف مليون من الشهداء، ورفع راية الإسلام فالتفت حوله المسلمون في أنحاء الأرض، وشارك من شارك منهم في هذا الجهاد، وانضم من انضم منهم إلى كوكبة الشهداء.

قد قلتُ للإخوة وللقيادة هناك: إنّ المسلمين لهم حقّ في هذا الجهاد معكم؛ فليس الجهاد جهادكم وحدكم، كلُّ المسلمين كانوا معكم، وإنّما كانوا معكم لأنّكم رفعتم راية: «لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله»، أمسّكم بالمصاحف وقلتم: يا رياح الجنّة هبّي، وناديتم بالإسلام، ودافعتم عنه، فلهذا تحمّس لكم المسلمون، تحمّس لكم الرجل، وتحمّست لكم المرأة في خدرها، تحمّس لكم الكبار، وتحمّس لكم الصغار، وجاء من جاء من أبناء المسلمين - ومن أبناء العرب ومن أبناء الخليج ومن أبناء قطر - متطوّعاً معكم.

هناك عدد من أبناء قطر استشهدوا في أفغانستان، وهذا - والحمد لله - فضل من الله عظيم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وهذا ما تُباهي به قطر، وتغالي به.

ومن لم يذهب بنفسه فقد بذل من ماله، هناك من بذل الكثير، وهناك من بذل القليل، كلٌّ على قدره، «من جهّز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخيرٍ فقد غزا»^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٤٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٩٥)، عن زيد بن خالد الجهني.

والجهاد بالمال هو أحد نوعي الجهاد في القرآن: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١].

ومن لم يستطع أن يذهب بنفسه، أو يبذل من ماله، كان معكم بقلبه ولسانه، كان يدعو لكم، في صلواته وخلواته وسجوده، وفي ساعات السحر: أن ينصركم الله على عدوكم.

فالجهد ليس جهادكم وحدكم، وإنما هو جهاد المسلمين في كل مكان، فاتّقوا الله في هذا الجهد.

والحق أن الإخوة من قادة الجهاد كانوا متجاوبين معنا كل التجاوب، وواعدونا بالفعل أن يحاولوا رأب الصدع، وتجنب الخلاف، وتفادي الفتن. وطلبنا منهم أن يذهبوا إلى «كابل»، ويسارعوا بالذهاب لقطع الطريق على المؤامرات التي تُدبر، وقد ذهبوا بالفعل.

ومن البشائر والحمد لله: اتصل بعض إخوتنا بالهاتف هناك، وجاء بأخبار مطمئنة، قال: إن القادة جميعاً قد اتفقوا على أن تكون السلطة في أيديهم، ولا بدّ للمليشيات الشيوعية إمّا أن تخرج من كابل، وإمّا أن تسلّم أسلحتها، واتفقوا على وقف إطلاق النار، والحمد لله.

كما اتفقوا مع حكمتيار والحزب الإسلامي اتفاقات جيّدة، نرجو من ورائها خيراً - إن شاء الله.

وهذا أملنا فيهم.

لا تسمحوا - أيّها الإخوة - لتشكيك المشكّكين في هذا الجهاد؛ فهو جهادٌ عظيمٌ إن شاء الله.

وأملنا أن يبارك الله خُطى هؤلاء، وأن يؤيّدهم بنصرٍ من عنده، وأن يقرّ أعيننا بانتصار الإيمان، وقيام دولة الإسلام هناك إن شاء الله.

البشائر بانتصار الإسلام:

المصائب كثيرة، والهموم كبيرة، والمآسي في كلّ مكان، ولكنّ البشائر - أيضًا - بانتصار الإسلام من وراء هذا في كلّ مكان.

المعركة مستمرّة بين الحقّ والباطل، بين الإيمان والكفر، بين الإسلام والجاهليّة، معركة بكلّ سلاح قد تصل إلى القتال أحيانًا، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وهذا القيد: ﴿إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ هو الذي يطمئننا، و(إن) - كما يقول علماء اللغة والبلاغة - تفيد التشكيك، أي: أنّهم لن يستطيعوا إن شاء الله، كما قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٢]، ونور الله هو الإسلام، يريدون أن يطفئوه بأفواههم، كما يريد الإنسان أن يطفىء الشمس بنفخة من فمه، وهيئات هيئات، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ﴾ هذا الإباء الإلهي لهذه المحاولات من أعداء الإسلام، هو الذي يطمئن قلوبنا، ويُبشّرنا بأنّ الإسلام إلى خير.

مهما كانت المصائب، ومهما كانت الهموم، ومهما قرأنا عن أحوال المسلمين في كلّ مكان، سينتصر الإسلام رغم ما نراه اليوم؛ فالإسلام حتّى في حال ضعفه قوّة مُرْهبة، وإلّا: لماذا خافوا أن تقوم للإسلام دولة في الجزائر؟ لماذا تآمر المتآمرون على الديمقراطية في الجزائر؟



خوف أعداء الإسلام من الأصوليين:

إنَّهم يخافون من الأصوليين، وما معنى أصولي؟
أصولي معناه: الْمُتَمَسِّك بالأصول.

وهل حُرْم النَّاس الوصول إلَّا بتضييع الأصول؟!!

الأصول إذا كانت هي التمسُّك بالقرآن والسُّنَّة، والعودة إلى ما كان عليه السَّلف الصالح، فهذه هي الأصول التي يجب على كلِّ مسلم أن يتشبَّث بها، ويستمسك بعُراها الوثقى.

الإسلام يرفض العنف ويرفض مصادرة حرمة المسلمين:

نحن نرفض العنف الفردي والجماعي، نرفض التطرُّف في فهم الإسلام، نرفض قتل امرئ بغير حقٍّ، نرفض حَمْل السَّلاح في وجه إنسان لا حَوْلَ له ولا قوَّة، نرفض مثل هذه الأعمال الفرديَّة، أو الجماعيَّة التي لا معنى لها، ولا يقول عالم مسلم متفقَّه بجوازها.

ولكنَّا بجوار هذا نرفض أن يُفرض على المسلمين ما لا يريدون، وأن يقف النَّاس ضدَّ الشُّعوب المسلمة فيما تريده لنفسها.

نريد أن تُتْرَكَ للشُّعوب المسلمة حرِّيَّة تقرير مصيرها، ونريد أن يُتْرَكَ للنَّاس حرِّيَّة اختيار الإسلام، فلا حلَّ لكلِّ المشكلات التي نعانيتها إلَّا بالإسلام.

والله لن نتوحَّد من فُرقة، ولن نقوى من ضعف، ولن نطعم من جوع، ولن نأمن من خوف، ولن نعزَّ من ذلٍّ، ولن نسعد من شقاء، ولن نخرج من حالة الوباء والاضطراب والتفسُّخ الذي نحن فيه إلَّا بالعودة إلى

الإسلام الصحيح المتكامل: عقيدة وشريعة، وأخلاقاً وحضارة، ومنهاجاً كاملاً للحياة، هذا وحده هو الذي ينقذ هذه الأمة.

وحدة الأمة واجتماع قاداتها لحل مشكلاتها من منافع الحج:

نحن الآن في موسم الحج، والحج لماذا شرعه الله ﷻ؟ لمصلحته هو؟ الله ليس له مصلحة في أي عبادة من العبادات؛ إنما شرعه لمصالح عباده، كل العبادات لمصلحة الناس، وفي الحج قال: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨]، ومن هذه المنافع: أن يجتمع قادة المسلمين وأهل الرأي منهم ويبحثوا عن أحوال المسلمين، وما ينبغي أن يعملوا لها، وكيف يضعون الحلول لمشكلاتها، ويحاولون أن يجدوا لها طباً ودواءً من صيدلية الإسلام، ف«ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء»^(١).

الإسلام عنده لكل مشكلة حل، لكل داء دواء، لكل مرض علاج، فهذا هو الشفاء الذي جاء به هذا القرآن: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُلهم المسلمين الرُّشد، وأن يُبصِّرهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وما يجمع كلمتهم على الهدى، وقلوبهم على التقى، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.

اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) رواه البخاري في الطب (٥٦٧٨)، عن أبي هريرة.



الأخوة الإسلامية^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

الأخوة الإسلامية أساس المجتمع الصالح:

جاء الإسلام لبني المجتمع الصالح كما يبني الفرد الصالح.

والمجتمع الصالح الذي يبنيه الإسلام ويؤسسه على تقوى من الله ورضوان، يقوم أول ما يقوم على الأخوة الإسلامية، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، فلا يكون المؤمنون إلا إخواناً فيما بينهم، إذا لم يجدوا هذه الأخوة بينهم، فلا بد أن يرتابوا في إيمانهم، لا بد أن إيمانهم قد داخله شيء، ف«المؤمن أخو المؤمن»^(٢)، و«المسلم أخو المسلم»^(٣).

حال المجتمعات قبل الإسلام:

لقد جاء الإسلام في مجتمعات متصارعة، منقسم بعضها على بعض، لأسباب شتى:

- (١) أُلقيت في جامع الفاتح بالبحرين في ١٥ شوال ١٤١٨هـ، الموافق ١٢ فبراير ١٩٩٨م.
- (٢) رواه مسلم في النكاح (١٤١٤)، وابن ماجه في التجارات (٢٢٤٦)، عن عقبة بن عامر.
- (٣) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

ينقسم النَّاس في بعض المجتمعات بحسب الأجناس، فهذا عربيٌّ وذاك عجميٌّ، وينقسم العرب فيما بينهم إلى قسمين، فهذا من العرب العرباء، وهذا من المستعربة، وهذا من عرب الجنوب، وهذا من عرب الشمال.

وفي بعض المجتمعات بحسب الألوان، فهذا أبيض وذاك أسود.

وفي مجتمعات أخرى ينقسم النَّاس بحسب الطبقات، فهؤلاء أغنياء وهؤلاء فقراء، وهؤلاء سادة وهؤلاء سوقة.

وبعضهم يُورث الطبقة، يولد الإنسان في طبقة، ويعيش عمره فيها، لا يستطيع أن يترقى منها إلى غيرها، كما في الهندوسية، النَّاس أربع طبقات: طبقة خُلِقوا من رأس الإله، وطبقة خُلِقوا من ذراعي الإله، وطبقة خُلِقوا من ركبتي الإله، وطبقة خُلِقوا من قدمي الإله، وطبقة أخرى لا تدخل في هؤلاء هي طبقة الأنجاس المنبوذين، وكلُّ إنسان في طبقته لا يعدوها.

عناصر الأخوة:

وللأخوة الإسلامية التي يقوم عليها المجتمع المسلم عناصر أساسية، هي:

أولاً: المساواة:

جاء الإسلام والنَّاس ينقسمون هذه الانقسامات: هناك نُبلاء، وهناك أشراف، وهناك عبيد، وهناك أناس لا يُحسب لهم أيُّ حساب، ولا يُقام لهم أيُّ وزن.

جاء الإسلام ليُلغي هذه الفوارق كلّها، ويعلن في النَّاس هذه الحقيقة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

الخالق واحد، الصانع واحد، والمادة التي صنع منها الجميع واحدة: من ذكر وأنثى، فعَلام يتفاوت النَّاس؟

لا معنى للتفاوت إلا بالتقوى، والتقوى إنما يُكرَّم الإنسان بها عند الله، لا يجوز لأحد أن يقول: أنا تقيٌّ فأكرموني لتقواي؛ لأنَّ التقيَّ لا يقول عن نفسه: إنه تقيٌّ، والرسول يقول: «والتقوى ههنا»، وأشار إلى صدره^(١)، تقوى القلوب.

في حَجَّة الوداع، وفي جموع الحجيج الهائلة يقول النبي ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ واحد، وَإِنَّ أَبَاكُمْ واحد، كُلُّكُمْ لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا أبيضٌ على أسودٍ إِلَّا بالتقوى»^(٢) ﴿لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، رَبُّكُمْ واحد، وأبوكم واحد، الجميع شركاء في العبودية لله، وشركاء في البنية لآدم، فعَلام يستعبد بعضكم بعضًا؟ وعلام يستذلُّ بعضكم بعضًا؟ وعلام يستعلي بعضكم على بعض؟

أَوَّل عناصر الأخوة التي جاء بها الإسلام هي: المساواة النَّاس سواسية كأسنان المشط الواحد.

لا يجوز لأحد أن يفخر على أحد بنسب، أو مال، أو عنصر، أو لون، كما يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

لا نسب: إِنَّ الله خلق الجنةَ لِمَن أطاعه ولو كان عبدًا حبشيًّا،

(١) رواه مسلم في البرِّ والصَّلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد

(٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عمن سمع خطبة النبي ﷺ.

وخلق النار لمن عصاه، ولو كان شريفا قرشيًا، «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»^(١).

المساواة المطلقة بين الناس، أول عناصر الأخوة:

أزال الإسلام كل الفوارق - العنصرية، اللونية، الجنسية، الطبقيّة، اللغويّة، الإقليميّة - بين النَّاس جميعًا، ووضعهم على قدم المساواة بعضهم مع بعض، «كُلُّكُمْ لَأَدَمٍ، وَأَدَمٌ مِنْ تَرَابٍ»^(٢).

ثانيًا: المحبة:

ومن عناصر هذه الأخوة: المحبة.

إذا كنت أخي وأنا أخاك، فلا بدّ أن يحبّ بعضنا بعضًا، أنا منك وأنت منّي، يَسُرُّني ما يَسُرُّكَ، ويسوؤني ما يسوؤك، أفرح لما ينالك من خير، وأحزن إذا شاكتك شوكة.

هذه هي الأخوة، هي المحبة.

وقد عبّر عن ذلك النبي ﷺ فقال: «لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه»^(٣)، وبالتالي يكره له ما يكره لنفسه.

إذا أحببتَ لنفسك الغنى فأحبّ لأخيك الغنى، إذا أحببتَ لنفسك البنين، فأحبّ لأخيك البنين، إذا أحببتَ لنفسك السّتر فأحبّ لأخيك السّتر، وهكذا.

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٤٢٧)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه قريبًا ص ٦٧.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

«لا يؤمن أحدكم»: لا يتحقق الإيمان الصادق، إلا إذا أحبَّ أحدكم لأخيه ما يحبُّ لنفسه.

منزلة الإيثار:

وقد يرتقي عن هذه المنزلة إلى منزلة أسمى وأعلى: هي منزلة الإيثار؛ أن تُقدِّم أخاك على نفسك، أن تجود له بالشيء وأنت محتاج إليه، أن تسهر لينام، أن تتعب ليرتاح، أن تُعرِّض صدرك للرصاص لتفديته وتحميته.

وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ، وهكذا وصف الله الأنصار بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وقد وصف واصف الأنصار بقوله: يكثرون عند الفزع، ويقفلون عند الطمع^(١).

عند المطامع والغنائم يقفلون، وعند المخاوف والفزع يكثرون، هؤلاء هم الرجال.

في إحدى معارك الفتح الإسلامي - معركة اليرموك - أصيب جماعة، جرحوا، وكانوا في حالة احتضار، والإنسان في هذه الحالة يشترق إلى الماء، فنادى بعضهم: هل من ماء؟

يروى حبيب بن أبي ثابت القصة، فيقول: خرج الحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل وعيَّاش بن أبي ربيعة يوم اليرموك حتَّى أثبتوا،

(١) ذكره الخطابي في غريب الحديث (٦٨٢/١)، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرابوي، نشر دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

فدعا الحارث بن هشام بماء ليشربه، فنظر إليه عكرمة، فقال: ادفعه إلى عكرمة، فلما أخذه عكرمة نظر إليه عياش فقال: ادفعه إلى عياش، فما وصل إلى عياش حتى مات، وما وصل إلى أحد منهم حتى ماتوا وما ذاقوه^(١).

ماتوا جميعاً عطاشاً، كل واحد منهم في حاجة إلى شربة الماء، ولكنّه أثر أخاه على نفسه، كل واحد منهم قال: اذهب بهذه الكأس إلى أخي؛ لعله أحوج إلى الماء مني. بهذه الرُّوح انتصر المسلمون.

الأخوة مساواة، والأخوة محبة، والأخوة كذلك وحدة.

ثالثاً: الوَحْدَة:

والأخوة وَحْدَة: أنا وأخي كتلة واحدة، لا يجوز أن نختلف ولا أن نتفرّق، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُشَلُّوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال ﷺ: «لا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»^(٢).

فهذا مقتضى الأخوة: الاتّحاد، حتّى لا يختلف بعضنا مع بعض، وأن ننسى ما يفرّق بيننا، ونذكر ما يجمّعنا.

(١) رواه الطبراني (٢٥٩/٣)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٠٣٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٧١): رواه الطبراني، وخبيب لم يدرك اليرموك، وفي إسناده من لم أعرفه.

(٢) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠)، عن ابن مسعود.

نحن أهل قبلة واحدة، ربُّنا واحد، نبُّنا واحد، كتابنا واحد، عبادتنا واحدة، شريعتنا واحدة، قبلتنا واحدة، أهدافنا واحدة، فلماذا يخالف بعضنا بعضاً؟ ولماذا نتفرّق فيما بيننا؟

هذا ما لا يجوز من أمة الإسلاميّة: ﴿وَلَنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، لا تتّم التقوى إلّا بهذه الوحدة.

رابعاً: التعاون:

ومن عناصر الأخوة: التعاون، أن يُعين الأخ أخاه؛ كيف تكون أخي وأكون أخاك، ولا تُعينني في الشدة؟

لا بدّ أن نتعاون، الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

أعن أخاك بما تستطيع، إذا احتاج إلى إعانتك الماديّة أو الأدبيّة فأعنه، ولا تضنّ عليه بمال، ولا بجهد، ولا بشيء؛ فأخوك لك وأنت له، وضعفه يعود عليك في النّهاية، وقوّته تكون رصيّدًا لك؛ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً»^(١).

خامساً: التناصر:

ومن عناصر الأخوة: التناصر؛ أن تنصر أخاك المسلم إذا استنصرك، إذا طلب نصرتك فلا تخذله؛ النّبِيُّ ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلمه»^(٢) لا يجوز له أن يظلم أخاه، الظلم حرام حتّى للكفار، لا يجوز أن تظلم كافراً، فكيف تظلم أخاك المسلم؟

(١) سبق تخريجه ص ٤٠.

(٢) سبق تخريجه ص ٦٧، وفيه: «والتقوى هاهنا».

«لا يظلمه، ولا يُسلمه»، ما معنى: «يُسلمه»؟

أي: يتركه، ويخذه، ولا يقوم بنصرته.

«المؤمنون كجسدٍ واحد، إذا اشتكى بعضه اشتكى كله»^(١)، وَحَدَّثَ عَضْوِيَّةَ بين المسلمين بعضهم وبعض، فلا يجوز أن يتخاذل المسلمون ويترك المسلم يفتربه الأعداء وأخوه المسلم يتفرج عليه، كأنه ليس عضواً منه.

هذا ما لا يجوز في الأمة المسلمة؛ النبي ﷺ يقول: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً». كان أهل الجاهلية يأخذون هذه العبارة على ظاهرها، أي: انصر ابن قبيلتك، سواء كان ظالماً أو مظلوماً.

لا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانًا^(٢) إِنَّهُمْ مَعَ ابْنِ قَبِيلَتِهِمْ فِي الْحَقِّ وَفِي الْبَاطِلِ. قيل عن بعض زعمائهم: هذا رجل إذا غضب، غضب له عشرة آلاف سيف لا يسألونه فيما غضب! فجاء النبي ﷺ وقال: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً». قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟

الصَّحَابَةُ بِمَا جَاءَهُمْ مِنْ مَفَاهِيمِ الْإِسْلَامِ عَجَبُوا لِهَذِهِ الْمَقُولَةِ، قالوا: معقول أن ننصره مظلوماً، أمّا كيف ننصره ظالماً؟

قال: «تأخذ فوق يديه»^(٣)، وفي رواية: «تمنعه من الظلم؛ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرٌ لَهُ»^(٤).

(١) سبق تخريجه ص ٤٠.

(٢) من شعر قريط بن أنيف العنبري، كما في ديوان الحماسة لأبي تمام (٥٨/١)، تحقيق عبد الله بن عبد الرحيم العسيلان، نشر جامعة الإمام، المملكة العربية السعودية، ١٩٨١م.

(٣) رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٤)، عن أنس.

(٤) رواه البخاري في الإكراه (٦٩٥٢).

إذا منعته من الظلم فقد نصرته على نفسه الأثمارة بالسوء، نصرته على هواه، وعلى غرائزه، وعلى شيطانه، فأنت قدّمت له خدمة، وقدّمت له خيراً جزيلاً.

هذه هي حقوق الأخوة.

المسلم مع أخيه المسلم لا يخذله، ولا يُسلمه، ولا يدعه يُغتال وهو واقف لا يفعل شيئاً.

يقول الشاعر:

إِنَّ أَخَاكَ الْحَقُّ مَنْ كَانَ مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَعَكَ شَتَّ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ^(١)

هذه هي الأخوة الحقيقية.

عبادات الإسلام تؤكد معاني الأخوة:

هذا ما جاء به الإسلام، جاء الإسلام ليقيم مجتمعاً متآخياً على الحق والخير، وجاءت عبادات الإسلام تؤكد معاني الأخوة:

هذه صلاة الجمعة والجماعة تؤكد وتثبت معاني الأخوة، معاني المساواة، معاني الوحدة، معاني المحبة.

ليس في الصلاة: إنَّ الصفَّ الأوَّل للوزراء، والصفَّ الثاني لوكلاء الوزارات، والصفَّ الثالث لمديري العموم.

(١) البيتان منسوبان لسيدنا علي بن أبي طالب، انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد (١١٣/١٨)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.

لا، مَنْ سبق إلى الصَّلَاة وبكَّر أخذ مكانه في الصفوف الأولى، أيًّا كان مركزه في المجتمع. هذه هي المساواة الحقيقية.

الزكاة تقرب ما بين الأغنياء والفقراء؛ حتَّى لا يحسد الفقراء الأغنياء، يعلم الفقير أنَّ مال الغنيِّ له فيه حقٌّ معلوم، له فيه نصيب، فلا يحسد صاحب المال.

الصيام يشعر فيه الجميع بالجوع؛ حتَّى يُحسَّ الغنيُّ بجوع الفقير، ويعلم أنَّ له عنده حقًّا لا ينبغي أن ينساه.

الحجُّ تثبيتٌ للمساواة أكثر ممَّا تثبته الجماعة في الصَّلَاة؛ فالجماعة في الصَّلَاة يقف بعضهم بجوار بعض، ولكنَّهم - أيضًا - متفاوتون في أزيائهم، وفي ملابسهم، أمَّا في الحجِّ فيخلع الجميع هذه الملابس التي تُميِّز بين النَّاس بحسب أقطارهم، أو بحسب طبقاتهم، أو بحسب مهنتهم، ويلبسون ثيابًا أشبه بأكفان الموتى، هذا الإزار والرداء.

عبادات الإسلام إذن تثبت الإخاء.

آداب الإسلام وأخلاقياته تُثبت معاني الإخاء:

تحية الإسلام، حينما يلقي المسلم أخاه المسلم يقول له: السَّلام عليكم، فيردُّ عليه: وعليكم السَّلام ورحمة الله وبركاته.

هذه التحية من شأنها أن تُقرب بين النَّاس بعضهم وبعض^(١).

(١) إشارة إلى الحديث: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم». رواه مسلم في الإيمان (٥٤)، وأحمد (٩٠٨٤)، عن أبي هريرة.



عيادة المريض، اتّباع الجنازة^(١)، «والكلمة الطيّبة صدقة»^(٢)، «تبشّمك في وجه أخيك لك صدقة»^(٣)، «لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان في الطريق، فيُعَرِّض هذا، ويُعَرِّض هذا، وخيرهما الَّذي يبدأ بالسّلام»^(٤).

حتى إنّ الإسلام شرع هذا الأدب اللطيف: تسميت العاطس، إذا عطس أخوك فحمد الله فقلّ له: يرحمك الله، فيردّ عليك: يهديكم الله ويصلح بالكم^(٥).

هكذا المجتمع الإسلامي مجتمع منفتح بعضه على بعض.
آداب الإسلام إذن تثبت معاني الأخوة.

تشريعات الإسلام وأحكامه تثبت هذه الأخوة:

في الحديث: «لا يَبِعُ الرجلُ على بَيْعِ أخيه، ولا يخطُبُ على خِطبة أخيه، إلّا أن يأذن له»^(٦).

(١) عن البراء بن عازب قال: أمرنا رسول الله بسبع، ونهانا عن سبع، أمرنا باتباع الجنائز، وعبادة المريض... متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٢٣٩)، ومسلم في اللباس (٢٠٦٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسّير (٢٩٨٩)، ومسلم في الزّكاة (١٠٠٩)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه الترمذي في البر والصلة (١٩٥٦)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في البر والإحسان (٥٢٩)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح. وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٠٨)، عن أبي ذر.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٧٧)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٠)، عن أبي أيوب الأنصاري.

(٥) رواه البخاري في الأدب (٦٢٢٤)، عن أبي هريرة.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٤٢)، ومسلم (١٤١٢)، كلاهما في النّكاح، عن أبي هريرة.

وتحريم الربا جاء لأنه لا يجوز أن يستغلّ الغنيّ الفقير، وأن يعتصره؛
ليزاد الغنيّ غنى، ويزداد الفقير فقرًا^(١).

تحريم الخمر والميسر: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴾ [المائدة: ٩١].

وتحريم بيع الغرر لما تُؤدّي إلى التنازع والخصام.
كلّ تشريعات الإسلام تحافظ على المجتمع الموحّد، المتحابّ،
المتآخي.

هذا ما يريده الإسلام؛ يريد أن يجعل من المسلمين أمة واحدة، ينظر
أحدهم إلى أخيه كما ينظر إلى نفسه، إذا أصابتهم شدة وقف الجميع
كرجل واحد.

هكذا كان المسلمون، وهكذا يجب أن يكون المسلمون في كلّ
عصرٍ وأوان.
لا يجوز أن يعيش الإنسان لنفسه.

الآفات الداخلية التي تفسد الأخوة:

هناك آفات داخلية تتسبّب في فساد العلاقات بين الناس بعضهم
وبعض، من هذه الآفات:

(١) وهذه بالطبع إحدى الحكّم - لا كلّ الحكّم - التي لأجلها حرّم الربا، والأصل المطرّد
الغالب عند الأصوليين أن تُبنى الأحكام الشرعيّة على العلة لا على الحكمة؛ لأنّ العلة
هي الوصف الظاهر المنضبط بخلاف الحكمة التي لا تنضبط، وقد يختلف الناس في
تحديدها وتقديرها. والعلة في تحريم الربا هي: الزيادة المشروطة على رأس المال مقابل
الأجل وحده.



١ - الأنانيّة:

شُرُّ ما يصيب النَّاس هو الأثرة، الأنانيّة، أن يقول كلُّ امرئ: نفسي نفسي، أنا وليخرب العالم، أنا ولتذهب الدنيا.

لا، إنّما أنت جزء من كلّ، إنّما أنت عضو من جسد، لا حياة لك إلّا بحياة المجتمع الذي تعيش فيه، ينبغي أن تفنى في المجتمع، أن تذوب كما تذوب الشمعة لتضيء للمجتمع.

هكذا ينبغي أن يكون المسلم الحقّ.

٢ - العصبية:

أن يتعصّب الإنسان لأسرته، أو لقبيلته، أو لبلدته، أو لحبيّه، وإقليمه، أو لمذهبه، هذه العصبية العمياء ليست من الإسلام في شيء.

النبي ﷺ بريء من العصبية، وجاء في الحديث: «ليس منّا من دعا إلى عصبية، وليس منّا من قاتل على عصبية، وليس منّا من مات على عصبية»^(١).

وجاء في الحديث الصحيح: «مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةِ عِمِّيَّةٍ^(٢)، يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً، فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»^(٣).

«فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»، أي: كاهل الجاهلية الذين كانوا يقاتل بعضهم بعضاً، وهذا ما حذر منه النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٤).

(١) رواه أبو داود في الأدب (٥١٢١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٩٣٥)، عن جبير بن مطعم. ورواه بنحوه مسلم في الإمارة (١٨٤٨)، عن أبي هريرة.

(٢) «عِمِّيَّة»: من العماء: وهي الضلالة، كالقتال في العصبية والأهواء. النهاية لابن الأثير مادة (ع. م. ا).

(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٨٤٨)، وأحمد (٧٩٤٤)، عن أبي هريرة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

٣ - الكِبَر:

شعور الإنسان بالاستكبار، النظرة إلى نفسه بعين الإجلال والإكبار وإلى الآخرين بعين الازدراء والاحتقار، وقد قال النبي ﷺ: «بِحَسَبِ امرئٍ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم»^(١).

حينما قال أحد الصحابة لبلال: يا ابن السوداء. غضب النبي ﷺ وقال: «إنك امرؤ فيك جاهليّة»^(٢).

وقد اعتذر هذا الصحابي - وهو أبو ذر - لبلال، وقال له: ضع قدمك على خدي! ليشعر بالتواضع والذلة لأخيه المؤمن.

إن الله لم يمدح الذلة في القرآن إلا في موضعين: الأول: ذل الإنسان لأبويه: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤].

والثاني: ذل الإنسان لإخوانه المؤمنين: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

كان السلف إذا قيل لأحدهم: أنت مرائي، أنت فاسق، أنت كذا. فبرّد عليه ويقول: يا أخي، إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك^(٣).

فيطفئ هذه النار بهذه الكلمة، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿ [فُصِّلَتْ: ٣٤، ٣٥].

هذا ما ينبغي لأهل الإيمان.

- (١) رواه مسلم في البرِّ والصَّلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة.
- (٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١)، كلاهما في الإيمان، عن أبي ذر.
- (٣) رواه الدينوري في المجالسة (٨٠٠)، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن حزم، بيروت ١٤١٩هـ. والرجل هو الإمام الشعبي.



٤ - سوء الظن:

من الآفات التي أصابت المجتمعات: سوء الظن، وهناك خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير: حُسن الظن بالله، وحُسن الظن بالناس.

وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر: سوء الظن بالله، وسوء الظن بالناس.

والله تعالى يقول: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحُجرات: ١٢].

لا تظنَّ بأخيك السوء، احمل حاله على أحسن المحامل، احمل كلامه على أفضل الوجوه.
هكذا ينبغي.

سوء الظن بالناس الآن جعل الناس لا يثقون حتَّى بأقاربهم، أصبح المثل السائد يقول: الولد كَمَدٌ، والأخ فَخٌّ، والعمُّ غَمٌّ، والخال وبال، والأقارب عقارب!

وهكذا ساء ظنُّ الناس بعضهم ببعض، وما كان الناس هكذا قبلنا، فمن أدخل هذه المفاهيم على الناس؟
ينبغي أن يحسن أحدنا الظنَّ بأخيه.

وهذا يترتب عليه آداب في التعامل: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لا يعيب بعضكم بعضاً، ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ لا ينادي

بعضكم بعضًا بالقباب يكرهها، ﴿يَسْ أَلِاسْمُ أَلْفُسُوقُ بَعْدَ أَلِإِيْمَنِ وَمَنْ لَمْ يَتَّبِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١١، ١٢].

لماذا نفر الإسلام من الغيبة هذا التنفير، ونفر من النَّميمة، حتَّى قال النَّبِيُّ ﷺ: «لا يدخل الجنة قَتَات»^(١)، أي: نَمَام؟

لأنَّ النَّمَام يسعى بين النَّاس بالوقية، فيقطع الروابط، وينقل كلام النَّاس بعضهم إلى بعض على وجه الإفساد فيما بينهم.

الآفات الخارجية التي تفسد الأخوة:

يا أيُّها الإخوة، هناك آفات داخلية، آفات نفسية أخلاقية، ينبغي أن نحذر منها. ذكرنا أهمها.

وهناك عوامل خارجية تريد أن تُمزق مجتمعاتنا، تريد ألاَّ تُبقي رابطة فيما بين بعضنا وبعض.

إشارة العوامل المفرقة للأمة:

في كلِّ مجتمع يصنعون له أشياء تفرِّق فيما بينه؛ في بعض البلاد يخترعون أسباباً دينية: مسلمون ونصارى.

فإذا لم يكن هناك أمور دينية يخترعون أسباباً عنصرية: عرب وأكراد، أو عرب وبربر.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٥٦)، ومسلم في الإيمان (١٠٥)، عن حذيفة بن اليمان.

أو أسبابًا إقليميّة: شماليّون وجنوبيّون كما في السودان.

أو أسبابًا مذهبيّة: سنّة وشيعة.

أو أسبابًا أيديولوجيّة: تقدّميّون ورجعيّون، أو يمينيّون ويساريّون.

حتى بين الإسلاميين بعضهم وبعض: هذا مذهبيّ وهذا لا مذهبيّ، هذا من أهل الحديث وهذا من أهل التصوّف.

وهكذا، لم يدعوا شيئًا إلّا أدخلوا فيه أسباب الفُرقة.

ونحن نستجيب لهذه العوامل المُخرّبة، والمُهدّمة، ويكيد بعضها لبعض، وهذا ما لا يجوز.

لا يجوز لأبناء الإسلام إلّا أن يكونوا يدًا واحدة على أعدائهم، إلّا أن يكونوا في جهة واحدة.

الله ﷻ جمعهم على الإسلام، جمعهم على القرآن، جمعهم تحت راية محمّد ﷺ، فلا يجوز أن يتفرّقوا، ولا يجوز أن يُجَافِي بعضهم بعضًا، أو أن يعادي بعضهم بعضًا، ناهيك أن يقاتل بعضهم بعضًا، كما رأينا - للأسف - بين بعض المسلمين وبعض.

نحن مجتمع واحد، مجتمع مسلم، مجتمع يقوم على الإخاء: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، مثل «مجتمع المدينة» المثالي قال الله فيه: ﴿ هُوَ الَّذِي آيَدُكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

بحسبنا - أيّها المسلمون - أن نعلم أنّنا أهل قبلة واحدة، وأهل دين

واحد، وأن غايتنا هي الله، وأنّ منهاجنا هو منهاج رسول الله ﷺ،
 ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ
 سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

نحن أحوج ما نكون إلى الأخوة، وإلى تثبيت معاني الأخوة في كل
 وقت، وفي هذا الوقت بصفة خاصّة؛ فالأمّة الإسلاميّة تتعرّض لهجمات
 أعدائها: اليهود يريدون أن يبتلعوا القدس - أو قولوا: قد ابتلعوها، كادت
 القدس تضيع، المسجد الأقصى تحته الحفريات - العراق يُهدّد بالضرب،
 السودان يضرب من الجنوب، ليبيا تُهدّد.
 كل بلد فيه مشكلة من المشكلات.

وجوب نسيان الخلافات في وقت المعركة:

ما أحوجنا إلى أن يضع كلٌّ منا يده في يد أخيه؛ في وقت المعركة
 يجب أن ينسى الجميع خلافاتهم الجانيّة، ويقفوا صفّاً واحداً، كما قال
 الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَنٌ
 مَّرْصُوصٌ﴾ [الصّف: ٤].

هكذا ينبغي للمسلم أن ينظر إلى إخوانه هذه النظرة.

لا يجوز للمسلم أن يستحلّ دماء إخوانه، ولا أن يستحلّ أموالهم،
 ولا أن يسعى في تخريب أو تدمير أو قتل أو اغتيال؛ فإنّ الله حرّم على
 كلّ مسلم دم أخيه المسلم، كما قال ﷺ: «كلّ المسلم على المسلم حرام:
 دمه، وماله، وعرضه»^(١).

(١) سبق تخريجه ص ٦٥، وفيه: «المسلم أخو المسلم».



أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْمَعَ كَلِمَتَنَا عَلَى الْهَدْيِ، وَقُلُوبَنَا عَلَى
التَّقَى، وَنَفُوسَنَا عَلَى الْمَحَبَّةِ، وَعِزَائِمَنَا عَلَى عَمَلِ الْخَيْرِ وَخَيْرِ الْعَمَلِ.
اللَّهُمَّ آمِينَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ.

* * *





قتل المُصلِّين جريمةٌ عُظمى^(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فأيتها الإخوة المسلمون:

عودة بعد غياب:

طال انقطاعي عن هذا المنبر فترة من الزمن طالت نسبيًا، وَقَعْتُ فيها وقائع، وَحَدَّثْتُ فيها أحداث، هذه الأحداث تحتاجُ إلى التعليق، وقد احترت عن أيِّ شيء أتحدَّث؟

هناك أمور كبيرة حدثت، ولكن لا ينبغي أن تشغلنا، مثل: خروج «كلينتون» من البيت الأبيض ودخول «بوش» الابن مكانه، وسقوط «باراك» وحلول «شارون» محلّه.

هذه أشياء - وإن كانت مهمّة - لا ينبغي أن تشغلنا، فتغيّر الأشخاص على المسرح مع بقاء الرواية المُمثَّلة لا يَهْمُنَّا كثيرًا.

هناك أحداث أخرى كثيرة حدثت، مثل العدوان الأمريكي البريطاني

(١) أُلْقِيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة بتاريخ ٩ ذي الحجة ١٤٢٢هـ، الموافق ٢٣ فبراير ٢٠٠١م.



المفاجئ على العراق، مثل ما يحدث في اليمن من دماء تُسْفَك، مثل الصراع الذي يحدث في السودان، مثل ما يحدث في بلاد شتى. كل هذه أمور تستحق أن نقف عندها وقفة تأمل وتعليق.

كارثة قتل المصلّين:

ولكن الشيء الذي أجبرني على التعليق، وأزعجني أيّما إزعاج، وأقلقني أيّما إقلاق، في تلك الفترة الماضية، هو: قتل المصلّين، وأنّ هناك أناساً يتقرّبون إلى الله تعالى بقتل الناس في المساجد، وهم راکعون ساجدون لله! رأيتم إلى هذه الكارثة؟! حدثت هذه الكارثة في المدّة الماضية في اليمن أكثر من مرّة، وحدثت في السودان في هذه المدّة مرّة، وهي المرّة الثانية التي تحدث في السودان. يدخل بعض الناس ببندقية أو بمدفعه الرشاش فيقتل عدداً من المصلّين، ويجهز عليهم، والعجيب أنّه يفعل ذلك تعبداً وتديّناً!

هذه كارثة تستحق أن نقف عندها.

ما الذي يجعل المسلم يدخل بيتاً من بيوت الله، والناس فيه قائمون، أو راکعون، أو ساجدون، متوجّهون فيه إلى الله تبارك وتعالى، فيستبيح دماءهم، ويستبيح قتلهم؟!

حرمة الدماء عظيمة في كلّ الأديان:

إنّ الدماء لها حرمة عظيمة عند الله في الإسلام، وفي كلّ الأديان: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

«كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ - كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ - إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا، أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا»^(١).

ويقول عليه السلام: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِْبْ دَمًا حَرَامًا»^(٢).

ويقول عليه السلام: «لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»^(٣).

والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

هذه النصوص كلها تجعل اقتراح الإنسان لهذه الجريمة كبيرة من الكبائر، وموبقة من الموبقات، بل لا يجوز الإسلام للمسلم أن يقتل كافرًا - غير محارب - بغير حق، إذا كان بيننا وبينه عهد فلا يجوز قتله، و«من قتل معاهدًا لم يَرَحْ رائحة الجنة»^(٤).

بل لم يُجَزِ الإسلام أن يقتل الإنسان حيوانًا غير مؤذٍ، وقد عَرَفْنَا أَنَّ امرأةً دخلت النار في هرة حبستها «فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خَشَاشِ الأرض»^(٥).

(١) رواه أبو داود في الفتن والملاحم (٤٢٧٠)، وابن حبان في الرهن (٥٩٨٠)، وقال الأرناؤوط: صحيح. عن أبي الدرداء.

(٢) رواه البخاري في الديات (٦٨٦٢)، عن ابن عمر. قال ابن العربي: الفسحة في الدين: سعة الأعمال الصالحة، حتى إذا جاء القتل ضاقت؛ لأنها لا تفي بوزره. انظر: شرح السنة للبغوي (١٤٩/١٠)، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، دمشق، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٣) رواه الترمذي في الديات (١٣٩٥) مرفوعًا، وموقوفًا، ورجح الموقوف، والنسائي في تحريم الدم (٣٩٨٧)، والبيهقي في النفقات (٢٢/٨)، وصححه السيوطي في الصغير (٧٢٣٦)، والألباني في غاية المرام (٤٣٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٤) رواه البخاري في الجزية (٣١٦٦)، عن عبد الله بن عمرو.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٣١٨)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

كلُّ ذي رُوح محترم في نظر الإسلام، فلا ينبغي للإنسان أن ينبغي على غيره، وأن يتعمّد قتله، فهذا من عمل الجاهليّة.

سفك الدماء في الجاهليّة:

في الجاهليّة ما كانوا يبالون بقتل النَّاس، وكانوا يُغيرون بعضهم على بعض:

وَأَخْيَانًا عَلَى بَكْرٍ أَخِينَا إِذْ مَا لَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانًا^(١)

لا يبالون بسفك الدماء، بل قتلوا أولادهم من إملاق، أو من خشية إملاق: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩].

ولذلك كان الرسول ﷺ يُحذّر أصحابه - وخصوصًا في حجة الوداع - أن يعودوا كأهل الجاهليّة، ويقول: «لا ترجعوا بعدي كفّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٢)، فهذا من عمل الكفّار ومن شأن الجاهليّة.

ويقول: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»^(٣).

فكيف يستبيح المسلم أن يقتل أخاه المسلم؟

دوافع القتل عند النَّاس:

بعض النَّاس يتقاتلون من أجل الدنيا، فيقتل الإنسان من أجل أمر من أمور الدنيا، أو في سورة من سورّات الغضب، حميّة لنفسه أو لقومه أو لغير ذلك.

(١) من شعر عمير بن شبيب القُطامي، انظر: ديوان الحماسة لأبي تمام (٢٠٣/١).

(٢) سبق تخريجه ص ٧٧.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

هذا ما يحدث، وهو ما ننكره على الناس؛ لأنَّ القتل مُوبقة من الموبقات السبع، وجريمةٌ من الجرائم العظمى، ولذلك جعل الإسلام في عقوبتها القصاص: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُوايَ الْأَلْبَبُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾، أي: فرض عليكم - كما في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] - ففي القصاص حياةٌ للناس؛ لأنَّ فيه ردعاً للقاتل حتَّى لا يعود لمثل هذا، فإذا قتلناه فقد أوقفنا نزيف الدماء، وضحينا بروح واحدة حمايةً لأرواح أخرى، هذا معنى الحياة: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُوايَ الْأَلْبَبُ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وإن كان هناك في عصرنا مَنْ يزعم الرحمة بالإنسان، كأنهم أرحم من الله بعباده، وينادون بإلغاء عقوبة الإعدام، كما حدث عند بعض الغربيين.

فالإسلام أوجب القصاص في القتل العمد: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

فقد كانوا في الجاهلية يقتلون بالواحد اثنين وثلاثة، ويقتلون غير القاتل، يقتلون شيخ القبيلة أو يقتلون كبير القوم، فجاء الإسلام وقال: لا يُقتل غيرُ القاتل: ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

لماذا يقتل الإنسان أخاه الإنسان؟ لماذا يقتل المسلم أخاه المسلم؟

دوافع قتل المصلين:

هؤلاء الذين يقتلون الناس في المساجد، ما دوافعهم إلى هذا؟

بعض الذين يكتبون في الصحف وغيرها يقولون: إن وراء ذلك الأزمات الاقتصادية، والظواهر الاجتماعية، والأسباب النفسية إلخ. وأنا أقول: هذه أمور لها دخلها من غير شك، والإسلام لا ينكر الدوافع الاقتصادية كما قال: ﴿وَلَا تَقْنُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿وَلَا تَقْنُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، أي: الفقر، فجعل للفقر دخلاً في هذه الحوادث، ولكن ليس هذا هو الدافع الوحيد أو الأساسي.

الفكر الخارجي هو الدافع:

الدافع الأساسي لهذه المآثم، ولهذه المظالم، ولهذه المذابح: دافع فكري. وراء ذلك فكر مختل، عقول فهمت الإسلام فهمًا سقيمًا، فهمًا خاطئًا، فرأينا مثل هذه المذابح.

رأينا هذه المذابح في كثير من البلدان، ليس في اليمن، ولا في السودان فقط، رأيناها في باكستان إلى اليوم، في الجزائر إلى اليوم.

هذه المذابح نشأت من هذا الفكر المختل، الفكر الخارجي؛ فقد وجدنا هؤلاء منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم، وجدناهم يستحلون دماء المسلمين؛ إنه فكر الغلو الذي حذر منه النبي ﷺ وقال: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّمَا أَهْلُكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ»^(١).

وقال: «هَلِكِ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلِكِ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلِكِ الْمُتَنَطِّعُونَ»^(٢).

(١) رواه أحمد (٣٢٤٨)، وقال مخرجه: إسناده صحيح على شرط مسلم، والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، كلاهما في المناسك، وابن حبان في الحج (٣٨٧١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٨٣)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠)، وأحمد (٣٦٥٥)، عن ابن مسعود.

الْمُتَنَطِّعُونَ: الْمُتَعَمِّقُونَ، الْمُتَشَدِّدُونَ، الْمُبَالِغُونَ فِي فَهْمِ الْأُمُورِ.

أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِهَلَاكِ هَؤُلَاءِ.

هَذَا هُوَ خَطَرُ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ.

بداية الفكر الخارجي:

وقد بدأ ذلك منذ عهد النبوة، قسم النبي ﷺ بعض أموال الغنائم على بعض الناس؛ إذ رأى أن يتألف بعض الناس بلعاعة من الدنيا، ببعض الأموال؛ لِيُحِبَّ إِلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، وَيُثَبِّتَهُمْ عَلَيْهِ، وتبقى قبائلهم على هذا الدين^(١).

فقام بعض الناس وقال: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله^(٢).

يعترض على رسول الله ﷺ، ويتهمة بالجور في قسمته وترك العدل في هذا.

غاب عن هذا الجلف - الجافي الأحق - سرُّ السياسة التي يتبعها رسول الله ﷺ، فاتَّهَمَهُ بِالْجَوْرِ وَالظُّلْمِ فِي قِسْمَتِهِ.

وهمَّ بعضُ الصَّحَابَةِ أَنْ يَضْرِبُوا عُنُقَهُ، وَاسْتَأْذَنُوا الرَّسُولَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: «لَا - ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ - إِنَّهُ سَيُخْرِجُ مِنْ ضَيْضَى هَذَا قَوْمٌ - مِنْ أَصْلِ هَذَا

(١) وكان هذا من عظيم سياسته ﷺ؛ ففي الحديث عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً - وسعد جالس - فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إليّ، فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ فوالله إنّي لأراه مؤمناً. فقال: «أَوْ مُسْلِمًا». فسكتُ قليلاً، ثمّ غلبني ما أعلم منه، فعدتُ لمقالتني، فقلت: ما لك عن فلان؟ فوالله إنّي لأراه مؤمناً. فقال: «أَوْ مُسْلِمًا»، ثمّ غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتني، وعاد رسول الله ﷺ، ثمّ قال: «يا سعد، إنّي لأعطي الرجل وغيره أحبّ إليّ منه؛ خشية أن يكبه الله في النار». متفق عليه: رواه البخاري (٢٧)، ومسلم (١٥٠)، كلاهما في الإيمان.

(٢) هو ذو الخويصرة التميمي.

الرجل سيتبعه قوم على شاكلته - يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن - يعني: عُبَاد، صَوَام، قُؤَام، قُرَاء للقرآن، ولكن يقرؤون القرآن - لا يجاوز تراقيهم - يعني: يتلونه بألسنتهم ولا تفهّمه عقولهم، ولا ترسخ معانيه في قلوبهم - يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان»^(١). يترك أحدهم الوثنيّ المُشْرِك ويقتل المسلم!

تحذيره ﷺ من الخوارج:

أخبر ﷺ أنه سيظهر هؤلاء النَّاسُ الْمُتَعَبِّدُونَ، ولكنَّ المشكلة ليست في عبادتهم، المشكلة في رؤوسهم، في عقولهم، أنهم لم يفهموا هذا القرآن، ولم يفهموا هذا الدين، وأرادوا أن يحملوا الكلَّ على أفهامهم السقيمة، وآرائهم العقيمة.

ولذلك ظهر هؤلاء في عهد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، كانوا في جيشه، ثم انشقوا عليه، طلبوا منه أن يقبل حكم المصحف في أوّل الأمر، ثم بعد ذلك قالوا: لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، الله تعالى يقول: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]. فكيف تحكّم الرجال في دين الله؟!

وكفّروا ابنَ الإسلام البكر عليّ بن أبي طالب، واستحلّوا دم فارس الإسلام، وحكيم الإسلام، وزوج فاطمة البتول، وابن عمّ الرسول، وسيف الإسلام المسلول.

كلُّ هذا نتيجة هذا الفكر المُتَطَرِّف المُغَالِي الذي خَرَجَ عن الحدود.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٤)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤) (١٤٣)، عن أبي سعيد الخدري.

هذا - للأسف - ما حدث من هؤلاء.

وقتلوا عليّ بن أبي طالب باسم الإسلام، وقال شاعرهم عمران بن حطان يمدح قاتل عليّ، عبد الرحمن بن ملجم:

يا ضربةً من تقيٍّ ما أراد بها إلاّ ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنّي لأذكره يومًا فأحسبه أوفى البريّة عند الله ميزانا^(١)

قاتل عليّ بن أبي طالب أوفى الخلائق ميزانًا عند الله! ماذا تقول في هذا النوع من الفكر؟

هذا هو الفكر الذي يستحلّ دماء النّاس وأموالهم وحُرّماتهم؛ لأنّه لم يفهم الإسلام كما ينبغي.

واجب العلماء والمربّين:

الفكر الرديء خطر على الأمّة، ولهذا كان على العلماء والدعاة والمربّين أن يُعلّموا هؤلاء الإسلام الصحيح، وأن يردّوهم بعد شرودهم إلى طريق الله، إلى طريق الحقّ، وأن يأخذوهم بالحكمة والرفق ما وجدوا إلى ذلك سبيلًا.

هذا الفكر لا يقاوم بالسيف؛ السيف يمكن أن يسكتهم فترة من الزمن، ثمّ بعد ذلك يظهرون من جديد، ولكنّ الفكر لا يقاوم إلاّ بالفكر، والشُّبهة لا تقاوم إلاّ بالحجّة، وهذا ما ينبغي أن نفعله مع هؤلاء.

(١) انظر: الأغاني (٣٣١/١٨)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ، وردّ عليه بعض العلماء فقال:

إلاّ ليبلغ من ذي العرش خسارنا
أشقى البرية عند الله ميزانا

بل ضربة من شقي ما أراد بها
إنّي لأذكره يومًا فأحسبه

هؤلاء استحلُّوا قتل المُصلِّين، مع أنَّ النَّبي ﷺ قال: «نُهِيتُ عَنْ قَتْلِ الْمُصَلِّينَ»^(١).

وحينما تحدَّث عن أمراء الجور وأمراء السوء، وقال: «وشرار أئمتكم الَّذِينَ تَبْغُضُونَهُمْ وَيَبْغُضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ». قيل: يا رسول الله، أفلا نناذبهم بالسيف؟ - أفلا نقاتلهم بالسيف؟ - قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصَّلَاة»^(٢) ما داموا يُصَلُّون فلا تُناذبوهم بالسيف؛ فالصَّلَاة عصمةٌ لهم.

واستأذنه بعض الصَّحابة أن يقتل رجلاً من المنافقين، فقال: «لعلَّه أن يكون يُصَلِّي»^(٣). فإذا صَلَّى عَصَمَتْهُ الصَّلَاة.

بل إنَّ قول: «لا إله إلا الله، محمَّد رسول الله» كافيةٌ في عصمة دم الإنسان وماله، كما جاء ذلك في أحاديث شتى:

١ - عن عمر رضي الله عنه، أنَّ النَّبي ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوا: لا إله إلا الله عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(٤)، أي: إذا كانوا يضمرون شرًّا في أنفسهم، فنحن نتعامل بالظاهر، والله يتولَّى السرائر، وحسابُهم على ما أضمرُوا إلى الله تبارك وتعالى وليس إلينا، وحسابُهم في الآخرة وليس في هذه الدنيا.

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٩٢٨)، وذكره عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الصغرى (٦٣٧/٢)، وضعفه الثَّووي في خلاصة الأحكام (٢٤٧/١)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٤١١٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٥)، وأحمد (٢٣٩٨١)، عن عوف بن مالك الأشجعي.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٣٥١)، ومسلم في الزَّكاة (١٠٦٤) (١٤٤)، عن أبي سعيد الخدري.

(٤) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢١)، عن أبي هريرة.

كلمة «لا إله إلا الله» وحدها تعصم مالَ صاحبها، وتعصم دمه.

٢ - وما حدث لسيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنه في إحدى المعارك؛ فقد لقيه مشرك فأراد أن يضربه بالسيف، فقال الرجل: لا إله إلا الله.

عندما اقترب منه أسامة، وأصبح متمكناً منه، قال الرجل: لا إله إلا الله، فضربه بسيفه فأطار عنقه.

ثم جاء إلى النبي ﷺ، وقص عليه القصة، فقال: «يا أسامة، أقتله بعدما قال: لا إله إلا الله؟!»، قال: إنه إنما كان متعوّذاً، يعني: أنه قالها ليحمي نفسه بعد أن تمكّنت منه.

قال: «أقتله بعدما قال: لا إله إلا الله؟!»، وكرّرها عليه^(١).

وفي رواية: إنما قالها خوفاً من السلاح.

قال: «أفلا شققتَ عن قلبه؟!»، أي: ما يدريك لعله في هذا الوقت انشرح صدره للإسلام.

«كيف تصنع ب: لا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟»

إذا حاجك الرجل أمام الله، وقال: قتلني هذا بعد أن قلتُ هذه الكلمة العاصمة.

قال أسامة: فما زال يُكرّرها عليّ حتى تمنيتُ أنّي أسلمت يومئذ، أي: ولو ضاع جهاده وما سبق هذه الواقعة من أعمال.

٣ - وكذلك قال المقداد الكندي للنبي ﷺ: يا رسول الله، أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فقاتلني، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذَ مني بشجرة، فقال: أسلمتُ لله، أفأقتله - يا رسول الله - بعد أن قالها؟

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٦٩)، ومسلم في الإيمان (٩٦).

قال رسول الله ﷺ: «لا تقتله».

قال: يا رسول الله؛ إنه قد قطع يدي، ثم قال ذلك بعد أن قطعها، أفأقتله؟
قال رسول الله ﷺ: «لا تقتله؛ فإن قتلته، فإنه بمنزلك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال»^(١).

يعني أن الرجل الذي قتلته بعد «لا إله إلا الله» أصبح بمنزلك قبل أن تقتله، وأنت أصبحت بمنزلته قبل أن يُقتل، يعني: أصبحت كأنك مشرك، كأنك ضيَّعتَ هذا العمل الصالح كله.
فخوّفه أن يقتل إنساناً قال: «لا إله إلا الله».

فكيف بمن قال: «لا إله إلا الله»، ودخل المسجد للصلاة؟

المسجد حماية، المسجد دار أمن، لا ينبغي أن يُقتحم المسجد من أحد، لا من حاكم، ولا من محكوم؛ الناس إذا دخلوا المسجد فقد أمنوا، لكن هؤلاء يستحلّون دماء المؤمنين ولو كانوا في بيوت الله ورسوله.

خطر الفكر الخارجي:

ما الذي أصاب هذه العقول؟

إنه الفكر الخارجي؛ فكر التكفير، يُكفرون غيرهم من المسلمين، كل من لا يؤمن بفكرتهم فهو كافرٌ حلال الدم والمال!

وقد عرف ذلك العلماء السابقون، فكانوا يلجؤون إلى مداراتهم خوفاً من أذاهم.

أحد علماء المعتزلة مرّ بجماعة من الخوارج فسألوه: مَنْ أنت؟

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٠١٩)، ومسلم في الإيمان (٩٥).

فقال لهم: مشرك مستجير.

قالوا: إِذَنْ مِنْ حَقِّكَ أَنْ نُوَصِّلَكَ إِلَى مَأْمَنِكَ، ونقرأ عليك القرآن؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

فهم أسمعوه كلام الله، وأبلغوه مأمنه حيث يريد، ولو قال لهم: أنا مسلم، لضربوا رقبتة^(١)!

هذه هي الآفة - أيها الإخوة، ولذلك قال النبي ﷺ عن هؤلاء: «يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان»^(٢).

اذهب فقاتل أعداء الإسلام، اذهب إلى الشيشان، اذهب إلى البوسنة، اذهب إلى كشمير، اذهب إلى الضفة الغربية إذا استطعت أن تصل إلى هناك، ابحث عن أعداء الإسلام، بدل أن تقتل المسلمين.

يدعون أهل الأوثان وأهل الإلحاد وأهل الكفر البواح، ويقتلون أهل الإسلام. هذه هي المصيبة - أيها الإخوة، مصيبة هذا الفكر المريض.

إنهم يكفرون الناس، وإذا كفروا الناس استحلوا دماءهم وأموالهم، والناس لم يقاتلوهم، ولم يعتدوا عليهم، كيف تقاتل إنساناً لم يعتد عليك؟

حتى ولو كان كافراً، الله تعالى يقول: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ من المشركين، ﴿وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨].

(١) هذه القصة حدثت مع واصل بن عطاء، رواها المبرد في الكامل في اللغة (١٢٢/٣)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٢) سبق تخريجه ص ٩١.



هؤلاء الكفار، فكيف بالمسلم؟

الله تعالى يقول: ﴿وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعْدُوا إِيَّاهُ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] حتى في القتال الرسمي بين الدولة الإسلامية وأعدائها.

النهى عن قتل الرهبان في الصوامع:

نجد الخلفاء الراشدين كانوا ينهون الناس عن قتل الرهبان؛ يقول سيّدنا أبو بكر لقوّاده: ستجدون رجالاً في الصوامع فرّغوا أنفسهم للعبادة، فدعّوهم وما زعموا أنّهم فرّغوا أنفسهم له^(١).

ونهى سيّدنا عمر عن قتل الحرّاثين (الزّراع والفلاحين)، وقال: اتقوا الله في الفلاحين، الذين لا ينصبون لكم الحرب^(٢).

معنى هذا: أنّه لا يُقاتل إلّا من حمل السّلاح وقاتل المسلمين، فكيف يُقتل النّاس في المسجد؟

نحن منهّيون عن قتل الرهبان في الصوامع من النصارى، فكيف نقتل المصلّين في المساجد من المسلمين؟

التكفير هو الخطر الأكبر:

هذه - أيّها الإخوة - فتنة فكرية عظيمة تدخل على بعض الشّبّان تتسلّل إليهم شيئاً فشيئاً، حتّى تُكوّن هذه الأفكار السوداء المظلمة عن المجتمع من حوله، فيرى النّاس في وادٍ وهو في وادٍ، هذا هو الخطر الأكبر.

(١) رواه الطبري في تاريخه (٢٢٥/٣، ٢٢٦).

(٢) رواه سعيد بن منصور في الجهاد (٢٦٢٥)، وابن أبي شيبة في السير (٣٣٧٩٢).

الخطر الأكبر: هو تكفير المجتمع من حوله، تكفير الناس بالجملة، باعتبار أنه هو الوحيد الذي على حق، والناس كلهم على باطل، بمن فيهم من العلماء ومن فيهم من الصُّلحاء، ومن فيهم من أهل الخير والفضلاء، كلهم - في نظره - على باطل، وكلهم كفار.

هذه هي المصيبة، ولو رجعوا إلى حقائق الإسلام لعلموا أنهم مخطئون.

لا يتسع الوقت - أيها الإخوة - لأحدثكم عن القواعد التي ينبغي أن نرجع إليها إذا أردنا أن نحاكم هذا الفكر؛ فالأصل أن الإنسان يدخل في الإسلام بـ «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وإذا دخل في الإسلام بيقين لا يخرج منه بالشك، لا يخرج منه إلا بيقين مثله، وأن يثبت كفره بالأدلة القاطعة.

المعاصي لا تكفر ولو كانت كبائر:

ولا يثبت الكفر بمجرّد المعاصي ولو كانت كبائر؛ فإنّ الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾، القصاص من القاتل المتعمّد، ثم قال: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَّ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]، أثبت أخوة الإيمان للقاتل.

ولذلك ترى القرآن يقول: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، من المؤمنين وهم يقتتلون؛ فقد يقاتل المؤمن المؤمن بناءً على تأويلات خاطئة.

وقال تعالى عقبها: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]. هناك أحاديث تتحدّث عن المعاصي كأنها كفر، ولكن الكفر منه

ما هو أكبر وما هو أصغر، الكفر منه ما يُخرج من الملة، ومنه ما لا يُخرج من الملة.

ثم إنَّ الإنسان قد يجمع بين بعض خصال الكفر والنِّفاق وخصال الإيمان؛ النَّبي ﷺ قال لأبي ذرٍّ: «يا أبا ذر، إنَّك امرؤُ فيك جاهليَّة»^(١)؛ لأنَّه قال لبعض الصَّحابة: يا ابن السوداء.

أبو ذرٍّ على سابقته وفَضْله وصدقه وثناء الرسول عليه في أكثر من حديث قال له: «إنَّك امرؤُ فيك جاهليَّة»؛ إنَّك تفاضل بين النَّاس بالألوان، هذا أسود وهذا أبيض، هذا سيد وهذا عبد، هذا عربيٌّ وهذا أعجمي.

فقد يجمع الإيمان ببعض النِّفاق وبعض شُعَب الكفر، وكما قال الله تعالى في قوم: ﴿هُمُ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، الإنسان إذن يتحرَّك إيمانه صعودًا وهبوطًا، وقوَّة وضعفًا.

الكبائر تخدش الإيمان وتنقصه، ولكنَّها لا تزيله ولا تهدمه تمامًا، «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن - أي: إيمانًا كاملاً - ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»^(٢).

المقصود بالإيمان هنا: الإيمان الكامل، فلا بدَّ أن نردَّ النُّصوص بعضها إلى بعض.

والنَّاس يتفاوتون في الدرجات، كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]، وكلُّهم من الأُمَّة المُصْطَفَاة، حتَّى الظالم

(١) سبق تخريجه ص ٧٨.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٧٥)، ومسلم في الإيمان (٥٧)، عن أبي هريرة.

لنفسه الذي يرتكب بعض المحرمات ويترك بعض الواجبات هو ممن ﴿أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ﴾. قال: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة - منزلة الاضطفاء - وكلهم في الجنة» ^(١).

لا بد أن نفقه ديننا؛ حتى نقف أمام هذه الظاهرة الخطيرة، التي تتسرب إلى شبابنا وأبنائنا، وتدخل عليهم، كما يتسرب المرض إلى الإنسان الصحيح شيئاً فشيئاً، وهو لا يشعر به.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يُنير بصائرنا، وأن يُرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويُرينا الباطل باطلاً، ويوفّقنا لاجتنابه.

اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



(١) رواه أحمد (١١٧٤٥)، وقال مخرّجه: إسناده ضعيف. والترمذي في تفسير القرآن (٣٢٢٥)، وقال: حسن غريب. وصحّحه الألباني في صحيح الترمذي (٣٢٢٥).



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

انتخاب شارون رئيس وزراء لإسرائيل:

لا شكّ أنّ الكثيرين كانوا يتوقّعون أن أتحدّث عن «شارون» ومجيء شارون بعد «باراك»، مع أنّكم تعرفون رأيي في هذه الأمور من قديم.

أنا لا أعلّق كثيرًا على تغيّر الوجوه، ما دامت السياسة واحدة، والفلسفة واحدة، والأهداف واحدة، بل الطرائق واحدة.

كلّ ما في الأمر أنّ هؤلاء يلعبون على الحبلين، ويضحكون علينا بأقوال ليس وراءها أفعال، وبوعود ليس معها إنجاز.

ماذا كسب العرب؟ وماذا كسب الفلسطينيون من بارك الذي صفّقوا له، والذي أعطاه العرب أصواتهم في الانتخابات الماضية؟ هل أخذنا من باراك شيئًا؟

لم نأخذ إلّا السراب يحسبه الظمآن ماءً، حتّى إذا جاءه لم يجده شيئًا. ما أخذنا إلّا هذه الدماء التي سُفكت، والحُرُمات التي انتهكت، والبيوت التي دُمّرت، وكلّ ما حدث منذ انتفاضة الأقصى إلى اليوم فهو من صنع باراك.

فلماذا نخاف من شارون؟ ما الذي سيحدثه شارون أكثر من هذا؟

بالعكس، أنا أفضل سياسة شارون على سياسة باراك؛ لأنّ الواضح يُريحنا؛ نريد النّاس الذين يكشفون عن أنفسهم، أمّا الذين ينوّمونا

ويُخَدِّرُونَا بالوعود المعسولة، والأقوال الزائفة، ولا يُحَقِّقُونَ منها شيئاً، فلا نستفيد من هؤلاء إِلَّا أن يضرب بعضنا بعضاً.

ما الذي حدث في عهد باراك؟

السلطة تعتقل أبناء «حماس» وأبناء «الجهاد»، وتتقرب إلى باراك بما يريده من إيقاف الانتفاضة، وإيقاف العمليات الجهادية، السلطة تحاول أن تقترب، ولكن هذه المحاولات لم تُجِدِ فتيلاً، ولم تصنع شيئاً. أنا كنتُ ممن استراح لانتخاب «نتنياهو»، وقلتُ: إنَّ هذا أوضح ممَّن كان قبله.

وأنا الآن أكثر استراحة لانتخاب «شارون»؛ لأنَّه جزَّارٌ معروف، جزَّارٌ «صبرا وشاتيلا».

الانتفاضة يجب أن تستمر وتُساند:

ودعونا نواجه الموقف بصراحة، الموقف لا يعالج إِلَّا بالمقاومة، وإِلَّا باستمرار الانتفاضة.

لا بدَّ للانتفاضة أن تستمرَّ، ولا بدَّ للانتفاضة أن تقوى، ولا بدَّ للانتفاضة أن تُساند، ولا بدَّ للمقاومة أن تؤيِّد وأن تُعضِّد.

للأسف إنَّ كثيراً من النَّاس يريدون أن تهدأ هذه الانتفاضة، ونرى ذلك في الإعلام العربي، بعد الحماس الدافق، بعد التأييد القوي، بعد أن كانت القنوات الفضائية والصحف وأجهزة الإعلام تتحدَّث كلَّ يوم، بدأ الصوت يخفت، لماذا؟

هناك أوامر وتوجيهات من السيّد الأكبر، من أمريكا بتخفيف الوضع، بالسكوت عن هذه الانتفاضة.

وقديماً - في الانتفاضة الأولى - سُئل مخطّطهم الكبير «كيسنجر»: ماذا نفعل أمام هذه الانتفاضة؟ ألا من سبيل إلى إخمادها؟
قال: بلى، هناك سبيل واحد.

قالوا: ما هو؟

قال: تمويتها إعلامياً، عتّموا عليها في الإعلام، لا تنشروا عنها شيئاً. فبدؤوا يُعتّمون عليها، وكلّما عتّم عليها رأينا الناس تضعف هممهم. الفلسطينيون أنفسهم حينما ينظرون إلى القنوات وإلى الأجهزة العالمية تتحدّث عنهم ثور ثائرتهم، وتقوى هممهم، وتنشط عزائمهم. هذه طبيعة البشر.

والآن يريدون أن يُكرّروا هذا الأمر، أن يُموّتوا هذه الانتفاضة إعلامياً.

وأنا أطالب العرب والمسلمين جميعاً أن يشدّوا أزر إخوانهم ولا يتخلّوا عنهم أبداً، أن يظلّوا مع هذه الانتفاضة يؤيّدونها مادياً ومعنوياً، بالمال وبالأنفس، وبالبدعاء، على الأقلّ ندعو لهم دائماً: أن يفتح الله لهم فتحاً مبيناً، وأن ينصرهم نصراً عزيزاً.

لا بدّ أن نقف مع إخواننا، فما أخذ بالقوّة لا يُستردّ إلا بالقوّة.

إنّ سياسة الصهاينة جميعاً سياسة واحدة، سياسة «إسرائيل الكبرى»، من الفرات إلى النيل، ومن الأرز إلى النّخيل.

هذه السياسة يمكن أن يسكتوا عنها حيناً، مرحلة من المراحل، ثمّ بعد ذلك يحاولون الكرّة ويعيدونها، ولا يوقفهم إلا أن نقف لهم

بالمرصاد، وأن نُقَوِّي إخواننا المجاهدين في داخل الأرض المحتلة، في فلسطين، في أرض النُّبُوت، أرض الإسراء والمعراج.

لا بدّ - أيّها الإخوة - أن نقف مع إخواننا ولا نتخلّى عنهم، ولا ننتظر من أمريكا ولا غير أمريكا أن تحلّ لنا المشكلة.

أمريكا الآن أرادت أن تصرف الأنظار عن المشكلة فضربت العراق، ضربت العراق بعدوان صارخ، عدوان أمريكي وبريطانيّ مباغت مفاجئ لا مُبرّر له، ولا ضرورة له، ولكنها تريد أن تشغل النَّاس عن القضية الأساسيّة، قضية فلسطين، بالحديث عمّا يجري في العراق.

وماذا فعل العراق الآن وقد قُلِّمت أظافره، ودُمِّرت أسلحته؟ ماذا يريدون؟ ماذا يريدون من العراق أكثر ممّا فعلوا؟ هل يريدون ألا يبقى في العراق أيُّ قوّة؟

هذا ما يريدونه بالفعل، هذا ما يريده شرطيّ العالم - كما يُسمُّون أمريكا! وإن كان في هذا ظلمٌ للشرطة؛ لأنّ الشرطة تحمي الأمن وتحافظ على أرواح النَّاس وأموالهم وممتلكاتهم وحُرِّماتهم، وهؤلاء لا يحافظون على أمن النَّاس، ولا على أموالهم، ولا على ممتلكاتهم، ولا على حُرِّماتهم، ولذلك أولى أن نُسمِّيها: بلطجيّ العالم - فتوّة قبضاي كما يقولون - وليس شرطيّ العالم.

هذا هو شأن أمريكا الآن، هي تقوم بدور بلطجيّ العالم الذي يفرض قوّته على النَّاس، مُدلاً بما يملك من أسلحة، وما يملك من قوّة عسكريّة وقوّة اقتصاديّة وقوّة علميّة وتكنولوجيّة.

وكان أولى بأمريكا أن تستخدم هذه القوّة في صالح البشر، وفي خير

البشر، وفي أمن البشر، وفي الوقوف مع الضعفاء ضد الأقوياء، ومع الفقراء ضد الأغنياء المُتسلّطين، ولكنهم لم يفعلوا ذلك.

يا أيّها الإخوة، لنعتمد على الله قبل كلّ شيء، ثمّ لنعتمد بعد ذلك على أنفسنا، ولن يترنا الله أعمالنا، ولن يتخلّى الله عنا: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمّد: ٧]، ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمّد: ٣٥].

أيّها الإخوة، هناك إخوة من منظّمة الدعوة الإسلاميّة يأخذون أثمان الأضاحي أو ما يتبرّع به النّاس للأضاحي، فهناك في إفريقيا آلاف وملايين يكاد الكثيرون منهم يموتون جوعاً، ومن تبرّع لهؤلاء بثمرن أضحية فقد فعل خيراً كثيراً، فجودوا بما تستطيعون، وما كان عند الله فلا يضيع، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

فضل العشر الأوّل من ذي الحجّة:

وأذكّركم بأيّام العشر من ذي الحجّة التي تبدأ من الغد؛ فهذه الأيام العمل الصالح فيها أحبّ إلى الله تعالى ممّا سواها من الأيام وأفضل ما يتقرّب به المسلم إلى الله في هذه الأيام: الصّلاة، والصيام، والصدقة، وتلاوة القرآن، وذكر الله، وفعل الخيرات. عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النّبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «ما من أيّام العمل الصالح فيها أحبّ إلى الله تعالى من هذه الأيام»: قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلّا رجلٌ خرج بنفسه وماله، ثمّ لم يرجع من ذلك بشيء»^(١).

(١) رواه البخاري في الجمعة (٩٦٩).

اللهم هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرَفَةَ عَيْنٍ وَلَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ. اللهم أعِزِّ الإسلام وأَيِّدِ المسلمين، اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود الغادرين، وانصرنا على الصليبيين الحاقدين، وانصرنا على الوثنيين المتعصبين، وانصرنا على جميع أعدائك أعداء الدين، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يردُّ عن القوم المجرمين، اللهم أدِلْ دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدعْ لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

اللهم انصر إخوتنا في فلسطين، وانصر إخوتنا في لبنان، وانصر إخوتنا في كشمير، وانصر إخوتنا في الشيشان، وانصر إخوتنا المجاهدين في كلِّ مكان، اللهم أيدهم بروح من عندك، وأمدِّهم بملا من جندك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاًهم في كنفك الذي لا يُضام.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ابْنَ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



كذبة أبريل عادة قبيحة^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

كذبة أبريل:

يَسْتَقْبِلُ النَّاسُ فِي يَوْمِ الْغَدِ: أَوَّلَ شَهْرِ نَيْسَانَ أَوْ أِبْرِيلَ، وَقَدْ تَعَوَّدَ النَّاسُ فِي هَذَا الْيَوْمِ عَادَةَ قَبِيحَةٍ، لَمْ تَنْبِتْ فِي أَرْضِنَا، وَلَمْ تَخْرُجْ مِنْ دِيَارِنَا، إِنَّمَا اقْتُبِسَتْ مِنْ بَيْئَةٍ غَيْرِ بَيْئَتِنَا، وَمِنْ بِلَادٍ غَيْرِ بِلَادِنَا.

هَذِهِ الْعَادَةُ الْقَبِيحَةُ السَّخِيفَةُ هِيَ مَا سَمَّوْهُ: كَذِبَةُ أِبْرِيلَ، أَوْ كَذِبَةُ أَوَّلِ نَيْسَانَ.

يَكْذِبُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي هَذَا الْيَوْمِ، يَتَّصِلُ أَحَدُهُمْ بِصَاحِبِهِ، أَوْ تَتَّصِلُ إِحْدَاهُنَّ بِصَدِيقَتِهَا وَتَبْلُغُهَا نَبَأًا لَا أَصْلَ لَهُ، قَدْ يَكُونُ نَبَأٌ مُفْرَحًا مُهِمًّا جَدًّا، ثُمَّ يَظْهَرُ أَنَّ هَذَا شَيْءًا لَا أَساسَ لَهُ، وَكَثِيرًا مَا يَكُونُ النَّبَأُ مُزْعَجًا مُرَوِّعًا مَفْزَعًا، يَفْزَعُ الْإِنْسَانَ لَهُ وَيُضْطَرِّبُ لَهُ قَلْبَهُ وَفُؤَادَهُ، ثُمَّ بَعْدَ مَدَّةٍ يَتَّصِلُ الشَّخْصُ ثَانِيَةً وَيَقُولُ: لَا، لَمْ يَحْدِثْ شَيْءٌ، إِنَّهَا كَذِبَةُ أِبْرِيلَ!

(١) أُلْقِيَتْ فِي جَامِعِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْدُوحَةِ فِي ٣١ مَارَسَ ٢٠٠٠ م.

وكأنّ هذا أمر سهل هيّن: أن يكذب الإنسان الكذبة؛ ليروّع بها صاحبه، ثمّ يقول له: هذه كانت مزحة، كانت هزلة.

وللأسف شاع الكذب في حياتنا كلّها، ليس هذا الأمر وحده.

كذبة أبريل حرام لوجوه:

هذا الأمر مُحَرَّم من وجوه عدّة:

الأول: أنّها كذب:

فهو مُحَرَّم لأنّه كذب، والكذب ليس من أخلاق المؤمنين، وإنّما هو من أخلاق المنافقين: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوّتمن خان»^(١)، وفي بعض الروايات: «وإن صام وصلّى وزعم أنّه مسلم»^(٢).

وفي حديث آخر: «أربعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَاهَا: إِذَا أَوْتَمَنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(٣).

المنافقون هم الكذّابون، يكذبون في الدنيا، ويكذبون في الآخرة، يكذبون على النَّاسِ، ويكذبون على الله حتّى في يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) (١٠٧)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٥٩) (١٠٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)، كلاهما في الإيمان، عن عبد الله بن عمرو.

هذا العمل محرّم لأنّه خُلِقَ منافٍ للإيمان؛ في بعض الأحاديث سئل
النبي ﷺ: أيكون المؤمن جباناً؟

فقال: «نعم».

فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟

فقال: «نعم».

فقيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟

فقال: «لا»^(١).

لأنّ الإنسان قد يكون من طبعه الجُبْن، يخاف من خياله، وقد يكون
من طبعه الشُّح، لا يجود بالمال بسهولة، فيمكن أن يكون المؤمن جباناً
أو بخيلاً، وإن كان هذا كما جاء في الحديث: «شُرُّ ما في رجل: شُحٌّ
هالِع، وجُبْنٌ خالِع»^(٢).

ولكن ليس المؤمن كذاباً، لا يكون كذاباً؛ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي
الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]،
المؤمن لا يكون كذاباً، جاء في الحديث: «يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ خَلَّةٍ - أَيِ:
على كلِّ خصلة - غير الخيانة والكذب»^(٣).

(١) رواه مالك في الكلام (٣٦٣٠)، تحقيق الأعظمي، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٤٧٢)، عن
صفوان بن سليم، مرسلاً.

(٢) رواه أحمد (٨٠١٠)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٥١١)، وابن حبان
في الزكاة (٣٢٥٠)، عن أبي هريرة.

وإنّما كان الشُّحُّ الهالِع، والجبن الخالِع شُرّاً ما في الرجل؛ لأنّ الدعوات لا تنتصر، والأمم
لا تنهض إلّا بخلقين رئيسين: السخاء الذي يهون معه بذل المال، والشجاعة التي يهون معها
بذل النفس، فإذا شحّ النَّاسُ بأموالهم، وضنُّوا بأنفسهم، فلن تقوم للأمة قائمة.

(٣) رواه البزار (١١٣٩)، وأبو يعلى (٧١١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٨): رواه البزار
وأبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح. وذكره الدارقطني في العلل (٦٠٢) مرفوعاً وموقوفاً، =

ولذلك أقول: هذا العمل القبيح - كذبة أبريل - حرام؛ لأنها كذب، وكذب صريح.

ثانيًا: أنها ترويع للمسلم بغير حق:

ثم إنها تفزع وتروّع الإنسان بغير حق، والنبِيُّ ﷺ قال: «لا يحلُّ لمسلم أن يروّع مسلمًا»، ولو كان ذلك بالمزاح والدُّعابة؛ فقد جاء في الحديث: أَنَّ الصَّحَابَةَ كانوا في مسيرة، في سفر، وكان أحدهم على راحلته فخفق - يعني: نَعَسَ - فلحظ ذلك بعض أصحابه فأخذ سهمًا من كنانته - أَحَبَّ أَنْ يُفْزِعَهُ - فانتبه الرجل ففزع، ولاحظ ذلك النَّبِيُّ ﷺ فقال: «لا يحلُّ لمسلم أن يروّع مسلمًا»^(١)، يُدْخِلُ عليه الفزع ولو كان مازحًا معه.

فهذا وجه آخر من وجوه الحرمة.

ثالثًا: أنها خيانة للصَّاحِب:

ووجه ثالث: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «كَبُرَتْ خِيَانَةٌ أَنْ تَحْدُثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مَصْدَقٌ، وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ»^(٢).

= وقال: الموقوف أشبه بالصواب. وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (٧٩٦) معلقًا على كلام الدارقطني: ومع ذلك فهو مما يحكم له بالرفع على الصحيح لكونه ممَّا لا مجال للرأي فيه. عن سعد بن أبي وقاص.

(١) رواه أحمد (٢٣٠٦٤)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأدب (٥٠٠٤)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٤٧)، عن رجال من أصحاب النبي ﷺ.

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٤٩٧١)، والطبراني (٧١/٧)، والبيهقي في الشهادات (١٩٩/١٠)، وقال النووي في الأذكار (ص ٣٣٩): رويناه في سنن أبي داود بإسناد فيه ضعف، لكن لم يضعفه أبو داود فيقتضى أن يكون حسنًا عنده، عن سفيان بن أسيد الحضرمي.

الرجل الذي يسمعك طيب القلب، مسالمًا، يصدّقك، ويأخذ الأمر مأخذ الجدّ، وأنت تكذب عليه، أنت تخون صاحبك بهذا. فهذا وجهٌ ثالث من أوجه الحرمة في هذه القضية.

رابعًا: أنها تقليد لغيرنا:

وجهٌ رابع: هو أنّ هذه العادة تقليدٌ لغيرنا، تقليدٌ أعمى؛ ننقل عن الغربيّين الغثّ والسّمين، والهزل والجدّ، والطيب والخبيث، وما يليق وما لا يليق، وهذا لا يناسب أمّة جعلها الله أمّة وسطًا، وجعلها شهيدةً على النّاس، بوّأها مكان الأستاذيّة للبشريّة، ولذلك جاء في الصحيحين: أنّ النّبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم - أو سنن من قبلكم - شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتّى لو دخلوا جحر ضبّ تبعتموهم»^(١).

الحياة الإسلاميّة تقوم على الصدق:

لا ينبغي أن يشيع الكذب في الحياة الإسلاميّة؛ الحياة الإسلاميّة تقوم على الصدق، ولا تقوم على الكذب والزّيف.

المسلم صادق، هو صادق في نفسه، وصادق مع أهله، وصادق مع النّاس أجمعين، صادق مع من يُسالم، وصادق مع من يُحارب، هو صادق في كلّ حالاته؛ فإنّ الصدق خصلة من خصال الإيمان.

كان محمّد ﷺ مشهورًا بالصدق في الجاهليّة والإسلام، وحينما جمع النّاس عند الصّفا وقال لهم: «أرأيتم لو أخبرتكم أنّ خيلًا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مُصدّقين؟»

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.

قالوا: ما جَرَّبْنَا عليك كَذِبًا^(١).

لم يكذب قَطُّ.

وقال هرقل: لم يكن لِيَذَرَ الكذب على النَّاس ويكذب على الله^(٢).

الأنبياء من أوَّل أوصافهم: الصدق والأمانة؛ كلُّ الأنبياء صادقون أمناء، وينبغي أن يكون أتباع الأنبياء صادقين في أفعالهم، صادقين في أمور حياتهم كلّها.

ولذلك إذا شاع الكذب في الحياة، فليست هذه حياةً إسلاميّة، نحن نرى حياتنا الآن - للأسف الشديد - تقوم على الكذب في أمور كثيرة: الحياة السياسيّة تقوم على الكذب، وعلى الخداع، وعلى الزّيف، والحياة الاجتماعيّة تقوم على الكذب، والحياة التجاريّة تقوم على الكذب.

انتشر الكذب بين النَّاس، وأصبحوا يقولون: هناك كذبٌ أبيض، والكذب الأبيض لا يضرُّ! فيمكن للإنسان أن يخترع له شيئاً من الأشياء أو عُذراً من الأعذار، وهو غير صحيح.

لا، إنه يضرُّ ويضرُّ، كثيرًا وكثيرًا، فلا ينبغي أن يلجأ المؤمن إلى الكذب.

حالات يجوز فيها الكذب:

الإسلام لم يُجِزْ الكذب إلَّا في حالات معيّنة، مثل ما ذكره العلماء: أن يكون هناك رجل ظالم يبحث عن إنسان بريء يريد أن يقتله بغير حقٍّ، وجاء واختبأ عندك، فلا يجوز لك أن تصدّق إذا سألَكَ هذا الظالم: رأيتَ فلانًا؟ لا تقل له: رأيته؛ لأنَّك بذلك تتسبّب في قتله بغير حقٍّ.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٧١)، ومسلم في الإيمان (٢٠٨)، عن ابن عباس.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٧)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧٣)، عن أبي

سفيان بن حرب.

وروت أم كلثوم بنت عقبة - وكانت من المهاجرات الأول - أنها لم تسمع النبي ﷺ يُرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: الحرب، فالحرب خدعة^(١)، والإصلاح بين الناس - أي: بين المتخاصمين - وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها^(٢).

فهذه الأمور الثلاثة يجوز الكذب فيها:

الموضع الأول: الكذب في الحرب:

في الحرب: فليس معقولاً إذا أخذ الإنسان أسيراً أو نحو ذلك، وسأله الأعداء أن يُحدثهم عن قوّة الجيش وأسلحته ومواضع الأسلحة، ويكشف العورات، ويدلّ على مواطن الضعف في الجبهة الداخلية، ويقول: أنا قلتُ الصدق!

لا؛ هذا الصدق يُدمّر الأمة.

الموضع الثاني: الإصلاح بين الناس:

فلا ينبغي أن ينقل المرء - وهو يحاول أن يقرب بين متباعدين أو يصلح بين متخاصمين - ما يسمع من الكلام من هذا في حقّ هذا، بل يكتُم ما سمع، أو يُزوِّقه: يحذف البعض، ويزيد البعض، بحيث يُقرب المسافة بينهما، كما جاء في الحديث الآخر: «ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس، ويقول خيراً ويَنمي خيراً»^(٣)، «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصّلاة والصدقة؟»

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٠)، ومسلم (١٧٣٩)، كلاهما في الجهاد والسير، عن جابر.

(٢) رواه مسلم في البرّ والصّلة والآداب (٢٦٠٥)، وأحمد (٢٧٢٧٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الصّلة (٢٦٩٢)، ومسلم في البرّ والصّلة (٢٦٠٥)، عن أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط.

قالوا: بلى.

قال: «إصلاح ذات البين؛ فإنَّ فساد ذات البين هي الحالقة»^(١).

وفي حديث: «لا أقول: تَحْلِقُ الشَّعْر، ولكن تحلق الدين»^(٢).

فمن أجل هذا أُجيز التزيين والتزويق للتقريب بين هذين المَتَجَافِيَيْنِ أو المَتَقَاطِعَيْنِ.

الموضع الثالث: في العلاقات الزوجية الحميمة:

كذلك علاقة الرجل مع زوجته وعلاقة المرأة مع زوجها، ليس من الضروري أن يُصارح الرجل امرأته بحقيقة ما عنده، حتَّى لو كان ينفر منها لا يقول لها: إنني أنفر منك. بالعكس يحاول أن يتودَّد لها، فتودَّد إليه، فربَّما هذا التودُّد يزيل هذه النَّفْرة.

ولذلك حينما جاء رجل إلى سيِّدنا عمر وأخبره أنَّه طلق امرأته لأنَّه سألها: هل تحبه؟ فلم تجب، فحلف عليها أن تجيبه، فقالت له: أنا لا أحبُّك. فجاء هو والمرأة إلى سيِّدنا عمر وقال: سلْ هذه لماذا طَلَّقَتْها؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، ناشدني الله أفيسعني أن أكذب؟ قال لها: نعم، إذا كانت إحداكن لا تحبُّ أحدا فلا تحدِّثه بذلك؛ فإنَّ أقلَّ البيوت ما بُني على الحبِّ، وإنَّما يتعاشر النَّاس بالأحساب والدين^(٣).

(١) رواه أحمد (٢٧٥٠٨)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الأدب (٤٩١٩)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥٠٩)، وقال: صحيح. وابن حبان في الصلح (٥٠٩٢)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤١٤)، عن أبي الدرداء.

(٢) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

(٣) رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق (١٧٨)، تحقيق مصطفى أبو النصر الشلبي، نشر مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

بالدين وبالأخلاق يتعاشر النَّاسُ.

هذه هي المواضع التي رَخَّصَ فيها الإسلام في الكذب؛ ذلك لأنَّ هذا الدين دين واقعيّ.

هناك بعض الفلاسفة المثاليين - دعاة فلسفة الواجب، مثل: الفيلسوف الألماني الشهير «كانط» - لا يسمح بالكذب في أيِّ حال من الأحوال.

ولكنَّ الإسلام دين واقعيّ يعالج الواقع بما يلزم له، فإنَّما حُرِّمَ الكذب لما يترتَّب عليه من أضرار وخبائث، فإذا كان الصدق نفسه يترتَّب عليه أضرار، فالصدق في هذه الحالة ضارٌّ.

صدق مذموم:

ولذلك قالوا: هناك صدق قبيح مذموم، منه: نقل الكلام الذي يسمعه الإنسان، وهذه هي النِّميمة؛ النِّميمة: أن تنقل الكلام الذي سمعته بالحرف من شخص إلى شخص، أو من فئة إلى أخرى؛ لتفسد ما بينهما. هذا صدق مذموم.

ومن الصدق المذموم: ثناء المرء على نفسه، أن يمدح الإنسان نفسه ويُزكِّيها عند الآخرين؛ فالله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

وذمَّ الله اليهود فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]؛ ذلك أنَّ اليهود زعموا أنَّهم شعب الله المختار.

والنَّاس يقولون في الأمثال: لا يشكر نفسه إلَّا إبليس!

ذلك أَنَّ إبليس حينما امتنع عن السجود لآدم وسئل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيٍّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ ﴿ص: ٧٥، ٧٦﴾.

في المعارض مندوحة عن الكذب:

الإسلام أباح الكذب في مواضع مُعَيَّنة لضرورات، والأصل أَنَّ المسلم لا يلجأ إلى الكذب الصَّريح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ فقد جاء عن الصَّحابة رضي الله عنهم: إِنَّ فِي الْمَعَارِضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكُذْبِ ^(١).

المقصود بالمعارض: أَنْ تُلَوِّحَ وَلَا تُصَرِّحَ، وَأَنْ تُورِّيَ بِالْكَلَامِ، أَنْ تَقُولَ الْكَلَامَ تَقْصِدُ بِهِ مَعْنَى، وَيَفْهَمُ السَّامِعُ مَعْنَى آخَرَ، وَالْمَعْنَى الَّذِي قَصَدْتَهُ صَحِيحٌ؛ كَمَا سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، حِينَ وَقَفَ عَلَى شَيْخٍ مِنَ الْعَرَبِ فَسَأَلَهُ عَنْ قَرِيشٍ، وَعَنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ؟

فَقَالَ الشَّيْخُ: لَا أَخْبِرُكُمْ حَتَّى تُخْبِرَانِي، مِمَّنْ أَنْتُمَا؟

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَخْبَرْتَنَا أَخْبِرْنَاكَ».

فَقَالَ: وَذَاكَ بِذَاكَ؟

قَالَ: «نَعَمْ».

فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ وَفَرَغَ مِنْ خَبَرِهِ قَالَ: مِمَّنْ أَنْتُمَا؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَحْنُ مِنْ مَاءٍ»، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ.

قَالَ: يَقُولُ الشَّيْخُ: مَا مِنْ مَاءٍ؟ أَمِنْ مَاءِ الْعِرَاقِ ^(٢)؟ فَفْهَمَ الرَّجُلُ كَأَنَّهُمْ جَاءُوا مِنَ الْعِرَاقِ، أَوْ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ الَّتِي فِيهَا الْآنَهَارُ.

(١) رواه ابن أبي شيبة في الأدب (٢٦٦٢٠)، عن عمران بن حصين.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٦١٦/١)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

والنبي ﷺ يقصد بقوله: «من ماء»: ما جاء في القرآن من مثل قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطَّارِق: ٥ - ٧]، ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠، ٢١].

وسئل أبو بكر رضي الله عنه: مَنْ هذا الذي معك؟

فقال: هذا الرجل يهديني السبيل^(١).

ففهموا منه: أنه الهادي الذي يدلُّه على طريق السفر، وأبو بكر يقصد يهديني إلى طريق الله، وإلى الجنة، وإلى الصراط المستقيم.

وسأل الأمير زياد بن أبي سفيان أحد التابعين، مُطَرِّف بن عبد الله: ما الذي أخرك عنا؟ صار لك مدّة لم نرك.

فقال له: أيُّها الأمير، والله ما رفعتُ جَنَبًا منذ فارقتك إلا ما رفعني الله وَجَّكَ^(٢).

ففهم: أنه كان مريضًا، ولكن حتّى الصحيح لا يرفع جَنَبًا إلا ما رفعه الله.

فبمثل هذه المعارض يمكن للإنسان أن يتخلّص من المآزق^(٣).

ولذلك كان الشعبي إذا جاءه أحد ولا يريد أن يقابله - ربما لأنّه ظالم أو فاسق - فيأمر الجارية أن ترسم دائرة وتضع أصبعها فيها، وتقول له: ليس هنا! تقصد ليس في هذه الدائرة^(٤).

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٩١١)، عن أنس.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١٢/٥٨)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٣) انظر أمثلة من المعارض التي كانوا يلجؤون إليها أحيانًا في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/١٩٠، ١٩١)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(٤) إحياء علوم الدين (١٤٠/٣)، نشر دار المعرفة، بيروت.

وهكذا كانوا يتخلّصون بمثل هذه المعاريض عند الضرورة.
لكن الأصل هو: الصدق الصريح.

شيوع الكذب في جوانب الحياة:

مشكلتنا الآن: أنّ الكذب قد شاع في كلّ ألوان الحياة الاجتماعية،
والتجارية، والسياسية.

١ - الكذب في الحياة الاجتماعية:

في الحياة الاجتماعية نجد الناس سمّوا الأشياء بغير أسمائها، زيّفوا
لها أسماء جديدة، حتّى قال أحد الشعراء:

ما كان في ماضي الزمان مُحَرَّمًا للنّاس في هذا الزمان مُباحٌ
صاغوا نُعوتَ فضائلٍ لِعُيوبِهِم فتعذّر التّمييزُ والإصلاحُ
فالفتك فنٌّ والخداعُ سياسةٌ وغنى اللُّصوص براعةٌ ونجاحُ
والعُزّيُّ ظُرْفٌ والفسادُ تمدّنٌ والكذبُ لُطفٌ والرّياءُ صلاحُ!

كذب النّاس على أنفسهم، وزيّفوا لهم مصطلحات جديدة: الانحراف
يُسَمُّونه: تطوُّراً، والفساد يُسَمُّونه: تمدُّناً، والعُزّيُّ يُسَمُّونه: تحرُّراً، وهكذا.

والبعض يقول: أنا لا أكذب ولكن أتجمّل. يعني: مكياج! والمبالغة
في المكياج - أيضاً - كذب؛ المرأة التي تُبالغ في التزيّن، والكوافير التي
تُبالغ في تزيين المرأة، هذا كلّهُ نوع من الكذب.

هذا في حياتنا الاجتماعية.

٢ - الكذب في الحياة الاقتصادية:

وفي حياتنا الاقتصادية والتجارية ساد الزيف والكذب في حياة النّاس.

كان السلف يقولون: أطيب الكسب كسب التجار، الذين إذا باعوا لم يمدحوا، وإذا اشتروا لم يذموا.

ومعنى أنهم إذا باعوا لم يمدحوا: أنهم لم يحاولوا أن يمدحوا السلعة ويؤيّنوها حتى يغزو المشتري.

وإذا اشتروا لم يذموا، لم يذموا السلعة كأن يقولوا: هذه ما تساوي شيئاً؛ حتى يُقرّر البائع بيعها بأيّ ثمن.

هكذا كانوا.

الإغراء بالشراء عن طريق المبالغة في الدعاية والإعلان:

الآن انظر: ماذا صنعت بنا الحضارة الغربيّة؟

دخلت علينا بخيلها ورجلها، وزيّنت لنا كلّ شيء: الإغراء بالشراء، التزيين المبالغ فيه، الدعاية والإعلان.

حتى إنني سمعت بعض الناس يقول: أصرف (٥٠٪) أو (٦٠٪) أو (٧٠٪) على الإعلان!

هذه هي التجارة الجديدة.

قلتُ له: هذا على حساب مَنْ؟!

لا شك أنّها على حسابي وحسابك، أنت المشتري المستهلك ستدفع هذا في النهاية.

يعني: السلعة تكلفت (٣٠)، يصرف عليها (٧٠)، ويبيعك إياها بـ (١٠٠)! لماذا؟

هذا ظلم، هذه سرقة.

لكنْ هكذا يفعل الغرب، وهكذا فعل أتباعه.

ليفعل الغرب ما يشاء، لسنا عبيدًا له. لماذا نفعل ذلك عندنا؟ لماذا نُغري الناس بأن يشتروا ما لا حاجة لهم إليه؟ ما هذا الطمع؟ وما هذا الشره؟ الإنسان بدل أن يكون عنده ألف يريد عشرة آلاف، والذي عنده عشرة آلاف يريد مائة ألف، والذي عنده مائة ألف يريد مائة مليون، والذي عنده مليون يريد عشرة ملايين، والذي عنده عشرة ملايين يريد مائة مليارًا، وعُباد المال كجهنم إذا قيل لها: هل امتلأت؟ تقول: هل من مزيد؟ ومن أجل ذلك رأينا هذا التنافس الغريب في الدعاية والإعلان، وهذه هي السوق الغربية.

أنا أعتبر أن هذا حرام، ولا أقرّه.

المبالغة في الدعاية والإعلان ليشتري الناس ما لا حاجة لهم إليه، ويرموا بسلعهم القديمة: هذا لا يجوز؛ لأننا نُغري الناس بالإسراف في الاستهلاك، والله تعالى يقول: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، ﴿وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا ۖ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

أمن أجل أن أكسب أنا، أدعو الناس إلى أن يشتروا؟

وهم يشترون - أحيانًا - بالديون، وبالتقسيط، والشراء بالتقسيط مشكلة كبيرة؛ حينما يشتري الإنسان بالتقسيط وليس عنده مال، فتتراكم الديون عليه، والدين هم بالليل ومذلة بالنهار.

هذا ما تقوم عليه التجارة الحديثة^(١).

(١) انظر كتابنا: دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ص ٢٦٩ - ٢٧٢، نشر مكتبة وهبة،

القاهرة، ط ٣، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.



جوائز السحب الكبرى:

وأعجب من ذلك: جوائز السحب الكبيرة أو الكبرى، كالسيّارات وهذه الأشياء، أنت تبيع قماشاً أو نحوه، فما دَخَلَ السيّارة في هذا؟ تُعطي الإنسان سيّارة لماذا؟

هذا يؤدّي إلى إشاعة رُوح القمار بين النَّاس، فكلُّ واحد يريد أن يكسب سيّارة مجاناً، ليس هذا هو القمار نفسه، إنّما هو روح القمار.

الإنسان يريد أن يكسب بغير جدّ، وبغير جَهد، بغير كدّ يمينه ولا عرق جبينه، بضربة حظّ يريد أن يحصل على آلاف أو ملايين!

كنتُ يوم الجمعة الماضي في دبي، وأنكرتُ عليهم في محاضرتي، قلتُ لهم: ما هذا؟

من أوّل ما نزلتُ المطار وجدتُ إعلاناً يقول: ادفع كذا وكذا واربح مليون دولار... اربح سيّارة «روز رايز»!

قلت: هذا ضدّ الإسلام، هذا قمار صريح.

إنّما أنا أتكلّم هنا عن القمار غير الصريح، كالجوائز الكبرى التي تضعها الشركات هنا وهناك؛ لتُغري النَّاس بالمزيد من الشراء، في غير حاجة إلى ذلك، هذا ليس أسلوباً إسلامياً.

هذا أسلوب يقوم على التزييف، على الكذب، يكذبون على النَّاس ليشتروا ما لا يحتاجون إليه.

وللأسف هذه الأشياء التي تُشتري ليست من مصنوعاتنا، يعني نحن نُروّج لمصنوعات غيرنا، نستورد ونريد مزيداً من الاستيراد، لو كانت من صنعنا لهان الأمر علينا.

٣ - الكذب في الحياة السياسيّة:

والسياسة أبلغ ما تكون في الكذب؛ انظروا: هذا الذي يُسمُّونه: «السَّلام»، أهو سلام؟ أم هو استسلام؟

استسلام ويسمُّونه: «السَّلام»!

هذا التركيع أو التطويع أو التميع الذي يسمُّونه: «التطبيع»! كيف نُطَبِّع ما ليس طبيعياً؟!

هذا الذي يسمُّونه: «إقامة دولة» أو «استقلال»، أين الاستقلال إذا كنت لا تملك أرضك ولا سماءك ولا مياهك، ولا تملك قرارك؟! أين هذا الاستقلال؟

هي التبعيّة، هي الخضوع الذليل لإسرائيل.

هذا الذي يسمُّونه: «الديمقراطيّة»، أيّ ديمقراطيّة؟

سباق يعدو فيه حصان واحد! ونرى مَنْ يأخذ (٩٩٪) أو (٩٩,٩٩٪)! هذا هو الزيف.

وهؤلاء الحكّام الذين يحكمون أمّتنا، يصوّرهم الإعلام أنّهم أبطال، وعباقر، ومصلحون، ولم يجد الدهر بمثلهم!

هذه حياتنا تقوم على الزيف، وعلى الكذب.

التزام الصدق وتحرّيه:

وهذه الأُمّة لا يمكن أن يستقيم حالها، ولا يمكن أن ترقى، وتتبوّأ مكانها تحت الشمس، وأن تستعيد مجدها المسلوب، وتاريخها المغصوب، إلّا إذا التزمت الصّدق.

عليكم بالصدق، كما قال ابن مسعود، عن النبي ﷺ: «عليكم بالصدق؛ فإنَّ الصدق يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرَّى الصدق، حتَّى يُكتب عند الله صديقًا. وإيَّاكم والكذب؛ فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرَّى الكذب، حتَّى يُكتب عند الله كذابًا»^(١).

الصدق فيه النجاة:

يجب أن نتحرَّى الصدق وإن رأينا فيه الهلكة؛ فإنَّ فيه النجاة، وأن نتجنَّب الكذب وإن رأينا فيه النجاة، فإنَّ فيه الهلكة.

يقول الشاعر:

عليك بالصدق ولو أنَّه أحرقتك الصدقُ بنار الوعيدِ
فإنَّ أغبى النَّاس في دينه مَنْ أسخط المولى وأرضى العبيد^(٢)

هذا هو أغبى النَّاس، وأجهل النَّاس، مَنْ يرضي النَّاس بسخط ربِّه وعجل.

عُرض رجل على الحجاج، وقد زعم أهله أنَّه مجنون، كان قد انتقد الحجاج فأخذ إلى السجن، فذهب أهله وقبيلته وقالوا: يا أيُّها الأمير، هذا رجل مجنون تأتي إليه نوبات.

وكانوا قد اتَّفَقوا مع صاحبهم هذا أنَّه إذا لقي الحجاج يتظاهر بالمجنون، ولكنَّ الرجل حينما لقي الحجاج كلَّمه كلام العاقل اللبيب الحكيم، فقال له الحجاج: إنَّ قومك يزعمون أنَّك مجنون!

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٩٤)، ومسلم في البرِّ والصَّلة (٢٦٠٧).

(٢) البيت في مقامات الحريري ص ٢١٠، نشر مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٣م.

فقال: ما كنت لأزعم أن الله ابتلاني وقد عافاني.

فقال الحجّاج: خلّوا عنه، هذا رجل صادق نجّاه الصّدق^(١).

حاجة الأمة إلى الصدق:

الأمة تحتاج إلى أن تصدق، يصدق حكامها، يصدق علماءها، يصدق مربّوها، يصدق تجّارها، يصدق كلّ إنسان فيها: التلميذ في مدرسته، والموظّف في مكتبه، والعامل في مصنعه، والفلاح في مزرعته، والقاضي في محكمته، والرئيس في ديوانه، وكلّ إنسان في مكانه.

على الجميع أن يلتزموا الصدق؛ فليس هناك أفضل من أن يشيع الصدق في أمة من الأمم.

أمّا إذا شاع الكذب فليس وراءه إلّا الشرُّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى﴾ [طه: ٦١].

فالزموا الصدق - أيّها المسلمون، وكونوا صادقين في أحوالكم كلّها: الصدق في القول، والصدق في العمل، والصدق في مقامات الدين، كما قال وعجّل في وصف أهل البرّ والتقوى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

(١) انظر: وفّيات الأعيان لابن خلكان، (٣٨/٢)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

أنواع الكذب:

إنَّ الكذب آفة من أعظم الآفات، ورذيلة من أقبح الرذائل، ولكنَّ الكذب ألوانٌ وأنواعٌ غير التي سبق بيانها، وهي الكذب في الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، ومن هذه الألوان:

١ - الكذب في الشهادة:

هناك كذب يُعتبر من الصغائر، وهناك كذب يُعتبر من الكبائر الموبقة، مثل الكذب في الشهادة، شهادة الزور، ولذلك قال النبي ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» (ثلاثاً).

قالوا: بلى، يا رسول الله.

قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين».

وجلس وكان متكئاً فقال: «ألا وقول الزور»، فما زال يكررها حتى قال الصحابة: ليتة سكت^(١)؛ إشفاقاً عليه ﷺ.

٢ - الكذب في اليمين:

وكذلك الكذب في اليمين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْفَيْكَةِ وَلَا يَزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧]، «واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع»^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٤)، ومسلم في الإيمان (٨٧)، عن أبي بكرة.
(٢) رواه القضاعي في مسنده (٢٥٥)، والبيهقي في الإيمان (٣٥/١٠)، وقال: والحديث مشهور بالإرسال. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٩١)، عن أبي هريرة. ومعناه كما أوضح المناوي: أن الحالف يفتقر ويذهب ما في بيته من الرزق، وقيل: و أن يفرق الله شمله ويغير =

فالإنسان الذي يحلف على الكذب ويوثق كذبه باليمين وباسم الله وَجَلَّ، هذا لا يهاب جلال الله، ولا اسم الله.

٣ - الكذب على النبي ﷺ:

ومن شرّ أنواع الكذب أيضًا: الكذب على الله ورسوله، كما قال النبي ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعِدَةَ مِنَ النَّارِ»^(١).

ولذلك على المسلم أن يحرص ألا ينقل الأحاديث المكذوبة؛ لأنه إذا نقلها وهي مكذوبة فهو أحد الكاذبين، كما قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي حَدِيثًا، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ»^(٢).

عليه أن يتحرّى، ولا يأخذ من كل ما هبّ ودبّ، لا يأخذ من الأحاديث إلا ما قرأه في كتاب موثّق معتمد، يُعرّف الصحيح من غير الصحيح، أو من عالم معتمد، وليس كل مَنْ وقف على المنبر معتمدًا، وليس كل مَنْ جلس في المسجد معتمدًا.

لا يعرف هذا إلا أهله، ﴿وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

٤ - الكذب في الرؤيا:

ومن أقبح أنواع الكذب: الكذب في الرؤيا، كما جاء في الصحيح،

= عليه ما أولاه من نعمه. انظر: فيض القدير (٣٦٥/٥)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١١٠)، ومسلم في المقدمة (٣)، عن أبي هريرة. وقد ذكره ابن الجوزي في مقدمة الموضوعات (٥٦/١)، عن أكثر من ستين نفسًا، وهو حديث متواتر مشهور.

(٢) رواه مسلم في المقدمة (٨/١)، وأحمد (١٨٢٤٠)، والترمذي في العلم (٢٦٦٢)، وقال: حسن صحيح. عن المغيرة بن شعبة.

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرَى - أي: من أشدّ أنواع الكذب والفرية - أَنْ يُرَى - أي: الرجل - عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَهُ»^(١)؛ كَأَن يَقُول: رَأَيْتُكَ فِي رُؤْيَا تَلْبَس أَخْضَرَ فِي أَخْضَرَ، وَحَوَالِيكَ كَذَا وَكَذَا.
فَقَطْعًا هَذَا لَيْسَ وَرَاءَهُ إِلَّا التَّدْلِيلُ وَالتَّزْيِيفُ.

٥ - كذب الملوك والرؤساء:

وَمِنْ أَقْبَحِ أَنْوَاعِ الْكَذِبِ: كَذِبُ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»^(٢).

«وَمَلِكٌ كَذَّابٌ»: لِأَنَّ الْأَصْلَ أَنْ يَكُونَ قُدُوءٌ لَشَعْبِهِ، وَالنَّاسُ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِمْ وَرُؤَسَائِهِمْ، وَلَكِنَّهُ يَكْذِبُ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَكْذِبُ إِلَّا لِيُضِلَّ النَّاسَ، وَيُدْجِلَّ عَلَيْهِمْ.

فَكَذِبُ هَؤُلَاءِ مِنْ شَرِّ أَنْوَاعِ الْكَذِبِ، خُصُوصًا كَذِبُ التَّزْيِيفِ فِي الْإِنْتِخَابَاتِ وَغَيْرِهَا.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُفَقِّهَنَا فِي دِينِنَا، وَأَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَنَاقِبِ (٣٥٠٩)، عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ (١٠٧)، وَأَحْمَدُ (١٠٢٢٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

الخطبة الثانية

أما بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:
أتحدّث في هذه الكُليّمات عن أمرين:

الأمر الأول: إضراب إخواننا في فلسطين:

هو ما حدث بالأمس؛ فقد أضرب إخواننا في فلسطين، في الضفّة الغربية وقطاع غزّة، وفي فلسطين المحتلة، أضربوا من أجل يوم الأرض، الأرض التي اغتصبها الصهاينة قديمًا، ولا يزالون يغتصبونها إلى اليوم، قرية بعد قرية، ومساحة بعد مساحة.

يفرضون هذا بالقوّة، ولا يملك أحدٌ أن يقول لهم: لا.

وأرى إخواننا الفلسطينيين المساكين يذهبون إلى الأرض حينما تأتي «البلدوزرات» وتريد أن تسويها، ويقفون هناك ويصرخون، ولكنّ الآلات الجهنميّة لا تُبالي بهم.

وكان المفروض أن يكون هذا اليوم يوم العرب جميعًا، والمسلمين جميعًا، يتجاوب المسلمون مع هذا اليوم الذي تُغتصب فيه الأرض أمام أعيننا، ونحن نرى ونسمع.

لم يُعد لنا حُجّة؛ كان النَّاس زمانًا لا يرون ولا يسمعون، ولكن الآن بالتلفزيونات والقنوات الفضائيّة أصبحنا نسمع ونشاهد، فلم يُعد لنا عذر، وقامت علينا الحُجّة، وحقّت علينا الكلمة.

فإلى متى نظلُّ نائمين، ويظلُّ إخواننا يصرخون وحدهم، ولا مغيث؟!!

اليهود في أنحاء العالم يقفون وراء إسرائيل، كلُّ يهوديٍّ في المشرق أو في المغرب يرى نفسه مسؤولاً عن إسرائيل، فلماذا لا يكون المسلمون - كلُّ المسلمين - مسؤولين عن فلسطين، عن القدس، عن المسجد الأقصى؟ هذا الواجب.

الواجب: أن نكون جميعاً حيثما كنّا - في شمال أو جنوب - مسؤولين عن هذه الأرض المقدّسة، أرض النّبوات، وأرض الإسراء والمعراج، أرض المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، ومسجد الخليل.

الأمر الثاني: زيارة البابا للأراضي المقدّسة:

حول زيارة البابا «يوحنا بولس الثاني» إلى الأراضي المقدّسة في فلسطين. لقد ضلّلتنا أجهزة الإعلام العربيّة، ضلّلتنا الصّحف، وضلّلتنا الإذاعات، وضلّلتنا التلفزيونات والقنوات الفضائيّة، وزعمت أنّ البابا اعتذر عن الحروب الصليبيّة، هكذا قالوا.

وقلتُ في نفسي وقتها: ولكن لماذا لم يعتذر للمسلمين؟ اعتذر لليهود مباشرة، فلماذا - إذا كان اعتذر عن الحروب الصليبيّة - لم يعتذر للمسلمين؟ لماذا لم يعتذر عمّا سُفك من دماء بعشرات الآلاف ومئات الآلاف؟

ملايين الضحايا كانت من نتائج الحروب الصليبيّة.

ثمّ كتب أخونا الكاتب الإسلاميّ الكبير الشهير الأستاذ فهمي هويدي في مقالته التي نُشرت في عدد من الصحف العربيّة، ومنها صحيفة «الشرق» القطريّة، قال: «نحن لسنا طرفاً في اعتذار البابا، البابا اعتذر صراحةً لليهود في كلمته التي ألقاها»، وذكر: أنّ هناك إعلانين: إعلان للبابا، ووثيقة تُعدُّ منذ ستّ سنوات، وإعلان البابا ليس فيه شيء قُطُّ عَنَّا.

ولكن في هذه الوثيقة ذُكرت الحروب الصليبيّة في أربعة سطور، والوثيقة من حوالي ثلاثين صفحة. وهذه الأربعة سطور جاءت بصيغة الاستفهام. سئل سؤالاً: هل هناك ما يستدعي الاعتذار عن هذه الحروب؟ وأجابه باستفهام آخر. أجاب عن السؤال بسؤال، ولم يحدث أيُّ اعتذار بأيِّ لون من الألوان.

فما هذا الذي جرى؟ لماذا ضلّلتنا الأجهزة كلّها، وزعمت أنّ البابا اعتذر عن الحروب الصليبيّة؟

مع أنّ هناك من النَّاس - حتّى من غير المسلمين من بعث إلى البابا - مثل الدكتور جورج جبور، الذي لقيني في المؤتمر القومي الإسلامي في بيروت، وأهدى لي رسالته التي بعث بها إلى البابا، ويطلب فيها ما يشبه الاعتذار - لم يطلب منه الاعتذار، وإنّما ما يشبه الاعتذار - عمّا جرى في الحروب الصليبيّة.

ولكن لا حدث اعتذار، ولا ما يشبه الاعتذار بأيِّ حال من الأحوال. هذا هو موقعنا، وينبغي أن نعلم هذا ولا نبالغ في هذه الأمور؛ حتّى لا نُضلّل عن أهدافنا، ونُضلّل عن طرائقنا، ونُضلّل عن الموقف الصحيح، الذي يجب أن نقفه من هذه القضايا.

أسأل الله العظيم أن يجعل يومنا خيراً من أمسنا، وأن يجعل غدنا خيراً من يومنا، وأن يُحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأن يجيرنا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].



المرأة ودورها في الحياة

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

شهدتُ قطر في الأيام الماضية ندوةً عالميةً عن المرأة ودورها في السياسة والتنمية، ومن حقّ المرأة بعد أن تعلّمت وعلمّت أن يكون لها دورها في السياسة، وفي تنمية البلاد، وفي مجالات الأنشطة المختلفة؛ فقد تعلّمت المرأة كما تعلّم أخوها الرجل، بل تفوّقت عليه في كثير من الأحيان، في الشهادات الثانوية نجد الفتاة تحصد المراتب الأولى من مراتب المتفوّقين، وفي جامعة قطر الطالبات أكثر عددًا، وأشدّ حرصًا على التعلّم، وأكثر تفوّقًا.

حقّ المرأة في المشاركة في الحياة العامّة:

ومن هنا كان من حقّ المرأة أن يكون لها دورها في الحياة العامّة، وهذا لا يمنع منه الإسلام، بل الإسلام يُرحّب بأن تكون المرأة إلى جانب شقيقها الرجل في مناشط الحياة العامّة، ما دامت ملتزمة بالضوابط الشرعيّة.

القرآن الكريم يقول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، في مقابل قوله: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

فإذا كان شأن مجتمع المنافقين: أن المنافقات بجوارهم، يأمرن جميعاً بالمنكر، وينهون عن المعروف، فمجتمع المؤمنين: المؤمنات بجوار المؤمنين، والجميع يقومون بدور واحد هو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة دين الله في الأرض.

النبي ﷺ يقول: «النساء شقائق الرجال»^(١)؛ فالمرأة شقيقة الرجل، والقرآن الكريم يقول: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، أي: المرأة من الرجل، والرجل من المرأة، هو يكملها وهي تكمله، لا يستغني الرجل عن المرأة، ولا تستغني المرأة عن الرجل، هذا ما يُقرّره القرآن، فليس هناك خصومة ولا عداوة بين الرجل والمرأة، كما تُصوّر ذلك بعض الفلسفات والديانات. لا، ﴿بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢٥].

دور المرأة في عصر النبوة:

ومن ينظر إلى المرأة في عصر النبوة، يجد أن المرأة وقفت مع الرجل من أول يوم، فأول صوت ارتفع بتأييد دعوة محمد ﷺ لم يكن صوت رجل، بل كان صوت امرأة؛ إنه صوت خديجة رضي الله عنها.

(١) رواه أحمد (٢٦١٩٥)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. وأبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)، كلاهما في الطهارة، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٥)، عن عائشة.

وأول دم أريق في الإسلام، أول شهيد في تاريخ الإسلام، لم يكن رجلاً، بل كان امرأة: سمية (أم عمّار) وزوج ياسر رضي الله عنهم جميعاً^(١).

كان للمرأة دورها منذ بداية التاريخ الإسلامي، شاركت المرأة في نصرة الدعوة الإسلامية، وشاركت في بناء الحضارة الإسلامية.

المرأة هاجرت مع زوجها إلى الحبشة؛ كانت أسماء بنت عميس مع زوجها جعفر بن أبي طالب في الحبشة، وظلّوا هناك حتى جاؤوا في السنة السابعة للهجرة من الحبشة إلى المدينة^(٢).

كانت المرأة ممّن بايع النبي ﷺ بيعة العقبة قبل الهجرة مع الأوس والخزرج.

وكانت المرأة - بعد الهجرة - ممّن قاتل مع رسول الله ﷺ في الغزوات، حتى ترجم الإمام البخاري في صحيحه «باب: غزو النساء وقتالهن»^(٣)، وذكر أمّهات المؤمنين والصحابيات اللاتي شاركن في غزوات النبي ﷺ.

وَمَنْ مَّنَّا لَا يَذْكُرُ نَسَبِيَّةَ بِنْتِ كَعْبِ (أُمِّ عِمَارَةَ) الْأَنْصَارِيَّةِ وَقِتَالِهَا فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا التَّفْتُ يَمِينًا وَشِمَالًا إِلَّا وَأَرَاهَا تَقَاتِلُ دُونِي»^(٤)!

(١) انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٧٦٨٩)، تحقيق عادل بن يوسف العزاوي، نشر دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣٢٣/١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، قبل حديث (٢٨٨٠).

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات (٤١٥/٨)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٦٨م.

المرأة كان لها دورها في عهد النبوة، ونزل القرآن في عدة سور ليتحدث عن المرأة، وبعض السور أسماؤها تحمل اسم المرأة أو وصفها، فهناك سورة «مريم»، وهناك سورة «المجادلة»: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١].

وقد رأى بعض الصحابة امرأة تسير مع عمر وتطيل الكلام معه، فاعترض رجل وقال: يا أمير المؤمنين، حبست رجالات قريش على هذه العجوز؟

قال: ويحك أتدري من هذه؟

قال: لا.

قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات؛ هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل، ما انصرفت حتى تقضي حاجتها^(١).
﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١].

هناك سورة «المتحنة»: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [المتحنة: ١٠].

وفي هذه السورة نفسها بيعة النساء للنبي ﷺ في يوم الفتح: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِيَنَّ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَعْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المتحنة: ١٢].

كان للمرأة دورها في الحياة الإسلامية.

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٨٦)، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي، نشر مكتبة السوادي، جدة، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

تراجع دور المرأة في الحياة الإسلامية:

ثمَّ جاء دور التراجع، تَرَجَّع دور المرأة مع تراجع الحضارة الإسلامية وتخلُّف المسلمين، وشاعت أحاديث موضوعة مثل: «لا تعلِّمونهنَّ الكتابة»^(١)، ومثل: «شاورهنَّ وخالفوهنَّ»^(٢)، ومثل: «دفن البنات من المكرمات»^(٣) إلى آخره^(٤).

وشاعت كذلك فتاوى متشدِّدة منعت المرأة أن تذهب إلى المسجد للصلاة!

في أوَّل الأمر أجازوا للمرأة الكبيرة في السنَّ أن تذهب إلى المسجد، ثمَّ جاء المتأخرون من الفقهاء وقالوا: لا، حتَّى المرأة العجوز لا يجوز أن تذهب إلى المسجد، كما يقول الشاعر:

لِكُلِّ ساقِطَةٍ في الحَيِّ لاقِطَةٌ وكلُّ كاسِدةٍ يومًا لها سُوقٌ^(٥)!

المرأة العجوز لها رجل (شايب) ينظر إليها، فمَنعًا للفتنة - كما قالوا - منعوا النِّساء من الذَّهاب إلى المساجد! وحرمت المرأة من الذهاب إلى المساجد في أكثر البلاد الإسلامية.

(١) رواه الحاكم في التفسير (٣٩٦/٢)، وصحح إسناده، وتعقبه الذهبي: بل موضوع. والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٢٧) قال: وهذا بهذا الإسناد منكر. عن عائشة.

(٢) قال السخاوي في المقاصد الحسنة (٥٨٥): لم أره مرفوعًا... وقد استشار النبي ﷺ أم سلمة كما في قصة صلح الحديبية، وصار دليلاً لجواز استشارة المرأة الفاضلة؛ لفضل أم سلمة ووفور عقلها. وقال الألباني في الضعيفة (٤٣٠): لا أصل له.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٢٢٦٣)، والكبير (٣٦٦/١١). وقال ابن الجوزي في الموضوعات (٢٣٦/٣): لا يصح عن رسول الله ﷺ. وقال الألباني في ضعيف الجامع (٢٧٩٥): موضوع.

(٤) مثل أحاديث: «طاعة المرأة ندامة»، «هلك الرجال حين أطاعت النِّساء فإنَّ في خلافهنَّ البركة»، «للمرأة ستران: القبر والزَّوج»، «نعم الصهر القبر»، «مثل المرأة الصالحة في النِّساء كمثل الغراب الأعصم بين مائة غراب».

(٥) ذكره من غير نسبة ابن عابدين في رد المحتار (٤٦٤/٢)، نشر دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م. والبيت مأخوذ من المثل السائر: لكل ساقطة لاقطة.

قد سمعنا أنَّ في السودان بعض النساء يعشن ويمتن ولا يركعن لله
ركعة، لماذا؟

لأنهنَّ لم يجدنَّ مَنْ يُعَلِّمهنَّ.

حُجَّة المانعين للمرأة من الحضور إلى المسجد:

الفقهاء الذين منعوا المرأة من المسجد قالوا: على أبيها أن يُفَقِّهها في الدين، أو على زوجها أن يُعَلِّمها الدين، ولكنَّ الزوج لم يُعَلِّم، والأب لم يُفَقِّه؛ لأنَّ الأب - أو الزوج - نفسه كان يحتاج إلى مَنْ يعلمه، وفاقده الشيء لا يعطيه، وقد ضلَّ من كانت العميان تهديه.

حُرِّمَت المرأة من العبادة، ومن العلم.

ذهبتُ إلى بعض البلاد الإسلاميَّة - في الهند وباكستان وبنغلاديش - وحاضرتُ الرجال في المساجد، ولم أجد امرأة واحدة، فقلتُ لهم: أين النساء؟

قالوا: المذهب الحنفيُّ يمنع وصول المرأة إلى المسجد!

قلت: هذه فتوى قديمة، المرأة الآن ذهبت إلى المدرسة، وإلى الجامعة، وإلى السوق، وسافرت في الطائرات، فلماذا تُمنع من المسجد وحده؟

الفقهاء قالوا: على الأب أن يُعَلِّمها، هل حينما ستعود إلى بيتك ستقصُّ عليها هذه المحاضرة التي سمعتها؟

قال أحدهم: لا.

قلتُ: فلماذا تحرمونهنَّ؟

أبو حنيفة هذا هو الذي أجاز للمرأة أن تكون قاضية في غير المسائل الجنائيَّة، وأبو حنيفة هو الذي أجاز للمرأة أن تُزوِّج نفسها من كفء ولو

بغير إذن وليّها، فلماذا تتركون هذا، وتأخذون هذا الجانب المتشدد من المذهب، الذي قيل في زمن معيّن؟
ينبغي أن يتغيّر إذا تغيّر الزمن؛ فالفتوى تتغيّر بتغيّر الزمان والمكان والحال.

هكذا رأينا المسلمين في عصرنا، مع أنّ المرأة في عصر النبوة كانت تذهب إلى المسجد في الصلوات الخمس، وفي صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولم يكن الطريق مرصوفاً ولا مُضاءً، وقال النبي ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»^(١)، يعني: إذا خرجت المرأة تريد أن تذهب إلى المسجد للصلاة، أو لدرس العلم، أو لموعظة، فلا يجوز لزوجها بحال أن يمنعها.

تقاليد غريبة عن الإسلام:

شيوع هذه الفتاوى، وشيوع تقاليد غريبة عن الإسلام في كثير من المجتمعات حتّى إنّ الرجل ليستنكف ويخجل أن يتحدّث عن اسم امرأته! كأنّ اسم المرأة عيب، أو عورة؛ يقول: الجماعة، العيال، الأولاد، الأهل، الزوجة! ونحن نقرأ: عن عائشة بنت أبي بكر، عن حفصة بنت عمر، عن ميمونة بنت الحارث، رضي الله عنهنّ، ولا حرج في ذلك، ونعرف أسماء بنات النبي، وزوجاته، وعمّاته، وأمه، بل بعضهم إذا ذكر اسم المرأة يقول: أعزّك الله، كأنّ اسم المرأة نجس أو رجس من عمل الشيطان!
هذا ما أنزل الله به من سلطان.

ضياح قضية المرأة بين الإفراط والتفريط:

إنّ قضية المرأة ضاغت بين الإفراط والتفريط، ككثير من قضايا

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٩٠٠)، ومسلم في الصلاة (٤٤٢)، عن ابن عمر.

الفكريّة والاجتماعيّة الكبرى، أضاعها الغلو والإفراط من ناحية، وأضاعها التسبّب والتفريط من ناحية أخرى.

ومن قديم اختلف الفلاسفة والحكماء والشعراء في قضية المرأة، حتّى قال بعض الحكماء: المرأة شرٌّ كلّها، وشرُّ ما فيها أنّه لا بدّ منها^(١)!

والعجيب أن بعضهم ينسب هذا إلى أبي طالب عليه السلام.

قلتُ له: هل يقول هذا عليّ بن أبي طالب عن زوجته فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين؟ أو عن بناته أم كلثوم وزينب وفاطمة؟ مستحيل أن يقول ذلك، فهذا ضدّ القرآن، وضدّ السنّة.

أحد الشعراء يقول:

إِنَّ النِّسَاءَ شَيَاطِينَ خُلِقْنَ لَنَا نَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ

وردّ عليه الآخر بقوله:

إِنَّ النِّسَاءَ رِيَاحِينَ خُلِقْنَ لَنَا وَكُنَّا نَشْتَهِي شَمَّ الرِّيحِ

قلت لمن قال ذلك: أنا أعارض الشاعرين، أعارض الأوّل والثاني؛ فالنساء رياحين، ولكنّها لم تخلق لنا؛ ما معنى أنّ المرأة خلقت للرجل؟

المرأة خلقت لنفسها؛ لتقوم برسالة كما يقوم الرجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، رجالاً ونساء.

(١) مستحيل أن يخلق الله شراً كاملاً، انظر كتابنا: فتاوى معاصرة (٤٢١/١ - ٤٢٥)، نشر دار القلم، الكويت.

(٢) البيت لأحد أدباء البصرة مرّ بنسوة فأعجبه حالهن؛ فقال: إِنَّ النِّسَاءَ شَيَاطِينٌ... البيت فأجابته إحداهن: إِنَّ النِّسَاءَ رِيَاحِينَ. انظر: الأذكياء لابن الجوزي ص ٢٢٠، نشر مكتبة الغزالي.

فالمراة لم تخلق للذة الرجل، أو لخدمة الرجل، بل الفقهاء يقولون: إن المرأة لا يجب عليها خدمة زوجها.

معظم فقهاء المذاهب الأربعة يقولون: تتفضل هي على زوجها فتخدمه، فذلك من مكارم أخلاقها، ومن العشرة بالمعروف.

والشاعر الآخر يقول:

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَايَاتِ جُرُّ الذُّيُولِ^(١)

لكن النساء في عصر النبي ﷺ قاتلن وقتلن، والقرآن يقول: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي بِبَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلْزَمَ الْهَاجِرُونَ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْذَوْا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتِلُوا لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا تُدْخِلْتَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وهذا من الفريقين، من الجنسيتين؛ لأنه قال: ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي بِبَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلْزَمَ الْهَاجِرُونَ وَأَخْرَجُوا﴾ [آل عمران: ١٩٥]، أي: من الرجال والنساء جميعًا.

فهذا الذي قاله الشاعر أمر مرفوض.

ويقول الآخر - وقد تولت إحدى النساء منصب الكتابة في الدولة:

مَا لِلنِّسَاءِ وَلِلْكِتَابَةِ وَالْعَمَالَةِ وَالْخَطَابَةِ؟

هَذَا لَنَا وَلِهِنَّ مَنَا أَنْ يَبْنَى عَلَى جَنَابَةِ^(٢)

(١) من شعر عمر بن أبي ربيعة. انظر: سمط النجوم العوالي (١/١٦٥)، تحقيق عادل أحمد

عبد الموجود وعلي محمد معوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٢) من شعر البسامي، كما في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب

الأصفهاني (١/١٣٠)، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.

النظرة الدونية للمرأة:

هذا ينظر نظرة دونية للمرأة، كأن المرأة خُلقت للشهوة والغريزة فقط. لا؛ الشهوة والغريزة مشتركة بين الرجل والمرأة؛ القرآن يقول: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فلماذا يقال هذا عن النساء؟ شاعت نظرة دونية مؤسفة للمرأة في كثير من البلاد، وظهرت في تفاسير بعض المفسرين، وفي أقوال بعض الفقهاء، وهذه النظرة ليست من الإسلام في شيء.

ما يريده المفردون من المرأة:

ضاعت قضية المرأة بين المفردين والمفردتين^(١).

هناك المفردون الذين أرادوا من المرأة المسلمة أن تتبع المرأة الغربية شبرا بشبر، وذراعاً بذراع، لا يريدون لها أن تحتفظ بشخصيتها الإسلامية، بقيمتها، بشريعتها، بضوابطها، وإنما يريدون لها أن تتسيب وأن تخرج كاسية عارية، كما قال النبي ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مُميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة - كأنما يصور هؤلاء اللائي يلبس الباروكات - لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»^(٢). هذا صنف المفردين.

ما يريده المفردون من المرأة:

وصنف آخر - وهم المفردون - يريد أن تظل المرأة حبيسة البيت

(١) أو بتعبير الشيخ الغزالي ٥: بين التقاليد الراكدة والوافدة.

(٢) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨)، وأحمد (٨٦٦٥)، عن أبي هريرة.

لا تخرج منه، حتَّى إِنَّ بعضهم قال، ويا لهَوْلٍ ما قال: إِنَّ المرأة الصالحة لا تخرج من بيتها إِلَّا مرَّتَيْن: مرّة من بيت أبيها إلى بيت زوجها، والأخرى من بيت زوجها إلى قبرها!

هذا عجيب، مع أَنَّ القرآن يجعل الإمساك في البيوت والحبس فيها عقوبة للمرأة الزانية، كانت عقوبة في أوّل الإسلام، حتَّى شُرعت الحدود، واستقرّت الأحكام: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيكَ الْفَحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥].

في بعض بلاد الخليج رفضوا أن تكون للمرأة حقُّ التصويت في الانتخاب، ناهيك بأن تُرشح نفسها في المجالس النيابية أو المجالس البلدية! وهذا - والله - ليس من الإسلام في شيء، إِنَّها غلبة العصبية والتقاليد على التعاليم الإسلامية، أمّا التعاليم الإسلامية فتُطلق المرأة لتعمل جنبًا إلى جنب الرجل. قالوا: المرأة نصف المجتمع.

وهذا صحيح من الناحية العددية، ولكن المرأة أكثر من النصف؛ لأنّها تؤثر في النصف الآخر، تؤثر في زوجها إيجابًا أو سلبيًا، وتؤثر في أبنائها إيجابًا أو سلبيًا، ولهذا لا يجوز أبدًا أن نُعطّل هذه الرّثة، أو نهض هذا الجناح من جناحي المجتمع، بل يجب أن نعدّها إعدادًا ليكون تأثيرها في النصف الآخر إيجابيًا ونافعًا.

الإسلام مرجعيتنا في دور المرأة:

لا بدّ أن تسير المرأة مع الرجل جنبًا إلى جنب، ولكن بشرط أن تنضبط بأوامر الله ونواهيه.

نحن لا نرفض أبداً أن يكون للمرأة دورها في السياسة، ودورها في التنمية، بل هذا هو الذي يجب شرعاً، ويجب ديناً، ولكن لا بدّ لنا أن نُنبّه هنا: أن يكون سير المرأة وحركتها في إطار «المرجعية الإسلامية الحاكمة»؛ نحن لسنا أمة مُتسيّبة؛ نحن أمة لها شرع، ولها دين، ولها رسالة، فلا بدّ أن تكون حركة المرأة - كحركة الرجل - منضبطة بالمرجعية الإسلامية.

ليست مرجعيتنا: وثائق الأمم المتحدة، التي تريد أن تفرضها علينا، تريد أن تلغي جميع أشكال التمييز بين الرجل والمرأة، حتّى ما جاءت به القواطع الشرعية.

وليست مرجعيتنا كذلك وثيقة الطفولة.

هذه الوثائق لا تلزمنا بحذافيرها، بل نحن نأخذ منها ما يتفق مع قواطع شرعنا، ونرفض ما ينافي ذلك، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وينبغي أن نتنبّه للأفكار المسمومة والمشبوهة التي تدخل في هذه الوثائق تحت عناوين مختلفة، مثل: الصحة الإنجابية، والإجهاض المأمون، وغيرها، التي يريدون بها أن يُحلّوا ما حرّم الله، وأن يُسقطوا ما فرض الله. حركة المرأة ينبغي أن تنضبط في ظلّ المرجعية الإسلامية الحاكمة، ومع الاحتفاظ بالهوية الإسلامية المُميّزة؛ نحن لنا هوية تُميّزنا عن غيرنا، فلا بدّ أن نحفظ بهذه الهوية، بقيمها وأخلاقياتها وأدبياتها.

يجب أن ننضبط بأحكام الشريعة في كلّ سلوكياتنا، وأن ننطلق من أهدافها الواضحة؛ فلكلّ أمة أهدافها المنبثقة من رسالتها في الحياة، ومن فلسفتها في الوجود؛ نحن لنا فلسفة غير فلسفة الغرب، ولنا رسالة غير

رسالة الغرب: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

عودة المرأة إلى المرجعية الإسلامية:

في هذا الإطار، وفي حدود هذه الضوابط ينبغي أن يكون سير المرأة، ونهوض المرأة.

والحمد لله قد نهضت المرأة المسلمة في كثير من البلاد، وعادت إلى مرجعيتها الشرعية.

كان الحجاب في فترة من الفترات يُعتبر شاذًا، الآن اذهب إلى أي بلد عربي أو إسلامي، تجد الحجاب ظاهرة منتشرة، لم يفرض أحد على هؤلاء الفتيات أن يُعَدْنَ إلى الحجاب، هي حركة نسائية، طوعية، اختيارية، جاءت مع الصحوة الإسلامية.

ينبغي أن نحرص على هذا التمييز، وأن نحرص على ثمار هذه الصحوة، حتى تكون حركة المرأة حركة مباركة مثمرة، تُثمر الخير ولا تُثمر الشر، وصدق الله العظيم: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨].

اللهم هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا.

اللهم آمين.

ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

ملحمة جنين:

لا زالت الانتفاضة المباركة، ولا زالت المقاومة الفلسطينية الباسلة، ولا زالت البطولات الفارعة الرائعة تفرض نفسها علينا نحن العرب والمسلمين.

لا يجوز لنا بحالٍ أن ننسى هذه الانتفاضة، وننسى هذه المقاومة، وننسى هذا التاريخ البطوليّ الأسطوريّ، الذي سجّله إخواننا وأخواتنا في هذه الأيام خاصّة، وفي هذه المدة، منذ أكثر من ثمانية عشر شهراً وحتى اليوم، منذ بدأت هذه الانتفاضة المباركة، المقدمة، المعطاءة، التي نسأل الله تبارك وتعالى أن يثبتّها ويسدّدّها وينصرّها على عدوّها.

آخر هذه البطولات: بطولات «جنين»، وشكر الله لأخيّن الكاتب الإسلاميّ الكبير «فهمي هويدي»، الذي عنون لهذه القضية تحت عنوان: «ملحمة لا مأساة»، وأوصانا وذكّرنا: ألا يغلب جانب المأساة على جانب الملحمة.

هناك مأساة حدثت من غير شك: هذه الدماء التي سُفكت، وهذه الأرواح التي أزهقت، وهذه البيوت التي دُمّرت.

ما حَدَث من مآسٍ لا يمكن أن ننساه، ولا يمكن أن ينساه التاريخ، وهو الذي أرسلت الأمم المتحدة أخيراً من أجله لجنة لتقصّي الحقائق، ولكنّ شارون وعصابته رفضوا استقبال هذه اللجنة.

لكنَّ التاريخ سيُسجَل على هؤلاء الطغاة المستكبرين ما ارتكبوا من مجازر، لن ينساها التاريخ، وإذا نسيها التاريخ، فلن ينساها الله تبارك وتعالى، الَّذي لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه سرٌّ ولا علانية، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشُّعراء: ٢٢٧].

لا زالت هذه المأساة حاضرة عندنا، ولكن المأساة لا يجوز أن تنسينا ملحمة البطولة الفدّة لأبناء جنين، وبنات جنين، وشعب جنين كلّ، ودور المرأة فيها مثل دور الرجل.

إذا كنّا تحدّثنا عن المرأة في الخطبة الأولى، فلا يجوز أن نغفل دور المرأة في هذه القضية.

رأينا الأمّهات اللَّائِي يُحرّضن أولادهنّ على الذهاب إلى المعركة، مثل: أمّ نضال، واللّائي يستقبلن أولادهن الشهداء بالزغاريد، والفتيات اللّاتي قدّمن أرواحهنّ رخيصة في سبيل الله: وفاء إدريس، وآيات الأخرس، وعندليب طقطاقة، وغيرهنّ من هؤلاء البطلات.

هؤلاء يُثبتن أنّ المرأة قادرة على أن يكون لها دورٌ في الحياة مع الرجل، هذا أمر نذكره بكلّ فخر واعتزاز.

الشذوذ عن الجماعة:

ولكن ممّا يُدمي القلب، وممّا يدمع العين، أن نرى من بين جلدتنا، ومن يتكلّمون بألسنتنا، من يحاول أن يشرد عن القطيع، ويخرج عن الصفّ، ويشذّ عن الجماعة، ويقول كلامًا مرفوضًا بكلّ منطق: مرفوضًا باسم الدين، ومرفوضًا باسم الخلق، ومرفوضًا باسم العُرف، ومرفوضًا باسم الوطنية، ولا يُقبل بحالٍ من الأحوال.

وجدنا مَنْ يرفض الخطَّ العام للأُمَّة، ويُغزِّد خارج السَّرب، ويمشي وحده، والنَّبِيُّ ﷺ يقول: «عليكم بالجماعة؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد»^(١)، «إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي - أَوْ قَالَ: أُمَّة مُحَمَّدٍ ﷺ - عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُّ اللَّهُ مع الجماعة، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ»^(٢).

هناك مَنْ ينكر على الأُمَّة كراهية أمريكا، ويقول: إِنَّ هذه الكراهية كراهية عمياء!

هل مَنْ يكره أمريكا في هذا الوقت تكون كراهيته عمياء؟!
أَوَّلًا: لسنا وحدنا الَّذِينَ نكره أمريكا، معظم العالم يكره أمريكا، وقد تبَيَّن ذلك في مؤتمر «دربان» بجنوب إفريقيا^(٣).

ونحن لا نكره أمريكا من فراغ، إِنَّمَا نكره أمريكا لأعمالها.
أمريكا الَّتِي تقول عن «شارون»: إِنَّه رجل سلام! وتقول عن «عرفات»: إِنَّه رجل إرهاب.

أمريكا الَّتِي تدين حركات المقاومة في فلسطين: حماس، والجهاد، وكتائب الأقصى، وتعتبر ذلك إرهابًا، ولا تعتبر أعمال إسرائيل إرهابًا ولا عُنْفًا، بل هي من الدفاع عن النَّفس! إِنَّها تتفَهَّم حاجة إسرائيل إلى الدفاع عن نفسها!

أليس من حَقِّنا أَنْ نكره أمريكا، وقد وقفت هذا الموقف المُتَحَيِّز الظالم؟!!

(١) رواه أحمد (١١٤)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الفتن (٢١٦٥)، وقال: حسن صحيح غريب. عن ابن عمر.

(٢) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٧)، وقال: غريب من هذا الوجه. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٨)، دون قوله: «وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ».

(٣) في المؤتمر الثالث للأمم المتحدة لمناهضة العنصرية، بمدينة دربان بجنوب إفريقيا، في الفترة من ٣١ مارس - ٨ سبتمبر ٢٠٠١م.



عجباً لمن يقول: إننا نكره أمريكا كراهية عمياء.

أحبّ أمريكا ما شئت، ولتُحشر معهم، أتقبل أن تُحشر مع «بوش» ونائبه «ديك تشيني»، ووزير دفاعه «رامسفيلد»؟ فقد جاء في الحديث: «المرء مع مَنْ أحبَّ»^(١).

أحبّ هؤلاء، فنحن نتقرب إلى الله بكراهيتهم ما داموا على هذا الموقف.

حرق عَلمِ إسرائيل وأمريكا:

ويقول هؤلاء: إننا لا نتصرّف تصرّفاً حكيماً حينما نحرق عَلم إسرائيل، ويغار كلّ الغيرة على عَلم إسرائيل، وعلى عَلم أمريكا، ويقول فيما قال: لا يجوز بأيّ حالٍ حرق عَلم أيّ دولة وبأيّ سبب كان!

يا لله، العالم كلّهُ من مشرقه إلى مغربه، ومن شماله إلى جنوبه، ومن عربيه إلى عجمه، ومن مسلميه إلى مَسِيحِيّيه إلى وثنيّيه، كلّ هذا العالم يحرق أعلام الدول التي يختلف معها، ويعاديها وتعاديه، فلماذا تستكثر علينا أن نحرق عَلم إسرائيل أو عَلم أمريكا؟

هذا تعبير عن الغضب على هؤلاء.

العالم أقرّ هذا كلّهُ، ولكنّ هؤلاء الذين يشذّون عن الجماعة «ومَنْ شذَّ شذَّ إلى النار»^(٢)، يريدون أن يتخذوا لهم طريقاً وحدهم.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٦٨)، ومسلم في البرّ والصّلة (٢٦٤٠)، عن ابن مسعود.

(٢) سبق تخريجه ص ١٤٦.

تحريم شراء البضائع اليهودية والأمريكية:

يعيبون علينا أننا نفتي بتحريم شراء البضائع الصهيونية والأمريكية! ولستُ وحدي الذي أفتيتُ بهذا، أفتى بهذا علماء كثيرون منهم: مفتي مصر السابق، ومنهم عدد من العلماء في المجامع الفقهية، حوالي ثلاثمائة عالم، قالوا بتحريم شراء البضائع من الأعداء؛ لأنَّ هذا من التعاون على الإثم والعدوان.

وقلتُ في فتواي: إنَّ هذا أمر يحتاج إلى إنشاء لجان شعبية تنظّم هذه المقاطعة، وتُرتّب الأولويات: البضائع الأمريكية الخالصة أولاً، فإذا انتهينا منها ننتقل إلى البضائع الأمريكية المصنوعة في بلادنا.

ما حاجتنا إلى أن نشتري السجائر الأمريكية بالمليارات؟ ما حاجتي أنا كمسلم إلى أن أشتري سيارة أمريكية، وأنا أستطيع أن أشتري سيارة يابانية؟ لماذا يحامي هؤلاء عن المصالح الأمريكية؟

أعجب من هؤلاء الذين اشترتهم أمريكا، الذين باعوا أنفسهم للشيطان، يُحامون عن هذه البلاد التي تريد أن تقتلنا من جذورنا؟

فهم أمريكيون أكثر من الأمريكان، يُسبّحون بحمد أمريكا ويقدّسون لها.

أليس من حقنا على الأقلّ - إذا لم نستطع أن نُحارب - أن نقاطع؟

المقاطعة هي الشيء الذي في أيدينا، هل هذا يحتاج إلى قرار من وليّ الأمر؟ هل تريد من وليّ الأمر أن يقول لك: لا تشتري بضاعة أمريكية، لا تتركب سيارة أمريكية؟!

ما دخل وليّ الأمر في هذا؟!

هذا من حقك، هذا أمر ينظمه الناس في كل العالم بين بعضهم وبعض. أعجب لهذا المنطق الأعوج، الأعرج، الذي يدافع عن بضائع إسرائيل، وبضائع أمريكا.

ولكن الإنسان إذا انحرف عن الطريق المستقيم ولم تعد رؤيته مقيّدة بمنهج الله، ومشى في ركاب الآخرين أصابه الهوس، وأحاط به الخطل والزَل: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣].

الدعاة إلى التطبيع مع إسرائيل:

رأينا أناسًا في بعض البلاد ينادون بالتطبيع مع إسرائيل! كيف نُطَبِّع مع إسرائيل وهي تحتلُّ الأرض، وتهتك العرض، وتسفك الدم، وتُشردُّ الأهل، وتفعل ما تفعل؟

ويقولون: ليس لنا إلا أن نضع أيدينا في يد أمريكا! نضع أيدينا في يد أمريكا إذا كانت مع العدل، إذا وقفت مع الحق، إذا تركت هذا الانحياز الأعمى.

هؤلاء هم الذين يحبُّون أمريكا حُبًّا أعمى، أمّا نحن فنكرها كراهيةً مُبصرة؛ لأنّها مبنية على أسس، وعلى أصول.

خيبة الله على هؤلاء الذين يريدون أن يبيع أوطاننا، وبيع ديننا، وبيع قِيَمنا، بثمن بخس، أو (مجانًا) بغير ثمن قط.

لا والله، نحن قد بعنا أنفسنا لله وحده، رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا.

نُسَالِم مَنْ سَالَمَنَا، وَنُحَارِب مَنْ حَارَبَنَا، نُوَالِي مَنْ وَالَانَا، وَنُعَادِي مَنْ عَادَانَا، وَعَادِي اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَالْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

أذكر لكم - أيها الإخوة - موقفًا من أروع المواقف شهدته بالأمس: جاءت البضائع الأمريكية - من المأكولات والمشروبات وألعاب الأطفال - إلى مخيم جنين، الذي لا يجد أهله القوت، فرفضها أهل المخيم، وقالوا: نموت جوعًا ولا نقبل أغذية جاءت من بلاد قُتلنا بأسلحتها، وأيدوا عدونا في قتلنا.

ولا نملك إلا أن نقول: حيّا الله أبناء جنين، حيّا الله بنات جنين، حيّا الله رجال جنين، حيّا الله نساء جنين، وأبعد الله أولئك الذين لا يفقهون، ولا يعلمون.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُنير بصائرنا، وأن يُسدّد خطانا، وأن يُثبّت على الحقّ أقدامنا، وأن يُهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن ينصر إخواننا في فلسطين. اللهم انصر إخواننا في فلسطين، اللهم سدّد رميتهم، وقوّ شوكتهم، واجمع على الحقّ كلمتهم.

اللهم عليك باليهود المعتدين الغادرين، اللهم عليك بشارون وعصابة شارون ومن ناصر شارون.

اللهم خذهم أخذ عزيز مقتدر، اللهم اسلب عنهم حلمك وإمهالك، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يردّ عن القوم المجرمين، اللهم أدل

دَوْلَتَهُمْ، وَأَذْهَبَ عَنْ أَرْضِكَ سُلْطَانَهُمْ، وَلَا تَدْعَ لَهُمْ سَبِيلًا عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ.

اللَّهُمَّ هَيِّئْ لِإِخْوَتِنَا الْمَجَاهِدِينَ فِي فَلَسْطِينَ نَصْرًا عَزِيزًا، اللَّهُمَّ افْتَحْ لَهُمْ فَتْحًا مَبِينًا.

اللَّهُمَّ اهْدِهِمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ يَوْمَهُمْ خَيْرًا مِنْ أَمْسِهِمْ، وَاجْعَلْ غَدَهُمْ خَيْرًا مِنْ يَوْمِهِمْ، وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَهُمْ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مَعَهُمْ مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مَطْمَئِنًّا، سَخَاءَ رَخَاءٍ، وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



يوم المرأة العالمي^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

أَتَحَدَّثُ إِلَيْكُمْ عَنْ مَوْضُوعِ الْمَرْأَةِ، بِمُنَاسَبَةِ يَوْمِ الْمَرْأَةِ الْعَالَمِيِّ، وَبِمُنَاسَبَةِ مَا يَدُورُ مِنْ حَدِيثٍ وَحِوَارٍ وَجَدَالٍ فِي عِدَدٍ مِنْ بِلَادِ الْعُرُوبَةِ وَالْإِسْلَامِ حَوْلَ قَضَايَا الْمَرْأَةِ، مَا بَيْنَ مُؤَيِّدٍ وَمُعَارِضٍ، وَمَا بَيْنَ مُعْتَدِلٍ وَمُتَطَرِّفٍ.

الإسلام حرّر المرأة:

وَأَحِبُّ أَنْ أَقُولَ لَهُؤُلَاءِ جَمِيعًا: إِنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ حَرَّرَ الْمَرْأَةَ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ أَوَّلُ مَنْ حَرَّرَ الْمَرْأَةَ، لَا قَاسِمَ أَمِينٍ وَلَا غَيْرِهِ مِنْ دُعَاةِ تَحْرِيرِ الْمَرْأَةِ؛ فَهَؤُلَاءِ أَرَادُوا أَنْ يُحْلِلُوا الْمَرْأَةَ لَا أَنْ يُحَرِّروَهَا.

أَمَّا مُحَمَّدٌ ﷺ فَهُوَ الَّذِي حَرَّرَ الْمَرْأَةَ حَقِيقَةً مِنْ ظُلْمِ الْجَاهِلِيَّةِ وَظُلَامِهَا، وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَلِمَةً يَنْبَغِي أَنْ نَعِيَهَا وَنُسْأَلُهَا، قَالَ: إِنَّمَا يُنْقِضُ الْإِسْلَامُ عُرُوءَ عُرُوءٍ إِذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْجَاهِلِيَّةَ^(٢).

(١) أُلْقِيَتْ فِي جَامِعِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِالدُّوْحَةِ فِي ١٠ مَارَسِ ٢٠٠٠م.

(٢) سَبْقُ تَخْرِيجِهِ ص ١٦.

وضع المرأة في الجاهلية:

كثيرٌ من الناس لا يعرف ماذا كانت عليه الجاهلية؟ وماذا صنع الإسلام؟

وخصوصًا في شأن المرأة والأسرة.

كانت المرأة في الجاهلية شيئًا من الأشياء، متاعًا من الأمتعة، ما كان لها قيمة، بل كانت تُعتبر ولادتها كارثةً على أبيها وعلى أهلها، وقد عرّفنا بذلك القرآن الكريم حينما قال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ * يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩]، كان الرجل إذا قيل له: إنَّ امرأتك ولدت. يسأل: وما ولدت؟ إذا قالوا له: أنثى. قال: ما هي بنعم الولد، نصرها بكاء، وبُرَّها سرقة!

هكذا قال الرجل الجاهلي حينما قيل له: إنَّ امرأتك وضعت أنثى. نصرها بكاء: إذا أرادت أن تنصرنني تصرخ وتبكي وتُولول، ولا تستطيع أن تحمل السلاح وتركب الجواد وتدافع. وبُرَّها سرقة: إذا أرادت أن تبرَّ أباهَا وأهلها سرقت من زوجها.

هكذا يتصوّر هذا الرجل الجاهلي.

ولذلك ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨]، يمشي في الأزقة والأماكن البعيدة عن لقاء الناس، كأنما ارتكب جريمة، أو عمل عملة فيها فضيحة، ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾، ويظلُّ مُفَكِّرًا ومُتَرَدِّدًا، هل يرضى بالواقع ويمسكه على هوان ومذلة؟ ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ﴾؟ أم يتخلّص منه و﴿يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾؟

وأد البنات في الجاهليّة:

وكثيراً كان يترجّح الاحتمال الثاني: التخلّص من المولود بالدسّ في التراب، بالوَأَد.

وهذه جريمة من أشنع جرائم الجاهليّة، فقد الإنسان فيها إنسانيته وقتل بغير حقّ.

القتل جريمة شنيعة في ذاتها، فكيف إذا كان قتل نفس زكيّة، طفل بريء؟ وكيف إذا كان القاتل هو الأب الذي يُفترض فيه أن يحمي طفله؟ وكيف إذا كان يقتله مخافة أن يطعم معه، خشية أن يزاحمه في رزقه؟ وكيف إذا كان هذا القتل بهذه الطريقة البشعة، أن يدسّه في التراب؟ يحفر له حفرة ويرميه فيها حيّاً وينتهي منه، ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾؟! [التكوير: ٨، ٩].

هذه من شاعات الجاهليّة.

فضل الإسلام على البنات:

لو لم يكن من فضل الإسلام إلّا أنّه أنهى هذه الجريمة الشنيعة، ولم يعد هناك من يُفكر في مثل هذا الأمر، بل غداً الناس يحبّون بناتهم، ويتقرّبون إلى الله بتعليمهنّ وتأديبهنّ ورعايتهنّ؛ لأنهنّ باب من أبواب الجنّة، وقال الشاعر:

لولا بُنَيَاتٌ كَرُغِبَ الْقَطَا رُدِدْنَ من بعضٍ إلى بعضٍ
لكان لي مُضْطَرَّبٌ واسعٌ في الأرض ذات الطُول والعَرْضِ
وإنّما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض^(١)

(١) من شعر حطان بن المعلى، انظر: ديوان الحماسة (١٠٢/١).

هكذا قال الشاعر المسلم بعد أن علّمه الإسلام، وهذّبه الإسلام، ورقّق قلبه الإسلام، فیری أولاده - سواء كانوا بنين أم بنات - أكباده تمشي على الأرض.

هكذا علّم الإسلام الناس: أن يحترموا البنت، ويعتبروها هبةً من الله، كما قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۖ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِبًا﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]، فبدأ بالإناث: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا﴾.

ذكر الإناث أولاً، ولذلك شاع عند كثير من المسلمين هذه المقولة التي تقول: (خير النساء من بكرت بأنثى)، كأنما اكتسبها من القرآن: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا﴾.

فما عاد الناس كما كانوا في الجاهلية يئدون البنات، هذا من فضل الإسلام على المرأة: أنه حماها من جريمة الجاهلية، جريمة الوأد.

تكریم الإسلام للمرأة ومظاهره:

الإسلام ارتفع بالمرأة، ارتقى بمكانتها وقيمتها، وكرّمها وأنصفها في كلّ مجال، كرمها باعتبارها إنساناً، وكرّمها باعتبارها أنثى، وكرّمها باعتبارها بنتاً، وكرّمها باعتبارها زوجة، وكرّمها باعتبارها أمّاً، وكرّمها باعتبارها قريبة، كرمها أختاً أو خالة أو عمّة، وكرّمها باعتبارها عضواً في المجتمع.

هكذا كرم الإسلام المرأة وارتقى بمنزلتها، حتّى إنّ القرآن قصّ علينا عدداً من القصص رفع فيها منزلة المرأة، وحكى لنا من الحكّم والأقوال عن بعض النساء أصبح لها قيمتها في حياتنا الإسلامية.

حكمة امرأة العزيز:

نقل القرآن عن امرأة العزيز بعد أن عرفت خطأها في مُرَاوَدَةِ يوسُفَ أنها قالت: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِيَّ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣]. حتَّى إِنَّ بعض المفسِّرين نسبوا هذا القول إلى يوسف عليه السلام، كأنما استكثروه على هذه المرأة، والواقع أَنَّ السياق كُلَّهُ يقول: إِنَّ الكلام من كلام المرأة: ﴿الْفَنَ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿[يوسف: ٥١، ٥٢]، كُلُّهُ كلام المرأة، ومن تنمة كلامها هذا الكلام: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِيَّ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣].

حكمة ابنة الشيخ الصالح في مَدِين:

ذكر لنا القرآن - أيضًا - من الكلمات الحكيمة على لسان ابنة ذلك الشيخ الكبير في «مَدِين» الَّذِي زعم بعض المفسِّرين أَنَّهُ «شعيب» عليه السلام، وليس بشعيب؛ شعيب كان قبل موسى، ولكن لعلَّ اسمه شعيب؛ فَإِنَّ قبيلة مَدِين مثل غيرهم يُسَمُّون بأسماء أنبيائهم، ولكن ليس هو شعيب النَّبِيُّ المرسل.

هذه البنت قالت لأبيها: ﴿يَتَأَبَّتِ اسْتَجْرُهُ إِيَّاكَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، هذه الكلمة وضعت المواصفات الأساسية لاختيار الرجال للأعمال، أصبحت هذه الكلمة أساسًا في كتب السياسة الشرعية: مَنْ نختار؟ وما هي الصفات التي يجب أن نختارها للرجال حينما نُؤلِّمهم المسؤوليات؟ خصوصًا المسؤوليات المهمَّة: القوَّة، والأمانة. القوَّة على الشيء: أن يكون كفؤًا له، قادرًا عليه، عالمًا به. والأمانة: بحيث يكون إنسانًا مُؤْتَمِنًا على عمله، يخشى الله فيه، ويتَّقِي الله في عمله.

هاتان الصفتان أساسيتان: صفة تتعلّق بالعقل، وصفة تتعلّق بالضمير. لا بدّ من هاتين الصفتين: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ أُسْتَجَرَّتْ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. ولذلك كان النَّاس يشكون دائماً من ضعف الأمين وخيانة القوي، كما كان سيّدنا عمر يقول: اللهمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ عَجْزَ الثِّقَةِ وَجَلْدَ الْفَاجِرِ^(١).

الثقة هو الأمين، والفاجر هو الخائن.

فالنَّاس في حاجة إلى هاتين الصفتين: ﴿الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾، هكذا قالت هذه الفتاة على البديهة هذا الكلام.

حكمة ملكة سبأ:

كذلك حكى لنا القرآن تلك الحكمة عن المرأة التي حكمت «سبأ» في اليمن، والتي يُعرّفها التاريخ باسم: «بلقيس»: ملكة سبأ، التي قصّ القرآن علينا قصّتها في سورة «النمل»، وكيف حكمت قومها حكماً عادلاً، وحكماً شورياً، أو ما يسمونه الآن: «ديمقراطياً»، وحينما جاءها كتاب سليمان: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ * قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * [النمل: ٣٢، ٣٣]، فَوَضُوا إِلَيْهَا أَنْ تَتَصَرَّفَ بِحُكْمِهَا كَمَا تَرَى، ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ * [النمل: ٣٤].

بهذه الكلمات حدّدت مهمّة الاستعمار، لا تقصد أنّ الملوك إذا دخلوا بلادهم أفسدوها.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٥٤/٢٨)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

لا، إذا دخلوا بلاد غيرهم فاتحين مستعمرين، إذا دخلوها أفسدوا البلاد، وأذلُّوا العباد.

هذه مهمّة الاستعمار، وكذلك يفعلون دائماً.

هذه حكمة من هذه المرأة المحنكة السياسيّة الداهية: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

المرأة مكلفة مثل الرجل:

هذه حكم قصّها علينا القرآن، قالها بعض النساء. فليست المرأة - كما يظنُّ بعض الناس - مخلوقاً ناقصاً، أو مخلوقاً مُشوَّهاً، أو مخلوقاً لا عقل له.

لا، المرأة مكلفة مثل الرجل تماماً؛ حينما يقول القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١] أو: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فهذا خطابٌ للذكور وللإناث جميعاً.

وقد جاء في الحديث: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، زوج الرسول ﷺ وأُمّ المؤمنين قالت: كنتُ أسمعُ النَّاسَ يذكرُون الحوض، ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ، فلما كان يوماً من ذلك والجارية تُمشِّطني، فسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ». فقلتُ للجارية: استأخري عني. قالت: إِنَّمَا دَعَا الرِّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ. فقلتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ^(١)، فذكرتُ الحديث.

المرأة مكلفة مثل الرجل، والقرآن يقول: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، إلى آخر هذه

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٢٩٥)، وأحمد (٢٦٥٤٦).

الأمور العشرة، أشرك فيها الرجال مع النساء، والله تعالى يقول: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُفِثَ بِعَصْمِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

بعضكم من بعض:

انظروا إلى هذا التعبير القرآني المَوْجَزُ الْمُعْجِزُ: ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، أي: الرجل من المرأة والمرأة من الرجل، هو يُكَمِّلُها وهي تُكَمِّلُله، ليس الرجل خَصْمًا للمرأة ولا المرأة عدوًّا للرجل، وليس أحدهما نِدًّا للآخر يُحاول أن ينافسه.

لا، هما متكاملان، لا يستغني الرجل عن المرأة ولا تستغني المرأة عن الرجل، ومنذ خلق الله آدم وأسكنه الجنة لم يدعه وحده، بل خَلَقَ له من نفسه زوجًا ليسكن إليها، وتسكن إليه أيضًا، وقال له: ﴿أَسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥، الأعراف: ١٩]؛ إذ لا معنى للجنة إذا عاش الإنسان فيها وحده، ما معنى جنة بغير أنيس ولا جليس؟!

الزوجية سنة كونية:

الإنسان بفطرته اجتماعي، لا بدَّ له من أنيس، والله تَعَالَى خلق الكون على سُنَّةِ الازدواج، الزوجية سنة سائدة في هذا الوجود، ليس هناك واحد إلا الله تعالى، وكلُّ ما في هذا الكون أزواج: الليل والنهار، والذكر والأنثى، والموجب والسالب، ولذلك يقول القرآن: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦]، ويقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، من كل شيء خلق الله زوجين متقابلين.

كان المفسرون قديماً يقولون: هذه كَلِيَّةٌ أَغْلَبِيَّةٌ.

لا، هي ليست كَلِيَّةٌ أَغْلَبِيَّةٌ؛ هي كَلِيَّةٌ على ظاهرها، كُلُّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ، حَتَّى الذَّرَّةُ - الَّتِي يَتَحَدَّثُونَ عَنْهَا الْيَوْمَ، وَيَعْتَبِرُونَهَا قَاعِدَةُ الْبِنَاءِ الْكَوْنِيِّ - فِيهَا مُوجِبٌ وَسَالِبٌ، أَوْ شَحْنَةٌ كَهْرَبَائِيَّةٌ مُوجِبَةٌ وَشَحْنَةٌ كَهْرَبَائِيَّةٌ سَالِبَةٌ، إِنْكَتَرُونَ وَبُرُوتُونَ كَمَا يَسْمُونَهُمَا.

هَذَا هُوَ بِنَاءُ الْكَوْنِ: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذَّارِيَات: ٤٩]، وَلِذَلِكَ خَلَقَ اللَّهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى: فِي الْإِنْسَانِ، وَفِي الْحَيَوَانِ، وَفِي النَّبَاتَاتِ، عَرَفَ النَّاسُ قَدِيمًا ذَلِكَ فِي النَّخِيلِ، ثُمَّ عَرَفُوا الْآنَ حُبُوبَ التَّذْكِيرِ وَحُبُوبَ التَّأْنِيثِ فِي سَائِرِ النَّبَاتَاتِ.

الحضارة الحديثة تخالف هذه السُّنَّةَ الْكَوْنِيَّةَ:

الآن نرى الحضارة الحديثة تريد أن تخالف هذه القاعدة الكونية، تريد أن تناقض سُنَّةَ الزَّوْجِيَّةِ، لِيَكْتَفِيَ الرَّجَالُ بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ! تريد الأسرة الوحيدة الجنس، أسرة من رجلين، أو أسرة من امرأتين، تريد الشذوذ الجنسي، بل يسمونه الآن: «المِثْلِيَّة»!

والشذوذ الجنسي أَوَّلُ مَنْ ابْتَكَرَهُ أُمَّةٌ خَسَفَ اللَّهُ بِهَا الْأَرْضَ وَأَزَالَهَا مِنَ الْوُجُودِ، وَهِيَ قَوْمٌ لَوَطَ، قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ لُوطُ: ﴿اتَّاتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشُّعْرَاء: ١٦٥، ١٦٦]، أَنْتُمْ قَوْمٌ مُعْتَدُونَ مُتَجَاوِزُونَ لِلْحُدُودِ، وَصَفَهُمْ هُنَا بِالْعَدْوَانِ، وَفِي مَقَامٍ آخَرَ: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١]، وَفِي مَقَامٍ ثَالِثٍ: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]، وَفِي مَقَامٍ رَابِعٍ: ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠]، وَفِي مَقَامٍ خَامِسٍ: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤]،

فوصفهم بالإجرام، وبالإفساد، وبالإسراف، وبالجهل، وبالعدوان، وبكل نقیصة؛ لأنهم خالفوا فطرة الله التي فطر الناس عليها، يدعون ما خلق لهم ربهم من أزواجهم من نساء طبيبات طاهرات، ويأتون الذكران من العالمين: ﴿أَنتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]، هذا هو انحطاط الجهل والجاهلية، هذا الذي حدث.

وعاقب الله هذه الأمة بعقوبتين:

- ١ - ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ [هؤد: ٨٢]، قلب عاليها سافِلها.
 - ٢ - ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ * مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [هؤد: ٨٢، ٨٣]، كلُّ حجر يذهب إلى صاحبه.
- ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هؤد: ٨٣].

إحياء الحضارة الغربيّة للشذوذ الجنسي والمباهاة له:

تأتي الحضارة المعاصرة بعد هذه القرون لتُحيي عمل قوم لوط، لتُحيي هذه الجريمة وتبجّج بها، بل تزيد عليها: استغناء النساء بالنساء! المصيبة في الحضارة الغربيّة أنّها ترتكب الفضائح الأخلاقية وتتباهى بها، كان الناس قديماً يرتكبون هذه الفضائح في السرّ، يتخفّون، لا يحبّون أن يُعرف هذا عنهم، أمّا المصيبة في هذا العصر: أن يشيع هذا ويصبح أمراً ظاهراً عاماً، وأن لا يستحيي الناس منه ولا يخجلوا، وأن يُقنن بقوانين أقرتها بعض الدول، مثل: بريطانيا، ومجلس العموم البريطاني، وأن يبارك القسس ورجال الدين ويُعلنوا ذلك على الملأ، في التلفازات، القسيس الفلاني يعقد زواج الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وتليفونه كذا، وعنوانه كذا!

هذه هي الحضارة المأساوية التي يعيشها الناس في عصرنا: أن يزوج الرجال بالرجال والنساء بالنساء، خلافاً للفطرة.

الحياة تقوم على الازدواج:

الإسلام يقول: الحياة تقوم على الازدواج، وإنَّ الرجل من المرأة والمرأة من الرجل، لا غنى لأحدهما عن الآخر، ولا يمكن أن يستمرَّ وجود النوع الإنساني إلاَّ بهذا الزواج؛ لأنَّ زواج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة لا يمكن أن يكون منه نسل، فلو قبل عموم الناس ذلك لانتهدت البشرية في جيل واحد.

سُنَّة الله هو هذا الزواج، والله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [النحل: ٧٢]، ذكرهم الله بنعمة الأولاد والأحفاد لتستمرَّ الحياة، ويستمرَّ النوع.

هؤلاء يضادُّون قوانين الله في شرعه، وسُنن الله في خلقه، يضادُّون هذا كله.

أي حضارة هذه الحضارة؟!

الإسلام يرفع قيمة المرأة:

الإسلام جاء وارتفع بقيمة المرأة، وقال القرآن: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، أي: من الجنسين، من الذكور والإناث، فأشار القرآن إلى أنَّ المرأة يمكن أن تهاجر في سبيل الله، وأن تقاتل وتُقتل وتُؤذى، وهذا ما حدث.

أَوَّل شهيدٍ في الإسلام امرأة:

أَوَّل شهيد في الإسلام لم يكن رجلاً، وإنما كان امرأة قُتلت بيد عِلَجٍ مشرك جاهليٍّ قاسٍ: أبو جهل - لعنه الله، قتل هذه المرأة المؤمنة المُعَذِّبة الصابرة في سبيل الله: سُمَيَّة (أُمَّ عَمَّار بن ياسر).

ماتت سُمَيَّة وزوجها ياسر تحت العذاب، ومرَّ عليهم النَّبي ﷺ وهم يُعَذَّبون فقال: «صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ»^(١).

وكان أَوَّل من قُتِل سُمَيَّة، طعنها أبو جهل في موضع عَفَّتْهَا، فَخَرَّت شهيدة في سبيل الله^(٢).

فأَوَّل من قَدَّمَ دمه في سبيل الإسلام كان امرأة.

أَوَّل مؤمنٍ برسالة مُحَمَّد ﷺ امرأة:

وأَوَّل صوتٍ ارتفع بتأييد دعوة مُحَمَّد ﷺ لم يكن صوت رجل، إنما كان صوت امرأة، صوت خديجة، هي الَّتِي قَالَتْ لِلنَّبِيِّ وَقَدْ رَجَعَ مِنْ لِقَاءِ جَبْرِيلَ يَرْجِفُ فَوَّادَهُ، وَيَرْتَعْشُ جِسْمَهُ، وَيَقُولُ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي». لا يدري ما هذا الشيء الَّذِي جَاءَهُ، مَا كَانَ يَرْجُو نَبَوَّةً، وَمَا كَانَ يَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ اللَّهِ، فَكَانَ يَخَافُ مِنْ هَذَا الشَّيْءِ، قَالَتْ لَهُ: كَلَّا وَاللَّهِ، مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ^(٣).

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٥٠٨)، والحاكم في معرفة الصحابة (٣٨٣/٣)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٥٩٢): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح، غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم، وهو ثقة. عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه أبو نُعَيْم في معرفة الصحابة (٧٦٨٩).

(٣) متَّفَقٌ عَلَيْهِ: رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، عن عائشة.

أدركت بفطرتها السليمة أنَّ مَنْ كان هذا شأنه لا يمكن أن يُخزيه الله،
لا يمكن أن يُسلَّط عليه شيطاناً، سُنن الله تأبى ذلك.

كذا قالت خديجة رضي الله عنها المؤمنة الأولى في الإسلام.
فللمرأة في الإسلام شأن عظيم.

الرسالة المحمَّديَّة رسالة الرجل والمرأة:

هذه الآية: ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، والآية الأخرى في سورة التوبة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١]، جاءت هذه الآية في مقابل آية أخرى تتحدث عن المنافقين والمنافقات: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]، ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ العصا من العصية، والحيَّة لا تلد إلا حية! ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾، إذا كان النساء اللادينيَّات والعلمانيَّات والمشركات والكافرات يأمرن بالمنكر وينهين عن المعروف مع أمثالهنَّ من المنافقين، فعلى المؤمنين والمؤمنات أن يخططن خطأ آخر، وينهجن نهجاً آخر، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذه هي خصيصة هذه الأمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

لم يجعل الله هذه الرسالة رسالة رجالية أو ذكورية، هي رسالة للرجال وللنساء جميعاً: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، هذه الوظيفة الاجتماعية المهمة

منوطةً بأعناق الرجال والنساء جميعًا، ولا ينبغي للمرأة أن تقول: أنا ما لي؟ أنا مُهمّتي أن أطبخ وأكنس.
ولا ينبغي للرجل أن يقول لها: وأنت ما لك؟ أنت تفرّغي للعيال، والمنزل.

لا، هي مسؤولة مثلك تمامًا.

المرأة والرجل كلاهما مسؤول عن هذا الدين، عن نصرة الإسلام، عن الدعوة إلى الله، عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إذا كانت المرأة المسيحية تذهب في أنحاء العالم لتنشر المسيحية وتدعو إليها، لماذا المرأة المسلمة تُحرم من هذا الحق؟

هذا هو الواجب على المرأة وعلى الرجل جميعًا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٣].

هناك جيوش من المَبَشِّرَات (الْمُنْصِرَات) ينتشرن في أنحاء العالم، فلماذا نحبس المرأة المسلمة وحدها في البيت ونقول لها: مهمّتك البيت؟

هذا خلاف لما جاء في القرآن، وخلاف لما جاء عن النَّبِيِّ ﷺ في قوله: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ»^(١)، المرأة شقيقة الرجل، يمكن للمرأة أن تذهب مع زوجها أو شقيقها لتدعو إلى الله.

فينبغي أن نعترف بقدر المرأة.

(١) سبق تخريجه ص ١٣٢.

خطر الجور على المرأة باسم التدّين:

إنّ الذين يجُورون على المرأة باسم التدّين، وباسم الإسلام، فتحوا الباب واسعاً للذين يريدون أن يُخرجوا المرأة عن فطرتها، وعن طبيعتها، ويريدونها أن تكون مثل الرجل في كلّ شيء.

هذا ما يدعو إليه المُتغَرَّبون من أبناء المسلمين والعروبة، الذين يريدون للمرأة المسلمة أن تسير وراء المرأة الغربيّة شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، ونحن لسنا عبيدًا إلاّ لله، لسنا عبيدًا للغرب ولا للشرق. ينبغي أن تكون المسلمة معترّة بدينها لا بشيء آخر.

خطة تغريب المرأة المسلمة:

لا يجوز لنا أن نُحوّل طبيعة المسلمة ونُغربها في فكرها، وفي خُلقها، وفي سلوكها، كما يدعو بعض النّاس اليوم.

هؤلاء النّاس اعتمدوا على التحجير والتضييق والكبت الذي تُعانيه بعض النّساء في بعض المجتمعات؛ ليخرجوا بالمرأة عن الإسلام نهائيًا، ويسيروا وراء وثائق الأمم المتّحدة، التي تريد للشعوب أن تترك خصوصيّتها الدّينيّة والقوميّة والثقافيّة، كما حاولوا في مؤتمر السكّان في القاهرة سنة (١٩٩٤م)، ومؤتمر المرأة في بكين سنة (١٩٩٥م)، وكانت وثيقة الأمم المتّحدة تُريد أن تُلغي كلّ أشكال التمييز - كما يسمونها - بين الرجل والمرأة، تريد أن تُسوّي المرأة بالرجل والرجل بالمرأة.

والفطرة لم تُسوّ بينهما؛ فطرة الله خالفت بين الرجل والمرأة؛ الرجل لا يحمل ولا يلد ولا يُرضع، تكوين الرجل غير تكوين المرأة ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]، فكيف نُسوّ بينهما؟

التسوية بين المختلفين ظلم، كما أنَّ التفرقة بين المتساوين ظلم، فلا يجوز أن نقبل هذا.

للأسف في بعض البلاد - مثل ما يجري في المغرب اليوم - يريدون إدخال المرأة في التنمية، ووضعوا لذلك خطة يريدون بها تغريب المسلمة، يريدون بها أن تساوي المرأة الرجل في الميراث، ويريدون بها إذا طلق الرجل امرأته أن تأخذ نصف ما يملك، على ما يفعل الغربيون والأوربيون والأمريكان وغيرهم!

وهذا ما جعل الكثير منهم يُحجم عن الزواج.

عندما كنتُ أعالج في أوربا سألتُ الممرضات اللاتي يُمرّضني فوجدت جميعهنَّ أنسات!

هنَّ أنسات بالاسم، ولكنهنَّ معاشرات لأخدان لهنَّ. لماذا؟

لأنَّ الرجل إذا تزوّج ثمَّ أراد أن يُطلق تأخذ المرأة نصف أملاكه، وهذا ظلم؛ ماذا يأخذ أولاده؟ وماذا يأخذ أبوه وأُمُّه؟ وماذا يأخذ أقاربه؟

هؤلاء يريدون - أيضًا - أن يُطوّروا الأحوال الشخصية، وقوانين الأسرة؛ لتصبح كما في الغرب سواءً بسواء، ونحن لنا قوانيننا ولنا أنظمتنا، ولنا شريعتنا، وأحكام قرآننا وسُنّتنا.

تطوير قوانين الأسرة يكون وفق اجتهاد شرعيّ سليم:

كلُّ ما علينا: أن نُطوّر هذه القوانين في ضوء اجتهاد شرعيّ سليم، يأخذ بأفضل ما في فقها الإسلامي الرَّحْب.

بعض النَّاس في بعض المحاكم - وفي بعض الإمارات بجوارنا -

لا يزالون إلى اليوم إذا جاء رجل تشاجر مع إنسان في عرض الطريق، وحلف بالطلاق (بالثلاث) أن يفعل كذا ولم يفعل كذا، يقول له: امرأتك طُلِّقت بالثلاث! وامراته ليست بينه وبينها مشكلة، بل هما غاية في الانسجام وغاية في السعادة، ولكنه تشاجر مع شخص آخر فنَدَّت منه هذه الكلمة.

هذا الحكم لا يمكن أن يُقبل في عصرنا، لا بدَّ أن نأخذ بما قاله بعض السلف، ورَّجَّحه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ومدرستهما، وأفتت به لجان الفتوى، وظهر في قوانين الأحوال الشخصية في عددٍ من البلدان: أنَّ مثل هذا الطلاق لا يقع؛ إنَّما فيه كفَّارة يمين. لا بدَّ من إصلاح القوانين التي عندنا.

العمل بقانون الخلع الجديد:

أنكر الكثيرون الأخذ بالخلع في القانون المصري الجديد، وأنا لم أرَ به بأسًا إذا حُسِّنَ تطبيقه، وحُسِّنَ التطبيق ألاَّ يُسارع القاضي كلما طلبت المرأة الخلع، يجيبها إلى ذلك.

لا، لا بدَّ أن يُحاول الإصلاح، ويُحاول التقريب؛ لأنَّ المرأة في ساعة الغضب تقول لزوجها: طلقني.

فلا ينبغي أن يُسارع القاضي إلى تطليقها من زوجها.

الله سُبْحَانَهُ قال للرجال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، وقال ﷺ: «لا يفرك مؤمنٌ مؤمنةً - يعني: لا يبغض ولا يكره مؤمنٌ مؤمنةً - إن كره منها خلقًا رضي منها آخر»^(١).

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٩)، وأحمد (٨٣٦٣)، عن أبي هريرة.

وكذلك المرأة ينبغي ألا تنشد في زوجها الكمال، كلُّ إنسان فيه مزايا وعيوب، فلتجمع بعضها على بعض، ولتَرْضَ بمن كانت مزاياه أكثر من عيوبه، والنبي ﷺ يقول: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلْتَ زَوْجَهَا طَلَاقًا فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحَرَامَ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ»^(١).

ولكن إذا كان هناك بَأْسٌ، وكان هناك ضرورة، وكانت المرأة لا تُطِيق زوجها بُغْضًا، كما قالت امرأة ثابت بن قيس: يا رسول الله، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خُلُقٍ ولا دين، ولكنني أكره الكفر في الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «أَتَرَدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟» قالت: نعم.

قال رسول الله ﷺ: «اقْبَلِ الْحَدِيقَةَ، وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً»^(٢).

فأخذ منها الحديقة وأعطاهَا الرجل، وأمره بفراقها.

هذا الظاهر أَنَّهُ قضاءٌ من رسول الله ﷺ؛ فقد كان هو قاضي الأمة، فإذا قضى في مثل هذه الحالة، فلا مانع أن نأخذ - بل يجب أن نأخذ - بما قضى به رسول الله ﷺ، إذا تبَيَّنَ لنا أَنَّ المرأة لا تطيق الرجل بُغْضًا ولا تستطيع المعاشة معه.

لا يمكن أن يفرض الإسلام معاشرة على اثنين رغم أنفهما، أو رغم أنف أحدهما.

الرجل يملك الطلاق، فماذا تملك المرأة؟

(١) رواه أحمد (٢٢٣٧٩)، وقال مخرَّجوه: حديث صحيح. وأبو داود (٢٢٢٦)، والترمذي (١١٨٧)، وحسنه، وابن ماجه (٢٠٥٥)، ثلاثهم في الطلاق، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٩٢٨)، عن ثوبان.

(٢) رواه البخاري في الطلاق (٥٢٧٣)، عن ابن عباس.

سبيل المرأة للتخلص من ظلم الزوج:

هكذا سألني بعضهم: إذا كان الإسلام أعطى الرجل الطلاق، فماذا أعطى للمرأة؟

قلت: أعطى للمرأة ثلاثة أشياء، أو ثلاثة مخارج:

١ - المخرج الأول: الخلع:

الإسلام أعطى لها الخلع في حالة الكراهية، إذا كانت الكراهية منها، وإنما لو كان هو الكاره، ويريد أن يتزوج أخرى فلا يحلُّ له أن يأخذ منها فُلْسًا، كما قال ﷺ: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ أَحَدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: ٢٠].

إنما لو كانت هي الكارهة، وهو الراغب فيها، فيجب أن تردَّ إليه ما دفع؛ لأنه في حاجة إلى أن يؤسس أسرة أخرى وينفق عليها، فما ذنبه؟

٢ - المخرج الثاني: التحكيم:

خصوصًا إذا كان الشقاق من الطرفين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥].

٣ - المخرج الثالث: طلاق القاضي للضرر:

أن ترفع أمرها إلى المحكمة، وتنظر في شكواها، فإن كان الرجل يضارُّها ويؤذيها، بالضرب أو السَّبِّ أو بعدم النَّفَقَةِ أو بالغياب الطويل دون إذنِها، أو بغير ذلك، فمن حقِّ القاضي - بل من واجبه - أن يُجبر الرجل على الطلاق، بل أن يُطلق عليه هو جبرًا.

وبذلك يكون الإسلام قد أنصف المرأة، وأعطاهما في مقابل الطلاق ثلاثة أشياء وليس شيئاً واحداً.

الإسلام ليس شريعة من وضع الرجال، لم تضع الشريعة الإسلامية لجنة من الرجال حتى يتحيزوا ضد النساء؛ إنما الذي وضع هذه الشريعة ربُّ الرجال والنساء الذي ﴿خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [النجم: ٤٥]، ولا يتصور منه أن يحيف على بعض خلقه لحساب البعض الآخر؛ فهو عدلٌ، وهو الحَكَمُ العَدْلُ، وهو الذي ﴿لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقِّهنا في ديننا، وأن يرُدِّنا إليه ردًّا جميلاً، وأن يُحسن خاتمتنا، إنه سميعٌ قريبٌ.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

نحن في هذه الأيام في عشر ذي الحجة، وهي من أفضل الأيام عند الله، كما جاء عن ابن عباس: «ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحبّ إلى الله العمل فيهنّ من أيام العشر، فأكثروا فيهنّ من التّسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير»^(١) وتلاوة القرآن، والصيام، وخصوصاً صيام يوم التاسع: يوم عرفة؛ فهو أفضل أيام العام، وصيامه يُكفّر ذنوب سنتين، كما جاء عن النبي ﷺ: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يُكفّر السنّة التي قبله والسنّة التي بعده»^(٢).

مآسي موزمبيق:

وأحبّ أن أتحدّث عن شيء، جاءني في مكنتي أحد الشباب الأفارقة الذين يدرسون في جامعة قطر، وقال لي: نراك تتحدّث عن القضايا العربيّة والمآسي العربيّة، ولا تتحدّث عن مآسي إفريقيا، مثل ما يحدث في موزمبيق الآن من فيضانات تكاد تُغرق النّاس، وهناك آلاف مؤلّفة فوق أسطح المنازل والأشجار، لا تجد من ينقذها.

فقلتُ للابن العزيز: أنا لا أتحدّث عن النّاس من منطلق جغرافيّ، ولا من منطلق عرقيّ؛ فلا يهمنيّ عربٌ ولا عجم، ولا أفارقة، ولا آسيويّون،

(١) رواه الطبراني (٨٢/١١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٩٣٢): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. وجوّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١٢٧/٢)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم (١١٦٢)، وأبو داود (٢٤٢٥)، كلاهما في الصّوم، عن أبي قتادة.

ولا أوريئون؛ أنا أتحدّث عن المآسي التي يقع فيها النّاس عامّة والمسلمون خاصّة، وأتحدّث عن أشدّها سخونة، وأكثرها مأساويّة؛ لذلك تحدّثتُ في الأسبوع الماضي عن مأساة الشيشان؛ فهي المأساة الحيّة الساخنة التي نشاهدها بأعيننا كلّ يوم، وتحدّثت عن مأساة فلسطين، وهي المأساة القديمة الجديدة، وتحدّثت عن إندونيسيا، وهي في أقصى الشرق، وتحدّثت عن كشمير، هذه المأساة القديمة الجديدة التي يعاني أهلها ما يعانون.

أتحدّث عن المآسي بغضّ النّظر عن مكانها، وبغضّ النّظر عن جنس أهلها، أنا لا أتعبّس لجنس ولا لعرق ولا لون ولا لإقليم مُعيّن، أنا أتحدّث عن مآسي الأمّة.

ولكن ليس معنى هذا أنّنا لا نتحدّث عن مأساة موزمبيق وما يجري فيها، وكان ينبغي على العرب والمسلمين أن يقوموا بدورهم - خصوصاً الأفارقة منهم - في إنقاذ هؤلاء الذين نراهم على أسطح المنازل بعشرات الآلاف، ولا يجدون من ينقذهم.

عدّة طائرات، خمس طائرات ظلّت تنقل المؤن، لماذا لا تذهب طائرات أخرى؟

لو من كلّ بلد طائرة، نستطيع أن ننقذ هؤلاء النّاس، حتّى لو لم يكن أهل هذه البلاد مسلمين، فنحن مع الإنسان من حيث هو إنسان، والله يحبّ إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم ولو كان كافراً، وفي الحديث: «دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه»^(١).

(١) رواه أحمد (٨٧٩٥)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والطيالسي (٢٣٣٠)، والقضاعي في مسند الشهاب (٣١٥)، وحسّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٣٧٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٢٢٧)، وابن حجر في الفتح (٣٦٠/٣)، عن أبي هريرة.

وإذا كان الإسلام يأمرنا بالرحمة بالحيوان الأعجم، بالكلاب وبالقطط وبغيرها، «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها»^(١)، ودخل رجل الجنة في كلب سقاه، وكان يلهث يأكل الثرى من شدة العطش «فشكر الله له فغفر له». قال الصحابة: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجراً؟

فقال: «في كل كبد رطبة أجر»^(٢)، فكيف لا يأمرنا بالرحمة بالإنسان؟ علينا أن نُسعف إخواننا هؤلاء، وأن نشدّ أزرهم، ونُغيث لهفتهم، ونُفَرِّج كُرْبَتَهُمْ، فهذا هو خُلق الإسلام، وهذا هو منهج الإسلام.

اللهم هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، اللهم لَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا أَقْلَ مِنْ ذَلِكَ، اللهم اجْعَلْ يَوْمَنَا خَيْرًا مِنْ أَمْسِنَا، واجْعَلْ غَدَنَا خَيْرًا مِنْ يَوْمِنَا، وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.

اللهم انصر إخواننا في الشيشان، وانصر إخواننا في فلسطين وفي لبنان، وانصر إخواننا في كشمير، وانصر إخواننا في الفلبين، وانصر إخواننا في كل مكان.

اللهم اجمع كلمة المختلفين من المسلمين على الهدى والتقى، اللهم أصلح ذات بينهم، اللهم لَا تَكِلْهُمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا أَقْلَ مِنْ ذَلِكَ.

قال المناوي في شرحه: يحتمل أن يريد بالفاجر الكافر، ويحتمل أن يريد الفاسق، وينبغي أن يعتقد أن دعوة المظلوم مستجابة، ولا ينافيه عدم ظهور أثرها حالاً؛ لأنه تعالى ضمن الإجابة لدعائه في الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي تريد. فيض القدير (٥٢٦/٣).

(١) سبق تخريجه ص ٨٦.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٦٦)، ومسلم في السلام (٢٢٤٤)، عن أبي هريرة.



﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

وأذكر الإخوة بالتبرُّع للأضاحي في هذه الأيام قبل العيد لمنظمة الدعوة الإسلامية وجمعية قطر الخيرية وغيرها، وذلك في ميزانكم حسنات ودرجات إن شاء الله، ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *



رعاية المُسنِّين (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

أعلنت منظّمة الصّحّة العالمية هذا العام ١٩٩٩م. (العام الدوليّ للمسنّين). وقد دعّتنا المنظّمة الإسلاميّة للعلوم الطّبيّة في الكويت لإقامة ندوة علميّة فقهيّة، شرعيّة طبيّة للحديث عن: حقوق المُسنّين والمُسنّات في ضوء الشريعة الإسلاميّة^(٢).

وبحمد الله لم يوجد دين غني بحقوق الشيوخ وكبار السنّ كما غني هذا الدين.

الدين الإسلاميّ يُعنى بالإنسان، يُعنى بالإنسان طفلاً، ويُعنى بالإنسان صبيّاً، ويُعنى بالإنسان شابّاً، ويُعنى بالإنسان كهلاً، ويُعنى بالإنسان شيخاً.

إنّه يمضي مع الإنسان في رحلة حياته كلّها، من المهد إلى اللحد، من صرخة الوضع إلى أنّه النزع.

- (١) أُلقيت في جامع عمر بن الخطّاب بالدوحة في رجب ١٤٢٠هـ، الموافق نوفمبر ١٩٩٩م.
- (٢) عُقدت النّدوة في الفترة من ٩ - ١٢ رجب ١٤٢٠هـ، الموافق ١٨ - ٢١ أكتوبر ١٩٩٩م، وقد شاركت ببحث عنوانه: حقوق الشيوخ والمسنّين في ضوء شريعة الإسلام.

يُشرع لهذا الإنسان ويوجّهه في جوانب حياته كلّها، والله تعالى يقول لرسوله ﷺ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

الشيخوخة مرحلة طبيعية من مراحل حياة الإنسان:

ولذلك عني الإسلام بمرحلة الشيخوخة، ومرحلة الشيخوخة مرحلة طبيعية من مراحل حياة الإنسان، أشار القرآن إليها حينما قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِّتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ [غافر: ٦٧]، فأشار إلى المرحلة الجنينية، والمرحلة الطفولية، ومرحلة بلوغ الأشد، وتشمل: مرحلة الشباب والكهولة، ثم مرحلة الشيخوخة، ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾.

هكذا لا بدّ أن يصل الإنسان - إذا لم يدركه الموت في الصّغر - إلى الشيخوخة.

الشيخوخة مرحلة الضعف:

والشيخوخة مرحلة ضعف؛ فإنّ السنين تعمل عملها في الإنسان كما تعمل عوامل التّحاتّ والتّعرية في الأرض، وفي المادة، وفي الحياة الطّبيعيّة، كذلك مُضيّ السنين والأعوام يعمل في الإنسان؛ فيضعف بعد قوّة، وتقلّ حواسّه من السمع والبصر، ويضعف إدراكه، ويعتمد على عكّاز بعد أن كان يمشي على رجله سليمتين، كما قال الشاعر قديماً:

وكنْتُ أَمْشِي عَلَى رَجْلَيْنِ مَعْتَدَلًا فصرْتُ أَمْشِي عَلَى أُخْرَى مِنَ الشَّجَرِ^(١)

(١) هو أبو حية النميري، واسمه المشمر بن الربيع بن زرارة. انظر: الحيوان للجاحظ (٥٧٩/٦)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ.

هذه سُنَّة الحياة.

أشَاب الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ كَرُّ الْغَدَاةِ وَمَرُّ الْعَشِيِّ^(١)
ويقول الآخر:

طَوَّلَ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي نَقَضْنَ كُلِّي وَنَقَضْنَ بَعْضِي^(٢)

هذه سُنَّة الله: أن يشيب الصغير، ويفني الكبير، ويضعف القوي، ويمرض الصحيح؛ يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الرُّوم: ٥٤]، ضعف الطفولة، ثم قُوَّة الشباب، ثم ضعف الشيخوخة وشيبتها، هذه مراحل لا بدَّ أن يمرَّ بها الإنسان، إذا كتب له أن يعمر.

مرحلة أرذل العمر:

ومن الشيخوخة مرحلة متأخرة سمَّاها القرآن: أرذل العمر: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥].
﴿أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ كما قال ابن عباس: أردؤه، بحيث يصبح كالصبي الصغير، يحتاج إلى غيره في كلِّ الأشياء أو معظم الأشياء.

والنَّبِيُّ ﷺ استعاذ بالله من أمور خمسة، قال: «اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»^(٣).

(١) البيت للصلَّتان السعديَّ. انظر: الحيوان للجاحظ (٢٣٠/٣)، ونسبه ابن عبد ربَّه في العقد

الفريد (١٣٨/٣) إلى الصلتان العبدی، نشر دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٤هـ.

(٢) هو الأغلب العجلي بن عمرو: أحد المعمرين، عمَّر في الجاهلية عمراً طويلاً. انظر: خزانة

الأدب (٢٢٦/٤)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٣) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٦٥)، عن سعد بن أبي وقاص.

استعاذ بالله أن يُردَّ إلى أرذل العمر، فينسى بعد تذكُّر، ويضعف بعد قوَّة، ويصبح كلاً على غيره، حين تصيبه أمراض الشَّيخوخة القاسية، فهذا ممَّا يُستعاذ بالله تعالى منه.

الإنسان إذا بلغ من الكِبَر عتياً ضعف واحتاج إلى غيره، وقد عبَّر عن ذلك نبيُّ الله زكريا حينما قال: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤].

هذه طبيعة الإنسان: أن يَهِنَ عظمه، وتضعف قوَّته وحيلته، ويفتقر إلى معونة غيره، بعد أن كان هو الذي يُعين أولاده في كلِّ شيء، في مأكله ومشربه، وملبسه، ومرقده، حتَّى يحتاج أحياناً إلى مَنْ يُعينه في قضاء حاجته البشريَّة!

حقوق المُسنَّين:

هنا يوجب الإسلام لهذا الإنسان الضعيف حقوقاً مؤكَّدة: حقوقاً ماديَّة، وحقوقاً أدبيَّة.

أولاً: الحقوق الماديَّة:

مِنْ حقِّ هذا الإنسان أن يعيش مكفول الحاجات الماديَّة، لا بدَّ أن يُوفَّر له مطعمه، ويُوفَّر له مشربه، ويُوفَّر له ملبسه، ويُوفَّر له مسكنه، وتُوفَّر له أدويته، وكلُّ ما يحتاج إليه، هذه الأمور لا بدَّ أن تُوفَّر له.

الحقوق الماديَّة واجبة على الأسرة:

وأوَّل مَنْ ينبغي أن يُوفَّر له هذا، هو أسرته، وأولاده؛ فله حقٌّ عليهم. كما أنَّه ربَّاهم صغاراً، يجب أن يكفلوه وهو كبير، فهذا حقٌّ من حقوق

الله تعالى على الأولاد، ومن حقوق الوالدين على أولادهم، لا يجوز لهم أن يُفَرِّطوا فيه بوجه من الوجوه، ولا أن يمتنوا على آبائهم ولا أمهاتهم بهذا، فهذا حقٌّ مؤكَّد.

ولذلك لم يُجزِ الفقهاء أن يعطي الإنسان زكاته لأبيه وأمه، لماذا؟ لأنَّ نفقتهم واجبة عليه، فكأنما يعطي لنفسه؛ هؤلاء جزء منك، جزء من أسرتك، لا يجوز لك أن تعطي الزكاة لابنك، ولا يجوز لك أن تعطيها لأبيك. وحينما ذهب أحد الأولاد إلى النبي ﷺ يشتكي له أنَّ أباه يريد أن يجتاح ماله - كأنَّ أباه قد أكثر عليه، ويريد أن يأخذ من أصل المال لا من فضل المال - قال له النبي ﷺ: «أنت ومالك لأبيك»^(١)، إذا احتاج، فأنت ومالك لأبيك.

وعندما يصاب الإنسان في شيخوخته - أبًا كان أو أمًّا، جدًّا كان أو جدة - بأمراض الشَّيْخُوخَةِ الخطيرة، التي تُعيد الإنسان طفلًا، لا يكاد يعرف مَنْ حوله، ولا أولاده وأحفاده أنفسهم، كما في المرض الذي يُعرف باسم «الزهايمر»، وهنا يحتاج المريض إلى رعاية بالغة، وقد يحتاج إلى ممرّض دائم معه.

هذا ما يُقرّره الشرع الحنيف في هذه القضية.

الحقوق الماديّة واجبة على المجتمع:

وإذا لم يكن الأولاد قادرين، فعلى المجتمع أن يسدَّ هذه الحاجة. الإسلام يجعل أهل كلِّ حيٍّ - أو أهل كلِّ قرية أو أهل كلِّ عَرْصَة - متكافلين فيما بينهم، يأخذ القويُّ بيد الضعيف، ويصبُّ الغنيُّ على

(١) رواه أحمد (٦٩٠٢)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في البيوع (٣٥٣٠)، وابن ماجه في التجارات (٢٢٩٢)، وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٥٦)، عن عبد الله بن عمرو.

الفقير، ويحمل المسلمون بعضهم بعضًا، فكأنهم أسرة واحدة: «ما آمن بي مَنْ بات شبعانًا، وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم»^(١)، «وأيُّما أهل عَرَصَة - أي: ساحة - أصبح فيهم امرؤ جائع، فقد برئت منهم ذمّة الله»^(٢).

وإذا لم يكف ذلك يُؤخذ من موارد الدولة؛ موارد الدولة قد تكون من الزكاة، قد تكون من خمس الغنائم، قد تكون من الفبيء، قد تكون من الخراج، قد تكون أملاك الدولة ممّا يفبيء الله عليها من باطن الأرض، من البترول، من الذهب، من المعادن، من أشياء أخرى تملكها، من ضرائب التكافل وغيرها.

كلُّ هذا لهؤلاء الشيوخ الضعفاء حقٌّ فيه، ولا يجوز أن يذهب هذا الحقُّ، ولا أن يضيع أبدًا في أمة مسلمة.

تطوُّر هذه الحقوق بتطوُّر الزمن:

الشيوخ لهم حقوق مؤكّدة، وهذه الحقوق تتطوُّر بتطوُّر الزمان؛ ربّما في الزمن الماضي لم يكن الإنسان المسنُّ في حاجة إلى ما يحتاجه إليه في عصرنا، مثلاً في عصرنا يحتاج إلى مكيف - خصوصاً في بلاد الخليج - فيلزم أن نهبيء له مكيفًا، وإذا احتاج إلى ثلاجة لا بدّ أن نهبيء

(١) رواه البزار (٧٤٢٩)، والطبراني (٢٥٩/١)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٧٤)، والهيثمى في مجمع الزوائد (١٣٥٥٤)، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٥)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (٤٨٨٠)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وأبو يعلى (٥٧٤٦)، والحاكم في البيوع (١١/٢)، وقال الذهبي: عمرو بن الحصين العقيلي: تركوه، وأصبغ بن زيد الجهني فيه لين. عن ابن عمر.

له ثلّاجة، في عصرنا أصبح هناك شيء اسمه: الكرسي المتحرك، كي يستطيع هذا الإنسان أن يتحرك بكرسي، فيهيأ له هذا الكرسي.

أرى الغربيين - في الحقيقة - اهتموا بالمعوقين من البشر في كل ناحية من النواحي: في مواقف السيّارات، في الحمّامات، في المطارات، في كل شيء عندهم يُحسب حساب هؤلاء المعوقين، وكيف يتحرّكون دون عائق يعوقهم، وهذا ما يوجبه الإسلام علينا.

ثانيًا: الحقوق الأدبية:

الإسلام لا يوجب علينا أن نرعى حقوقهم الماديّة فقط، بل حقوقهم الأدبية أيضًا؛ فالمسنّ يحتاج للحقوق المعنوية أكثر من حاجته للماديات.

توفير الجو الاجتماعي:

بعض الناس يظنّ أنّ أباه يحتاج إلى أن يأكل ويشرب فقط، فيضعه في بيت المُسنّين، أو العجزة كما يُسمّونهم - وهذه تسمية خاطئة، ولا يجوز أن نُسمّيهم بها، ولكن: كبار السنّ أو الشيوخ أو نحو ذلك - فإذا وضعه في هذه الدور، شعر بأنّه أدّى ما عليه.

لا يا أخي؛ الإنسان له أشواق، وطموحات، وحقوق أدبية.

من حقّ الأب، ومن حقّ الجدّ: أن يعيش مع أولاده، ويعيش مع أحفاده، ويسمع الأحفاد حكايات جدّهم، ويتعلّموا من تجاربه، ويؤنّسهم ويؤنّسونه.

أمّا أن ترميه في المصحّة أو في دار العجزة أو المُسنّين وتقول: أدّيت ما عليّ، فهذا لا يعرفه الإسلام.

الوصية بالوالدين في حالة بلوغ الكبر:

الله ﷻ يقول: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]، القرآن وصّى بالوالدين بصفة عامّة، وخصّ هذه الحالة - حالة بلوغ الكبر - بالذكر، وقال: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾، عندك، في بيتك، في دارك، وليس في المصححة.

نهيان وثلاثة أوامر:

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]، هذان نهيان:

١ - النهي عن ﴿أُفٍّ﴾، عن مُجَرَّد التَأْفُف، التَّضَجُّر، سواء كان بالكلام كأن تقول: أفّ، أو بالنفس، فمجَرَّد النفخة هذه حرام.

بعض السلف يقولون: لو كان هناك شيء أقل من ﴿أُفٍّ﴾ لحَرَّمه الله.

٢ - ﴿وَلَا نَهْرُهُمَا﴾، لا تكلمهما بعنف.

ثم قال: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]، فنهى عن أمرين، وأمر بثلاثة أمور:

١ - ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، القول الكريم هو القول اللين، القول الحسن، كأن يقول له: يا أبت، كما رأينا سيّدنا إبراهيم يقول لأبيه، وهو مشرك: ﴿يَتَابَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۖ يَتَابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۖ يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۖ يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٢ - ٤٥].

٢ - ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾، الله تعالى قال لرسوله: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعراء: ٢١٥]، ولكن هنا قال: ﴿جَنَاحَ الذُّلِّ﴾، ليس مُجَرَّد خفض جناح، ولكنه جناح الذلِّ.

ولم يمدح الله الذلَّ في القرآن إلا في موضعين: هذا الموضع، وموضع آخر حينما قال: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، ذلُّ الإنسان لأبويه، وذلُّ الإنسان لأخيه المؤمن.

٣ - ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، ادع لهما أن يرحمهما الله في حياتهما وبعد موتهما، وكان أبو هريرة رضي الله عنه إذا ذهب إلى أمّه صاح بأعلى صوته: السَّلام عليك ورحمة الله وبركاته يا أمتاه!

تقول: وعليك السَّلام ورحمة الله وبركاته.

يقول: رحمك الله كما ربيتني صغيرًا.

فتقول: يا بني! وأنت، فجزاك الله خيرًا، ورضي عنك، كما بررتني كبيرًا^(١).

انظر إلى هذه العلاقة الطيبة الحسنة.

على الإنسان أن يرعى هذه العلاقة.

الإحسان إلى الأبوين سبب للمغفرة:

يستطيع الإنسان أن يكسب المغفرة، وأن يربح الجنة، إذا أحسن إلى أبويه أو أحدهما في حالة الكبر.

جاء عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ»، أي: ذلٌّ، وذلٌّ، وذلٌّ.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٤)، وحسَّن إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد (١١).

قيل: مَنْ، يا رسول الله؟

قال: «مَنْ أدرك وأبويه عند الكبر، أَحَدَهُمَا أو كليهما فلم يدخل الجنة»^(١).
لم يتوصَّل إلى الجنة من خيبته، ضيَّع الجنة، وكان يمكن أن يكسبها
ببرِّ والديه في هذه الحالة.

روى البزار، أَنَّ رجلاً كان يطوف بالكعبة وهو يحمل أمّه على كتفه،
فراه النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، هل أدَّتْ حقّها؟
فقال ﷺ: «لا، ولا بزفرةٍ واحدة»^(٢).

أي: حَمَلْتُكَ لَأَمِّكَ هذا لم يُؤدِّ حقَّ زفرةٍ واحدة من زفرات الطلق،
وآلام الوضع.

وجاء رجل إلى عمر رضي الله عنه، وقال: يا أمير المؤمنين، لقد بلغ برِّي
بأمي أنّها لا تقضي حاجتها إلّا وظهري لها مطيّة - أحملها إلى المرحاض
كما كانت تفعل بي في صغري، فأنا أوْدِي إليها ما كانت تؤدّي إليّ - هل
وفيتُ حقّها؟

فقال عمر: لا؛ إنّها كانت تفعل بك ذلك وتتمنّى لك عُمرًا طويلاً،
وأنت تفعل بها ذلك وأنت تترقّب موتها غدًا أو بعد غد^(٣).

فرق بين الأمرين.

(١) رواه مسلم في البرِّ والصّلة (٢٥٥١)، وأحمد (٧٤٥١)، عن أبي هريرة.
(٢) رواه البزار (٤٣٨٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٣٩٥): فيه الحسن بن أبي جعفر،
وهو ضعيف من غير كذب، وليث بن أبي سليم: مدلس. عن بريدة بن الحصيب الأسلمي.
(٣) البر والصلة لابن الجوزي ص ٤٠، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي معوض، نشر مؤسسة
الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

الحقُّ الأدبيُّ على الإنسان: أن يرفع أبويه، ليس مُجَرَّد رميه في المَصْحَة.

المَصْحَات لا بدَّ منها؛ لأنَّه قد يوجد من النَّاس مَنْ لا عائلة له، وقد يوجد ابن فقير لا يستطيع أن يحتوي أباه في بيته، بيته من حجرتين فماذا يفعل هذا المسكين؟

هذا يذهب بأبيه إلى المَصْحَة، ومع هذا فلا بدَّ لهذا الأب أن يزور بيت أولاده ما بين الحين والحين، ولا بدَّ أن يزوروه.

وهناك في بعض البلاد تُقام أندية للمسنين، يقضون نهارهم في هذه الأندية بعضهم مع بعض، ثمَّ يعودون إلى البيت في المساء، حيث يذهب الجميع في النَّهار - وخصوصًا في عصرنا - إلى أعمالهم، الابن يعمل، وزوجة الابن تعمل، والأولاد في المدارس، ويبقى الرجل المسكين وحده، فحياته موحشة؛ فلذلك أقاموا أندية للمسنين، هذا لا بأس أن نقيم في بلادنا، وفي مجتمعاتنا.

الإسلام لا يمنع من إقامة مثل هذه الدُّور؛ لتقوم بحقِّ هؤلاء الشيوخ الكبار، والمسِنَّات من النساء - أيضًا، هذا واجبنا أيُّها الإخوة، وواجب المجتمع أن يعين في ذلك.

توقير الكبار قيمة إسلامية:

واجب المجتمع أن يُوقِّر الكبار، وأن يُؤدِّي إليهم حقَّهم، والنبِيُّ ﷺ يقول: «ليس منَّا مَنْ لَمْ يُجِلِّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقَّه»^(١).

(١) رواه أحمد (٢٢٧٥٥)، وقال مخرَّجوه: صحيح لغيره دون قوله: «ويعرف لعالمنا حقَّه». =

فرحمة الصغير، وتوقير الكبير، واحترام العالم، قيم إسلامية أصيلة، لا يجوز أن تُفقد هذه القيم، وتصل إلينا قيم أخرى غريبة عن هذه المجتمعات، يرى الرجل فيها الشيخ الكبير فلا يُعينه، يركب الشيخ الباص - أو الأوتوبيس - وهو يحتاج إلى مَنْ يُجلسه، ويظل الشاب جالساً في مكانه.

هذه قيم غريبة عن هذه المجتمعات.

المجتمع المسلم يوقّر الكبير، وكما قال الحديث الذي رواه الترمذي: «ما أكرم شاب شيخاً لسنّه، إلّا قيّض الله له مَنْ يكرمه عند سنّه!»^(١).

إذا أكرمت شيخاً وأنت شاب، جزاك الله من جنس عملك فهياً لك وأنت شيخ مَنْ يكرمك، وأنت في حاجة إلى الإكرام.

هذه الأمور كما يقول الناس: سَلَف، البرُّ سَلَف، والعقوق سَلَف: «بَرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ»^(٢)، وهكذا.

الإسلام يرعى هؤلاء المُسنّين حقّ الرعاية.

= والطحاوي في مشكل الآثار (٣ ٣٦٥)، والحاكم في العلم (١/١٢٢)، وقال: ومالك بن خير الزيايدي مصري ثقة، وأبو قبيل تابعي كبير. وقال الذهبي: مالك ثقة مصري. وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١/٦٤)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠١)، عن عبادة بن الصامت.

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٢٢)، وقال: حديث غريب. والطبراني في الأوسط (٥٩٠٣)، والبيهقي في الشعب (١٠٤٨٥)، وضعفه الألباني في الجامع الصغير (١١٧٩٧)، عن أنس بن مالك.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (١٠٠٢)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٧٥٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٤٠٣): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني أحمد غير منسوب، والظاهر أنّه من المكثرين من شيوخه، فلذلك لم ينسبه. عن ابن عمر.

المسنُّ يعيش وحده في الحضارة الغربية:

لا يجوز لنا - أيُّها الإخوة - أن تنتقل إلينا عدوى الغربيين، الذين تفكَّكت أسرهم، فلا يكاد الابنُ يعرف أباه أو أمّه بمجرد أن يبلغ الحُلُم؛ إذا بلغ الشابُّ ستَّة عشر عامًا أصبح حبله على غاربه، وبحث له عن صديقة، وبحث الفتاة عن صديق، ولا يكاد أحدهما يعرف أمّه أو أباه؛ ولذلك احتاجوا إلى أن ينشئوا عيدًا للأُم، وعيدًا للأب؛ يومًا في العام، يتذكَّر الواحد منهم أنَّ له أبًا أو أمًّا! وماذا يفعل؟

لعلَّه يرسل إليه بهديَّة، يرسل إلى أمّه بزجاجة عطر أو نحو ذلك! هل هذه حياة؟

ولهذا يعيش أحدهم في شيخوخة مُوحشة، الشَّيخوخة هناك مُوحشة أشدَّ الإيحاش؛ لأنَّ الإنسان يعيش وحده، لا يتمتَّع فيها بابن ولا بنت، ولا حفيد ولا حفيدة.

الإسلام لا يرضى بهذه الحياة.

حدَّثني بعض الإخوة أنَّهم كانوا يجاورون امرأة عجوزًا في أمريكا، بعد أيَّام افتقدوها، لم يعودوا يسمعون لها صوتًا، أو يروُن لها وجهًا، فأبلغوا الشرطة، دخلت الشرطة شقَّة هذه المرأة وفتحتها، فوجدت المرأة (رَمَّةً) متعفِّنة، ماتت من عدَّة أيَّام، ولا يعرف أحدٌ بموتها، وبحثوا فوجدوا لها أبناء وبنات، وأحفادًا وحفيدات في مناصب محترمة، ولكنَّهم تركوها وحدها.

ماتت، ولعلَّها كانت تحتاج إلى شربة ماء، علَّها كانت تحتاج إلى حَبَّة دواء تنقذها، ماتت ولم تجد مَنْ يجلس بجوارها في الساعة الأخيرة واللحظات الأخيرة.

أيُّ حياة هذه الحياة التي يحياها النَّاس؟

لهذا احتاج النَّاس في تلك الديار إلى اقتناء الكلاب والقطط! لأنَّهم وجدوا الكلاب أكثر وفاء من الإنسان، الكلب أحسن من ابنك الَّذي يتركك ولا يسأل عنك، والكلب يلزمه ويتبعه وفيه له.

لا يجوز لنا - أيُّها الإخوة - أن نمشي وراء هذه المجتمعات، ونفقد خصائصنا الذاتيّة ومقوماتنا الذاتيّة والحضارية، ونمشي وراءهم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتّى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلناه، والعياذ بالله.

حاجة المُسنِّين إلى أسرة:

علينا أن نرعى هؤلاء المُسنِّين والمسنَّات، وأن نحتضنهم في ديارنا ما وجدنا إلى ذلك سبيلًا.

بعض البلاد تُبقي الآباء عند أبنائهم وأحفادهم وتدفع لهم هي - أو الجمعيات الخيريّة - معونات، وتقول لهم: خلُّوا هؤلاء عندكم.

حتى مَنْ ليس له أسرة تجعله عند أسرة من الأسر وتدفع معونة لهذه الأسرة؛ لأنَّ الإنسان في حاجة إلى أن يعيش في أسرة.

الأسرة ليست مُجرّد مكان أو مسكن، إنّها حاجة نفسية، وحاجة اجتماعيّة، لا يستطيع الإنسان أن يستغني عنها.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يفقِّهنا في ديننا، وأن ينير بصائرنا، وأن يهيئ لهذه الأمّة من أمرها رشدًا، إنّه سميع قريب.

أقول قولي هذا - أيُّها الإخوة والأخوات، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة:

يحتار الإنسان، وينقطع نياط قلبه، وتتفتّت كبده ألمًا وحسرة، على ما يحدث للمسلمين في كلّ مكان.

ماذا أحدثكم - أيّها الإخوة؟ عن أيّ القضايا أحدثكم وهي كثيرة؟

القضية الأولى: قضية الشيشان:

أحدثكم عن قضية إخوتنا في الشيشان، الذين يتعرّضون لغزو جهنمي ظالم، عدواني أثيم، من تلك القوة المُتَجَبِّرة، التي أذلّها الله تبارك وتعالى، وأخرجها من حلبة الصراع العالمي؟

سقط الاتحاد السوفيتي، وخرج من حلبة الصراع، وترك الميدان لأمريكا، ولكنّ هؤلاء الروس - ورثة السوفييت - يتجبرّون على الضعفاء من الناس، يتجبرّون على دولة الشيشان، يريدون أن يخضعوها لإرادتهم حتّى تركع أمامهم، وتستسلم لأوامرهم.

ورغم أنّ دولة الشيشان دولة مسلمة شهدت «أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّدًا رسول الله»، إلاّ أنّ هؤلاء يريدون أن يخضعوا لهم من ليس من دينهم، وليس من جنسهم، وليس من وطنهم.

هؤلاء الشيشانيون ليسوا من الروس، بل هم من القوقاز، وليسوا من الشعب الروسي بل الشعب القوقازي، وليسوا نصارى بل هم مسلمون، فعلى أيّ أساس يريدون أن يخضعوا هؤلاء؟!

وقد جرّبوا حظّهم معهم منذ سنوات، ولم تستطيع القوّة الروسيّة المستكبرة في الأرض بغير الحقّ، لم يستطع هؤلاء الذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد: أن يُذلّوا الشيشان، وأن يُرغموا الشيشان على قبول إرادتهم.

وقف الشيشانيون أبطالاً صامدين كالجبال الشّم الرواسخ، لم تُزحزحهم العواصف، واضطرّ الروس إلى أن يعودوا مقهورين مدحورين.

اليوم تريد روسيا أن تُجرّب حظّها مرّة أخرى. لقد هدّت «جروزي»، وهدّت الشيشان، هدّمت المساجد، وهدّمت المدارس، وخرّبت المصانع، وتركت الأرض محروقة وراءها، ومع هذا لم يستسلم الشيشانيون، ولم يركعوا؛ لأنّهم تعلّموا أن لا يركعوا إلّا لله، وأن لا يسجدوا إلّا لله، وأن لا يُعفّروا جبهتهم إلّا لله ساجدين. رفضوا وقالوا: لا.

اليوم تعود روسيا لتُجرّب حظّها مرّة أخرى، لماذا؟

قالوا: لمحاربة الإرهاب!

أيّ إرهاب هذا؟

قلت: الإرهاب في داغستان. الآن الأمر استتبّ في داغستان. هل هو إرهاب حقّاً؟

إنّ الإرهابيّ الآن هم هؤلاء الروس، يشاركون إسرائيل الإرهابيّ الأكبر في العالم، وإسرائيل أصابعها معهم؛ فتش عن إسرائيل وفتش عن الصهيونيّة في كلّ ما يحدث في العالم، تجد أصابع الصهيونيّة وأيدي إسرائيل هناك. هذه حقيقة يجب ألا ننساها.

إخوتنا في الشيشان يقاتلون، ويصمدون، ولم يقبلوا الاستسلام.
 المشكل: أين العالم؟ أين هيئة الأمم المتحدة؟ أين أمريكا؟
 نسمع استنكارات خافتة أو دعوات ليس فيها قوّة، لماذا لم تتحرّكوا
 كما تحرّكتُم من قبل في يوغسلافيا، وفي كوسوفا.
 وأين العالم الإسلامي؟ لماذا لم يتحرّك النَّاس؟ لماذا لم نسمع كلمة
 استنكار صارخة قويّة تقول: لا، هذا بلد مسلم لا يجوز لكم - أيّها
 الروس - أن تعتدوا على أهله؟
 رأينا صمتًا كصمت القبور.

ألهذا الحد نجامل الروس على حساب إخوتنا؟
 تُنتهك الأعراض والحُرُمات، وتُدَمَّر البلاد، ويُقتل العباد، وتُزهق
 الأرواح، وتُسْفَك الدماء، ونحن صامتون؟
 لو أنّ بلاد المسلمين وحكّام المسلمين قالوا: لا، والله لوقف الروس
 ولاستحيوا وخجلوا، ولكن لم يقل لهم أحد: قفوا، هذا لا يجوز.
 لم هذه المجاملات إلى هذا الحدّ؟

أصبح الدم الإسلامي رخيصًا إلى هذا الحدّ، بحيث يُسفك، وتُزهق
 الأرواح، ولا يتكلّم أحد، ولا يحتجُّ أحد، ولا يستنكر أحد؟
 أين أمّة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها؟

أين المؤتمر الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي؟
 أين الجهات والجمعيات والمؤسسات المختلفة هنا وهناك؟

لم نرَ أحدًا تحرَّك، إلَّا مظهرة قرأنا عنها وشاهدناها في التلفاز، قامت في الأردن - لأنَّ هناك شيشانيين من قديم، وشارك فيها الإسلاميون أيضًا - تحتجُّ على ما يجري لإخوتنا في الشيشان.

ونحن نقول لإخوتنا في الشيشان: اصبروا وصابروا ورابطوا، والله تعالى معكم، ولن يتركم أعمالكم، والشُّعوب الإسلامية معكم، وإن كانت لا تملك من أمرها شيئًا - للأسف، ولكن هذه القلوب بحرارتها، وهذه الألسنة التي تهتف في الدعاء، لن تتخلَّى عنكم أبدًا.

والله سُبْحَانَهُ وملائكته وجنوده يؤيِّدونكم، ويشدُّون أزرَّكم: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيْرًا حَكِيْمًا﴾ [الفتح: ٧]، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

القضية الثانية: قضية فلسطين:

أأحدثكم - أيُّها الإخوة - عن الشيشان، ومأساة الشيشان؟ أم أحدثكم عن القضية التي لا ينتهي الحديث عنها أبدًا: قضية المسلمين الأولى؛ قضية القدس، والمسجد الأقصى، وأرض النبوات، أرض الإسراء والمعراج، ونحن الآن في ذكرى الإسراء والمعراج؟

أأحدثكم عن هذه القضية، وما يُحاك لها من مؤامرات، وما يُبيت لها من تدبير؟

نرى القضية لا تتقدَّم خطوة إلى الأمام إلَّا بتنازلات، تنازلاً وراء تنازل، إلام نتنازل؟ وحتى متى نتنازل؟

كنا نقول في أوّل الأمر: إسرائيل كيانٌ قائم على العدوان والاغتصاب، لا مكان له في أرضنا، ولا وجود له، ولا يستحقُّ البقاء، حتَّى حدثت

نكبة (٥ حزيران - أو ٥ يونيو - سنة ١٩٦٧م)، فانقلبت السياسة العربيّة ظهرًا على عَقَب، وقالوا: إِنَّا الآن نسعى إلى إزالة آثار العدوان - أي: العدوان الجديد (عدوان ٦٧)، أمّا (عدوان ٥٦) و(عدوان ٤٨) فقد أُضفيت عليه الشرعيّة - ونريد أن تعود الحدود إلى ما كانت عليه قبل ٥ يونيو ٦٧.

ويا ليتنا وقفنا عند هذا، بل رضينا بما دونه، وكانت محادثات ومفاوضات «مدرید» التي انتهت إلى «اتّفاق أوصلو»، ولم يقبلوا تنفيذ «اتّفاق أوصلو»، فعقدوا اتّفاقًا تنازلوا فيه عن «اتّفاق أوصلو» وهو «اتّفاق واي ريفير»، ولم يقبلوا أن يُنفّذوا «اتّفاق واي ريفير»، فعقدوا اتّفاقًا آخر في «شرم الشيخ»، والآن لا يقبلون تنفيذ «اتّفاق شرم الشيخ».

هم لا يُنفّذون، ونحن نُنفّذ ما تريد إسرائيل؛ إسرائيل تأمر ونحن نُطيع، تفرض ونحن نُسلم، تطلب ونحن ننفّذ.

ومع هذا نُهرول هنا وهناك، نهول وراء إسرائيل، وإسرائيل تعبث بالمنطقة، حتّى قال - بالأمس - قائد شرطة دبي: إنّ الموساد يريد أن يعبث باقتصاد دولة الإمارات ليهزّها هزًّا، ويحدث هزّات اقتصاديّة فيها وفي دول الخليج؛ ليرغمنا على التطبيع مع إسرائيل.

هذا ما تفعله إسرائيل.

ومن عَجَب - أيُّها الإخوة - أن نرى دولة عربيّة هناك عند المحيط الأطلسي تطوّر علاقاتها مع إسرائيل إلى حدّ تبادل السفراء! أي: أن يكون هناك سفير إسرائيلي في موريتانيا، ولموريتانيا سفير في تل أبيب!

ما دَخَلَ يا موريتانيا، وأنت بعيدة عن مناطق الصّراع؟

ولكن إسرائيل تلعب هنا وهناك، كانت تلعب قبل ذلك على الحلقات



القوية: مصر والمغرب وغيرها، الآن تريد أن تلعب على الحلقات الضعيفة، تبحث عن أضعف الحلقات لتؤثر فيها، وتسخرها لإرادتها.

كيف يقبل بهذا بلد عربيّ مسلم، ولا زالت المفاوضات سائرة، ولا زالت إسرائيل ترفض أدنى الحقوق؟

علام يتفاوض الفلسطينيون مع إسرائيل؟ على كم من أرض فلسطين، وأي نسبة من أرض فلسطين يتفاوضون عليها؟ وأين الدولة التي يُراد إقامتها؟ ومن المتحكّم في هذه الدولة، وفي أمنها، وفي ممرّاتها وفي سمائها، وفي مياهها؟

إسرائيل هي المتحكّمة في هذا كلّه.

ثمّ تأتي دولة عربيّة لتقيم لها سفارة في تل أبيب، وإذا قالت إسرائيل بعد ذلك: إنّ القدس هي عاصمتها. تنتقل السفارات إليها، ويصبح سفير موريتانيا لدى إسرائيل في القدس!

هذا أمر عجّب، ولكن الأُمّة إذا هانت - إلى هذا الحدّ - رأينا من هؤلاء مَنْ يخون أمّته، ويخون دينه، ويخون موافقه، ويفعل هذه الأفاعيل. وا أسفاه على هذه الأُمّة.

وا أسفاه على هؤلاء الحكّام الذين يهرولون بعضهم وراء بعض لإرضاء إسرائيل ومن وراء إسرائيل.

خاب سعيكم، وضلّ عملكم أيّها الحمقى المغرورون، ستجنون - والله - في الدُّنيا والآخرة جزاء ما صنعتم؛ فإنّ الله ﷻ لا يمكن أن يترك هؤلاء دون أن يعاقبهم: ﴿لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرُّوم: ٤١].

يا أيُّها الإخوة، هذه مصيبتنا نحن العرب والمسلمين، مصيبتنا في
الفجوة بين الشعوب والحكّام.

الشَّعب الموريتاني لا يرضى بهذا، ولكن الحكّام هم الَّذِينَ يُرمون
الأمور، والشُّعوب لا تستطيع أن تفعل شيئاً.

ويُقضى الأمر حين تغيب تيمّ ولا يُستأذنون وهم شهود^(١)

عباد الله:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

(١) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب (٣٣٢/١)، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، نشر دار
المعارف، القاهرة، ط ١.



نعمة الوقت^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

نِعْمَةُ الْوَقْتِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْنَا: نِعْمَةُ الْوَقْتِ، أَنْ هَيَّاَ لَنَا مِنَ الْأَوْقَاتِ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَنْفِقَهُ فِي الْخَيْرِ، وَفِي عَمَلِ الصَّالِحَاتِ، وَفِي آدَاءِ الْوَاجِبَاتِ، وَفِي إِرْضَاءِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَفِي مَنْفَعَةِ عِبَادِهِ، وَ«خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمُ لِلنَّاسِ»^(٢)، وَ«الْخَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ، فَأَحْبُّهُمْ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ»^(٣).

وَامْتَنَّ اللَّهُ بِنِعْمَةِ الْوَقْتِ عَلَى عِبَادِهِ حِينَمَا قَالَ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، وَقَالَ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]. يَخْلُفُ اللَّيْلُ النَّهَارَ، وَيَخْلُفُ

(١) أُلْقِيَتْ فِي جَامِعِ الْفَاتِحِ بِالْبَحْرَيْنِ فِي ٢٤ صَفَرِ ١٤١٩ هـ، الْمَوْافِقِ ١٩ يُونِيُو ١٩٩٨ م.

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (٥٧٨٧)، وَالْقُضَاعِيُّ فِي الشَّهَابِ (١٢٣٤)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٣٢٨٩)، عَنْ جَابِرٍ.

(٣) رَوَاهُ الْبَزَارُ (٦٩٤٧)، وَأَبُو يَعْلَى (٣٣١٥)، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (١٣٧٠٦): فِيهِ يَوْسُفُ بْنُ عَطِيَّةِ الصَّفَّارِ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ. قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ (١٩٢/٥)، فِي تَرْجُمَتِهِ: مَجْمَعٌ عَلَى ضَعْفِهِ... وَمِنْ مَنَاقِيرِهِ... ثُمَّ سَاقَ لَهُ أَحَادِيثَ، هَذَا أَحَدُهَا. وَضَعْفُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الضَّعِيفَةِ (١٩٠٠)، عَنْ أَنَسٍ.

النَّهار الليل، فمن فاته شيءٌ من عمل النَّهار حاول أن يقضيه في الليل، ومن فاته شيء من عمل الليل حاول أن يقضيه في النَّهار، وهكذا.

الله سألنا عن الوقت:

فينبغي للمسلم أن يستفيد من وقته، وألا يضيِّعه عبثاً؛ فإنَّ الله ﷻ سألنا عن هذا الوقت.

روى الإمام الترمذي عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، وروى غيره عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أنَّ النَّبي ﷺ قال: «ما تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتَّى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وعن علمه ما عمل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيما أبلاه؟»^(١).

أربعة أسئلة رئيسة:

أربعة أسئلة رئيسة يُسأل عنها الإنسان أمام الله تعالى يوم القيامة، منها سؤالان عن الوقت: يُسأل عن عمره عامّة، وعن شبابه خاصّة.

يُسأل عن العمر، والعمر هو الوقت، والوقت هو الحياة، ستُسأل عن عمرك عامّة: ماذا صنعت في هذا العمر؟

رُزقت خمسين سنة أو ستين سنة أو سبعين أو عشرين، أيّا كان عمرك قصيراً أو طويلاً ستُسأل: ماذا صنعت في هذه السنين؟

السنة اثنا عشر شهراً، الشهر ثلاثون يوماً، اليوم أربع وعشرون ساعة،

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٧)، وقال: حسن صحيح. وأبو يعلى (٧٤٣٤)، والبيهقي في المدخل (٤٩٤)، وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٦)، عن أبي برزة الأسلمي.

الساعة ستُؤن دقيقة، الدقيقة ستُؤن ثانية. ستُسأل عن كلِّ نفس من أنفاسك، وعن كلِّ لحظة من لحظاتك، فحضر للسؤال جوابًا. يُسأل عن عمره فيم أفناه.

ثمَّ يُسأل عن شبابه فيم أبلاه.

والشباب جزءٌ من العمر، ولكنّه جزء متميّز، إنّهُ مرحلة الحيوة الدافقة، مرحلة القوّة بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة؛ الله تعالى يقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الرّوم: ٥٤].

القوّة بين الضعف الأوّل والضعف الأخير هي مرحلة الشباب.

فيُسأل الإنسان عن شبابه خاصّة: أين أنفق سِنِي شبابه؟ هل أنفقها في الطاعات؟ هل أنفقها في الدعوة إلى الله، في الجهاد في سبيل الله، في عمل الخيرات؟ أم أنفقها في الشّهوات وفي المعاصي وفي الجري وراء الملذّات؟ سيُسأل الإنسان عن عُمره عامّة وعن شبابه خاصّة.

خصائص الوقت:

إنّ الوقت - أيّها الإخوة المسلمون - يتميّز بعدّة أمور:

الأمر الأوّل: أنّه ثمين، وثمان جدًّا:

الغربيّون يقولون: الوقت من ذهب.

والحقيقة أنّ الوقت أغلى من الذهب وأنفس من الماس ومن الجواهر؛ الوقت هو الحياة، هذه كلمة الإمام حسن البنا رَحِمَهُ اللهُ: الوقت هو الحياة!

ما هي حياتك أيُّها الإنسان؟

إنَّها الوقت، الَّذي تقضيه من المهد إلى اللَّحد، من الميلاد إلى الوفاة، من صرخة الوضع إلى أَنَّة النَّزع.

هذا الوقت ما بين ساعة الميلاد وساعة الوفاة هو: حياتك. فمن ضَيَّع وقته، فقد ضَيَّع حياته.

الَّذين يقولون: تعالوا نقتل الوقت! هؤلاء المساكين الحمقى لا يدرون: أَنَّهُم حينما يقتلون أوقاتهم إِنَّمَا يقتلون أَنفُسهم وهم لا يشعرون، وينتحرون انتحارًا بطيئًا.

وهؤلاء القَتلة للأوقات - للأسف - لا تمسُّهم القوانين، ولا تصل إليهم، وهم يرتكبون جريمة بشعة في حقِّ أَنفُسهم، وفي حقِّ مجتمعاتهم، وفي حقِّ أُمَّتهم.

الوقت ثمين جدًّا.

وللأسف أكثر من يُضَيِّع الأوقات هم: المسلمون، هم: العرب.

أذكر في أوَّل زيارة لي إلى ألمانيا: سألت الأخ الَّذي استقبلني في المطار ورافقني إلى مكان المحاضرة: لماذا لا أرى النَّاس في الشوارع؟ قال: النَّاس في أعمالهم.

ثمَّ بعد المحاضرة، بعد الساعة الثامنة مساءً، قلتُ له: لماذا لا أرى النَّاس في الشوارع؟

قال: النَّاس عادوا من أعمالهم مُتَعَبِينَ، ليرتاحوا في بيوتهم ويتهيَّؤوا لليوم التالي من الصباح الباكر.

النَّاسُ هناك لا يملؤون الشوارع كما في بلادنا؛ النَّاسُ في بلادنا في الشوارع إلى منتصف الليل، كأنما ليس وراءهم عمل.

في بعض البلاد العربيَّة، عُمَلُ إحصاء لمتوسِّط عمل الفرد، فكان في اليوم الواحد حوالي نصف ساعة (٢٧ دقيقة)!

أُمَّة لا تُنتج، أُمَّة تعيش عالة على غيرها.

نحن في حاجة إلى أن نعرف قيمة الوقت؛ الوقت هو الحياة.

أَوَّلُ ميزة للوقت: نفاسة الوقت؛ فهو نفيس وقيم وغال جدًّا.

والأمر الثاني: أَنَّ هذا الوقت ينقضي بسرعة:

ما أسرع ما تمرُّ الأيام مرَّ السَّحاب.

يمرُّ الصِّبا وأنت لا تشعر، والشباب وأنت لا تدري، والكهولة وأنت لا تحسُّ، ثمَّ يفجؤك الموت ولم تصنع شيئًا.

الأيَّام تنقضي بسرعة أيًّا كانت.

صحيح أنَّ أيَّام السرور تنقضي أسرع من أيَّام الهموم، ولكنَّ الجميع ينقضي، كما قال الشاعر:

مَرَّتْ سَنِينَ بِالْوَصَالِ وَبِالْهِنَا فَكَأَنَّهَا مِنْ قِصَرِهَا أَيَّامٌ

ثُمَّ انْتَبَتْ أَيَّامٌ هَجَرَ بَعْدَهَا فَكَأَنَّهَا مِنْ طُولِهَا أَعْوَامٌ

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَأَهْلُهَا فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامٌ^(١)

الكلُّ ينتهي كالأحلام.

(١) الأبيات لأبي تمام بلفظ مشابه، انظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي

(١٦٠/٢)، تحقيق د. عبد الله المحارب، نشر مكتبة الخانجي، ط ١، ١٩٩٤م، وانظر: شرح ديوان

أبي تمام للتبريزي (٧٣/٢)، تحقيق راجي الأسمر، نشر دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٤١٤هـ.

وأمر ثالث من خصائص الوقت: أن ما مضى منه لا يُعوّض:

إذا كان الوقت من ذهب - كما يقول الغربيون - فإنّ الذهب يمكن أن يُعوّض إذا ضاع منك، ولكنّ الوقت الذي ينقضي منك لا يُعوّض، وقد قال عبد الرحمن بن زُبَيْد الياامي: ليس من يوم إلّا وهو ينادي: أنا يوم جديد، وأنا عليكم شهيد، ابن آدم إنّي لن أقرّ بك أبداً، فاعمل فيّ خيراً، فإذا هو أمسى قال: اللهم لا تردني إلى الدُّنيا أبداً^(١).

سيأتي الغد، ولكن الغد يأتي بواجبات جديدة وأعمال جديدة، لا تستطيع أن تقضي فيه عمل الأمس إلّا على حساب عمل اليوم، ولذلك قيل لعمر بن عبد العزيز: أخر بعض أعمالك إلى الغد.

فقال: لقد أعجزني عملٌ يومٍ واحدٍ، فكيف إذا اجتمع عليّ عمل يومين^{(٢)؟}!

وكان رضي الله عنه يقول: إنّ الليل والنّهار يعملان فيك فاعمل فيهما^(٣)!

الليل والنّهار يعملان في عمرك، يُبليان كلّ جديد، ويقرّبان كلّ بعيد، فاعمل فيهما بطاعة الله وَعَجَل.

الإسلام يَعْمُر أوقات المسلم:

إنّ الأوقات نعمة عظيمة، ولهذا فإنّ الإسلام عمّر هذه الأوقات بالخير، الصّلاة جعلها كتاباً موقوتاً، وجعل لها أوقاتاً محدّدة حتّى يتذكّر

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد (١٨٢)، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ٥٥.

(٣) ذكره ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ص ٢٩ بقوله: قال بعض الحكماء، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.

الإنسان كلما أذن المؤذن أنه جاء وقت الفريضة، وجعل للصيام شهراً محدداً، والحج له أشهر معلومة، والزكاة حولية وبعض أنواعها في يوم الحصاد؛ قال تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وهناك واجبات مرهونة بأوقاتها، فيجب أن تؤدّيها في أوقاتها، ولا تؤخّرها فإنك لا تعلم أتعيش إلى الغد أم لا تعيش؟ إنك حينما تخرج من بيتك لا تدري أعود إليه حاملاً أو محمولاً؟ إنك حينما تلبس ثوبك لا تدري أتنزعه بيدك أم ينزعه عنك غاسلك؟

تزود من التقوى فإنك لا تدري إذا جنّ ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من سليم مات من غير علة وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر
وكم من فتى يمسي ويصبح لاهياً وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري^(١)

لا بد أن نعرف قيمة الأوقات قبل أن يأتي وقت نندم فيه على ما ضاع من أوقاتنا، وليس ساعة مندم، نرجو الخلاص ولات حين مناص.

متى يُعرف قدر الوقت على الحقيقة؟

إنما يُعرف قدر الوقت حقيقة، عندما تأتي ساعة الاحتضار؛ عندما يحتضر الإنسان ويأتيه الموت، هناك يتمنى لو أجل شهراً أو أسبوعاً أو يوماً أو ساعة، وهيئات، ﴿وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ * وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ [المنافقون: ١٠، ١١].

(١) ذكر الفاكهاني البيتين الأولين ولم ينسبهما في رياض الأفهام (٣/ ١٧٠)، تحقيق نور الدين طالب، نشر دار النوادر، سوريا، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، والبيت الأخير ذكره من غير نسبة الألوسي في تفسيره روح البيان (١٠/ ٤٨٢)، نشر دار الفكر، بيروت.

يتمنى تأجيل الموت، لكنه لا يمكنه أن يؤجل الموت، هيهات، ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٤].

وفي موقف آخر: في الآخرة حينما تُوفى كلُّ نفس ما كَسَبَتْ، وتُخلد فيما عملت، ويدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، هناك يقول أهل النار: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧]، وهنا يكون الجواب الإلهي لهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾ أولم نعطكم من العمر ﴿مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾، كان أمامكم سعة، كان أمامكم فرص للتذكُّر والاعتبار، ولكنكم أضعتموها، ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ يذكركم بالله ويبشِّر وينذر، ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.

الاهتمام بالأوقات في الإجازات وغيرها:

يجب - أيُّها الإخوة - أن نعرف قيمة أوقاتنا، وأن نُنفقها فيما يُرضي الله، وما ينفع أنفسنا وينفع الناس، وخصوصًا في أيام الإجازات.

النَّاس حينما تُقبل الإجازات كأنَّما أُجيزوا من أداء الواجبات، كأنَّما أُجيزوا من عمل الصَّالحات، كأنَّما أُطلق لهم العنان ليفعلوا ما يشاءوا، كأنَّ وقت الإجازة قد انقطع فيه التكليف.

لا يا أخي؛ أنت مُكلَّف أبدًا ما دمت حيًّا مستطيعًا: في الصيف وفي الشتاء، وفي الربيع وفي الخريف، وفي العمل وفي الإجازة؛ أنت خليفة الله في الأرض، الواجبات منوطة بعنقك.

الترويح عن النفس بالمباح وبالاستطاعة:

من حقك أن تستريح، من حق الإنسان أن يُروِّح عن نفسه، كما قال النبي ﷺ لحنظلة: «يا حنظلة، ساعة وساعة»^(١)، وكما قال الإمام عليّ رضي الله عنه: رَوِّحُوا القلوب ساعة بعد ساعة؛ فإنَّ القلب إذا أُكْرِه عَمِيَ^(٢).

الترويح مشروع، ولكن في حدود، وفي إطار الشريعة الإسلامية التي تحكم أفعال المكلفين في كلِّ وقت.

أنت لست سائبًا، أنت مشدود إلى شريعتك التي أحلتَّ الحلال وحرَّمت الحرام.

مساوئ السفر إلى البلاد الأجنبية:

بعض النَّاس يذهب إلى بلاد لا يرى فيها إلا المنكرات. لماذا تفعل بنفسك هكذا؟

يذهب بعض النَّاس إلى بلاد في الغرب أو الشرق لا يسمع فيها أذانًا، لا يجد فيها مسجدًا يصلِّي فيه، يمشي في الشوارع فيجد المنكرات ظاهرة، والإباحية فاشية، ويرى أولاده الصغار - وهم زغب الحواصل، لا ريش ولا جناح لهم - هذه المناظر، فيتأثرون بها شاء أم أبى.

تُغرس هذه المناظر في نفوسهم، وفي وعيهم، وفي لا شعورهم، أشياء تؤثر عليهم في المستقبل.

بعض الإخوة قال لي: كنت في «لندن» وفي الحديقة الشهيرة «هايد بارك»، ومعني ابني الصغير، فرأيت منظرًا فظيًّا من المناظر

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٠)، وأحمد (١٧٦٠٩)، عن حنظلة الأسيدي.

(٢) إحياء علوم الدين (٣٠/٢).

الجنسيّة المثيرة التي يفعلها هؤلاء النّاس ولا يبالون، فقال لي ابني:
ما هذا يا أبي؟

قلت له: هؤلاء حيوانات.

فقال: وما يفعل هؤلاء الحيوانات؟

قال: فلم أجبه، ثمّ مشينا فإذا بمنظر أفزع وأفزع، فلم أملك إلّا أن
أخذ طفلي، وأرجع إلى الفندق، وأسافر في اليوم التالي.
هذا ما نشاهده هناك.

ندفع لهم أموالنا لنشاهد هذه الأشياء، ثمّ يشتموننا ويسخرون منّا من خلال
الصور الكاريكاتوريّة التي تسخر بالعرب ورجال البترول! ثمّ كثيرًا ما يسرقونه!

الاستدانة للسفر من أجل الرياء الاجتماعي والمظاهر الفارغة:

وبعض النّاس لا يملكون ما يذهبون به إلى تلك البلاد، ولكنه
- للأسف - يأبى إلّا الرياء الاجتماعي والمظاهر الفارغة، فيستدين
ولا يجد من يسلفه، فيضطرّ إلى أن يستدين من البنك بقروض ربويّة.

يُركب نفسه الإثم ويحمل نفسه تبعّة الحرام، من أجل أمر ليس من
الضروري ولا من الحاجي.

ما الذي يُلجئك إلى هذا أيّها المسلم؟

إنّ المسلم لا يستدين من حلال إلّا تحت وطأة الضرورة، فإنّ الدّين
همّ بالليل ومذلّة بالنّهار، والنّبِيُّ ﷺ علّم بعض أصحابه أن يستعين بالله
«من ضلّع الدّين^(١) وغلبة الرجال»^(٢).

(١) ضلع الدين، أي: ثقل الدين وشدته.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٦٩)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٦)، عن أنس.

وكان هو ﷺ يستعيز بالله في دُبُر كل صلاة من المأثم والمغرم -
المأثم: المعصية، والمغرم: الاستدانة - ف قيل له: يا رسول الله، ما أكثر
ما تستعيز من المغرم؟

قال: «إِنَّ الرجل إذا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»^(١)، أي إِنَّ
الاستدانة تُؤدِّي إلى فساد الأخلاق.

هكذا، فلماذا يُورط الإنسان نفسه في هذه الأمور؟

فكيف إذا كانت الاستدانة بالربا الذي آذن الله مرتكبيه بحرب من الله
ورسوله، ولعن النبي ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه^(٢).

مراعاة حدود الاستطاعة:

إذا كان ولا بدَّ للإنسان أن يأخذ إجازة، ويصيّف فيها، فليكن في
حدود استطاعته.

العبادات مقيدة بالاستطاعة: «وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه
ما استطعتم»^(٣)، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا
ءَاتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فلماذا تكلف نفسك أكثر من وسعها؟ والنبي ﷺ يقول: «لا ينبغي
للمؤمن أن يذلَّ نفسه».

قالوا: وكيف يذلُّ نفسه يا رسول الله؟

- (١) متفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٨٣٢)، ومسلم في المساجد (٥٨٩)، عن عائشة.
- (٢) رواه مسلم في المساقاة (١٥٩٧)، وأحمد (٣٧٣٧)، واللفظ له.
- (٣) متفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٨)، ومسلم في الحج (١٣٣٧)،
عن أبي هريرة.

قال: «يتعرّض من البلاء لما لا يُطيق»^(١).

وإن كان ولا بدّ، وقدر الإنسان على أن يأخذ إجازة صيفيّة، ولم يكن في بلده متّسع، فليذهب إلى بلد عربيّ أو إسلاميّ، لا يرى فيه مثل هذه المناظر التي تؤذي الأعين، وتؤذي الأنفس والعقول.

توجيه الأبناء إلى الاستفادة بأوقاتهم في الإجازات:

لا بدّ - أيّها الإخوة - أن نعرف قيمة الوقت.

الوقت مطلوب منّا رعايته في كلّ فصول العام، وخصوصًا بالنسبة لذراريّنا وأولادنا.

ينبغي أن نوجّه أولادنا في فصل الصيف إلى الاستفادة من هذا الوقت.

هناك أندية وهناك جمعيات، تقيم مشروعات وأنشطة للشباب وللبنات في تلك السنّ المهمّة والحيويّة والمؤثّرة، فينبغي أن نوجّه أولادنا وبناتنا إلى الاستفادة من هذه الجمعيات وهذه الأندية التي عليها إشراف وتوجيه سليم، ولا ندع أولادنا لمن يمكن أن يأخذهم إلى طريق الهاوية، والآباء غافلون، والأمهات غافلات.

إنّنا مسؤولون عن هذا الجيل القادم، عن أولادنا، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

(١) رواه أحمد (٢٣٤٤٤)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي (٢٢٥٤)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٤٠١٦)، كلاهما في الفتن، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٩٧)، عن حذيفة.

والنبي ﷺ يقول: «كلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيته؛ فالرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلُّكم راع ومسؤول عن رعيته»^(١).

يا أيُّها الإخوة، علينا - نحن المسلمين - أن نتقي الله في أوقاتنا، وأن نحضّر للسؤال الكبير جوابًا حينما نُسأل عن عمرنا فيم أفيناه، وعن شبابنا فيم أبليناه؟!!

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُبصّرنا بحقائق ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها المسلمون:

في وداع الشَّيخ الشعراوي:

منذ يومين ودَّعت الأُمَّة الإسلاميَّة علَمًا من أعلامها، ورجلاً من رجالات العلم ورجالات الدعوة الأفاضل، الذين عاشوا عمرهم للدعوة إلى الله تبارك وتعالى، ولخدمة القرآن، وتفسير القرآن، وخدمة العلم، وتوجيه الأُمَّة إلى الخير.

ودَّعت الأُمَّة الإسلاميَّة الشَّيخ الشعراوي، أحد الرموز الذين كان لهم تأثيرهم طوال تلك العقود من السنين، وخاصة في السنوات الثلاثين الأخيرة من عمره.

كان الشَّيخ الشعراوي أحد الرموز الإسلاميَّة، التي كان لها في خدمة الإسلام وخدمة القرآن موقف بارز لا يُضاهيه فيه أحد.

من مواهب العلامة المُفسِّر الشعراوي:

ليس كلُّ من قرأ القرآن فهمه، ولا كلُّ من فهم القرآن غاص في لآئه وعثر على جواهره، ولا كلُّ من غاص في هذه اللآئ وفي هذه الأعماق استطاع أن يعبر عنها بما يُقنع العقول، ويحرِّك القلوب، ولكنَّ الشَّيخ الشعراوي آتاه الله من المواهب ما جعله يفسِّر القرآن تفسيرًا يقنع عقل المثقَّف المعاصر، ويقنع الشخص الأمِّي العادي.

القدرة على إقناع الخاصَّة وإفهام العامَّة قلَّما يؤتاها إلاَّ الرجال الأفاضل، الذين منحهم الله من المواهب ما لم يؤت غيرهم.

لقد رُزق الشيخ القبول عند النَّاس، فلا تكاد تفتح تلفازًا إلا وجدت الشيخ الشعراوي يفسّر القرآن الكريم، ووجدت النَّاس ينصتون إليه. الشيخ الشعراوي عاش لهذه الدعوة، وللقرآن، وأظنّه أكمل تفسيره. عندما لقّيته في شهر رمضان الماضي - حينما كرّمته إمارة دبي وأعطته جائزة الشخصية الإسلامية لسنة ١٤١٨هـ - قلت له: ماذا بقي؟ قال: بقي حوالي ثلاثة أجزاء.

قلت له: أسأل الله تبارك وتعالى أن يمدّ في عمرك حتّى تكمل هذا التفسير.

وأظنّه أكمله، أظنّه أتمّ هذا التفسير، والحمد لله ربّ العالمين. لقد أُعطي الشيخ الشعراوي أوسمة شتّى، وأُعطي جوائز شتّى: من مصر، ومن دبي، ومن غيرها، ولكن أعظم وسام على صدره وأعظم جائزة هي: حبُّ النَّاس له، وقبول النَّاس له.

قد يختلف بعض النَّاس مع الشيخ الشعراوي في بعض ما ذهب إليه من آراء أو نحو ذلك، ولكن لا يختلف مسلم ومسلمة في أنّ الشيخ الشعراوي أحد أعمدة الدعوة الإسلامية في هذا العصر، وأحد الرجال الذين حملوا لواء هذه الدعوة.

الحذر من قبض العلم:

ونحن في مرحلة نفقد فيها العلماء الكبار واحدًا بعد الآخر، ومن فقدناه قلّما يُعوّض.

فقدنا الشيخ الغزالي رَحِمَهُ اللهُ، وفقدنا الشيخ جاد الحق، وفقدنا الشيخ

خالد محمّد خالد، وفقدنا الشَّيخ عبد الله بن زيد آل محمود، وفقدنا الشَّيخ عبد الفتّاح أبو غدّة، وفقدنا وفقدنا.

وها نحن نُودّع الآن الشَّيخ الشعراوي.

وأخشى ما نخشاه: أن يذهب هؤلاء، ولا نجد من يسدُّ الثَّغرة بعدهم، وهو ما حذرنا منه رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه عبد الله بن عمرو: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بَقْبِضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(١).

وهذه هي الكارثة: الرؤوس الجُهَّال الذين يظهرون هنا وهناك، يتبَوَّأون المناصب، وتكبَّرهم أجهزة الإعلام، وتُضخِّم من شخصيتهم، ويُسألون فيفتون بغير علم، يقولون على الله ما لا يعلمون، لم يلجؤوا في العلم إلى ركن وثيق، ولا إلى حصن حصين، فهم يُفتون بغير علم، فيضلُّون ويضلُّون.

من أجل هذا نبكي على الشَّيخ الشعراوي.

بل نحن لا نبكي عليه؛ فلقد لقي ربَّه، ونسأله تعالى أن يجعله راضيًا مرضيًّا، وأن يتقبَّله في الصالحين من عباده، وأن يجزيه عن أمته وعن دينه وعن العلم، وعن القرآن خير ما يجزي به العلماء العاملين، والدعاة الصادقين، والأئمة المجاهدين.

لا نبكي على الشَّيخ الشعراوي؛ إنَّما نبكي على أنفسنا، نبكي على الأزهر الآن وهو يُغيَّر ويُطوَّر ويُنتقص من أطرافه؛ يُنتقص من العلوم

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، كلاهما في العلم.

الدينيّة واللغويّة في مناهجه وفي برامجّه، وكلُّ هذا على حساب العلماء الذين نرجوهم ليحملوا الرسالة.

نبكي على أنفسنا حينما نودّع علماءنا، ولا نجد في الساحة من يملؤها من الرجال الأفاضل.

مسؤوليّة الأُمّة أن تُهيّئ من أبنائها من يحمل الراية:

أن تُهيّئ من أبنائها من يحمل الراية، من يرفع اللواء، من يسدُّ الثغرة، من يقف أمام الموجات التي تريد أن تسلخ هذه الأُمّة من جلدّها، وأن تقطعها عن جذورها، وأن تهدمها من أساسها.

هناك القوى المعادية للإسلام وما أكثرها: الصهيونيّة العالميّة، الصليبيّة الغربيّة، الوثنيّة الشرقيّة، القوى العلمانيّة اللادينيّة في الداخل والخارج.

كلُّ هذه القوى تختلف فيما بينها وتتفق علينا، فلا بدّ أن نُعدّها رجالاً يقاومون الشُّبهات بالحُجج، يقاومون الأباطيل بالحقائق، يقاومون هذه المفتريات بالدين الصحيح، المأخوذ من القرآن والسُّنّة، المعتمدة على فقه سليم:

فقه للنصوص.

وفقه للمقاصد.

وفقه للمآلات.

وفقه للموازنات.

وفقه للأولويّات.

وفقه للواقع.

هذا هو الفقه القرآني: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨].

ما أخرجنا إلى فقهاء من هذا النوع.

حينما نودّع الشيخ الشعراوي لا نبكي عليه؛ إننا نبكي على أمتنا، ونبكي على الساحة التي تخلو يوماً بعد يوم من أمثال هؤلاء الرجال.

استمرار ميراث النبوة:

ولكننا واثقون أنّ الله تبارك وتعالى لن يتخلّى عن هذا الدين: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»^(١)، «يحمل هذا العلم (ميراث النبوة) من كلّ خَلْفٍ عُدُولُهُ (من كلّ جيل أعَدِلَ مَنْ فيه وثقات من فيه) ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»^(٢).

والله تعالى يقول: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، ويقول عَجَلٌ: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

هناك أمة تهدي بالحق، وتعديل بالحق، تقضي بالحق لا تنحرف عنه، هي الطائفة المنصورة التي صحّت بها الأحاديث عن عدد من الصحابة عن رسول الله ﷺ أنه: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتّى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»^(٣)، وهم مستمسكون بهذا الدين.

(١) سبق تخريجه ص ٣٦.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٥.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية. ومثله مروى عن عدد من الصحابة.

هذه الطائفة هي: المُسْتَمْسِكَةُ بِالْحَقِّ، المنصورة بالحق، المؤيَّدة بالحق.
ولهذا فنحن مع خوفنا مُسْتَبْشِرُونَ، ولا نَيْئُسُ أَبَدًا، ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ
مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

رحم الله شيخنا الشَّيْخَ الشعراوي؛ فقد كان شيخِي، دَرَّسَنِي وأنا في
المرحلة الثانويَّة، دَرَّسَنِي علم البلاغة العربيَّة، وكان هو في الأصل أستاذًا
للغة وأستاذًا في الأدب.

رحم الله الشَّيْخَ الشعراوي، وجزاه عن أُمَّتِهِ خَيْرًا، وتقبَّله في
الصالحين من عباده، وعَوَّضَ أُمَّتَنَا فِيهِ خَيْرًا.

وإن شاء الله سُنْصِلِي صلاة الغائب عليه بعد الجمعة.

اللهم اغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين.

اللهم أكرمنا ولا تُهِنَّا، وأعطينا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا
ولا تُؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا،
وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجرنا من خزي الدُّنْيَا وعذاب الآخرة.

اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، سَخَاءَ رَخَاءٍ، وسائر بلاد المسلمين.





الخوف والرجاء

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

حقيقة الإنسان:

تحدّثنا من قبل أن صلاح المجتمعات لا يتم إلا بصلاح الأفراد،
البنيان لا يقوم إلا على لبنات سليمة، والفرد هو لبنة المجتمع،
ولا صلاح للأفراد إلا بصلاح أنفسهم؛ فالنفس هي أساس الصّلاح
الإنساني، الإنسان ليس هو هذا الهيكل العظمي، وما يكسوه من لحم،
وما يجري في عروقه وشعيراته من دم، هذا القالب ليس هو حقيقة
الإنسان، إنّما حقيقة الإنسان في داخله، في تلك الجوهرة الروحانية، في
تلك اللطيفة الربّانية، في ذلك الشيء الذي نسميه الروح، أو النفس، أو
القلب، أو الفؤاد، أو العقل، «ألا وإنّ في الجسد مَضْغَةً إِذَا صَلُحت صَلَحَ
الجسد كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسد كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١).

(١) متّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن
النعمان بن بشير.

عناية الإسلام بتزكية النفس:

ومن هنا تحدّثنا أن على الإنسان أن يعمل على تزكية نفسه، وتطهير قلبه، وإصلاح حياته الداخلية؛ حتّى تصحّ حياته كلّها من الخارج وتسلم.

على الإنسان أن يحاسب نفسه، على الإنسان أن يزكّي نفسه، فلا فلاح إلّا بزكاة تلك الأنفس، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۖ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشّمس: ٧ - ١٠]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥].

كيف تكون تزكية الأنفس؟

هناك معان لا بدّ للإنسان - وهو في طريقه إلى الفلاح الأبدي الذي ينشده، هناك معان نفسية، ربّانية، أخلاقية - ينبغي أن يحرص عليها، وأن يعض عليها بالنواجذ، وأن يسعى في تحصيلها.

الخوف والرجاء:

تحدّثنا من قبل عن الخوف والرجاء، وذكرنا الخوف الذي ينبغي أن يستشعره الإنسان في طريقه إلى الله، هناك جناحان يطير المرء بهما في سعيه للفوز بالجنة والنجاة من النار، هما جناحا الخوف والرجاء، الخوف من عذاب الله، والرجاء في رحمة الله، لا بدّ من الأمرين كلاهما.

لا بدّ للمسلم أن يخاف ويرجو، ولا بدّ أن يجمع بين الأمرين، بحيث لا يبلغ به الخوف مبلغاً يصل به إلى مرحلة اليأس؛ فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

ولا ينبغي أن يبلغ به الرجاء في رحمة الله مبلغاً يصل به إلى درجة الأمن من مكر الله؛ فقد قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

معنى الرجاء:

لا بدّ للمرء أن يرجو رحمة ربّه، والرجاء هو: ابتهاج النفس بفضل الله ﷻ، والاسترواح إلى سعة رحمته ﷻ، وهذا أمر نفسي، من قبيل الأحوال والخواطر التي ترد على الإنسان، ولا يملك لها استحضاراً ولا دفعاً، ولكنه يملك من مقدّماتها وأسبابها.

فضل الله على الإنسان:

ومن مقدّمات ذلك وأسبابه: أن يتذكّر دائماً فضل الله تبارك وتعالى عليه منذ كان في المهد صبياً، بل منذ كان جنيناً في بطن أمّه، يذكر سعة رحمة الله ونعمته عليه، أنّه لم يتخلّ عنه قبل أن يكون منه عمل صالح، وقبل أن يقدم شيئاً.

يتذكّر هذا الفضل العظيم، والإحسان العميم من الله تبارك وتعالى، يتذكّر تلك النعم التي تغمره من قرنه إلى قدمه، وتحيطه عن يمين وشمال، ومن جهاته الأربع، أو جهاته الست، يتذكّر هذا كله حتّى يحصل عنده رجاء في رحمة الله ﷻ.

الرحمة عامّة والعذاب خاص:

يتذكّر رحمة الله التي وصفها الله تعالى بأنها وسعت كلّ شيء، ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فالعذاب

خاصّ والرحمة عامّة، وقد حدّثنا الله عن الملائكة من حملة العرش فقال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

رحمة الله واسعة:

رحمة الله كعلم الله، كما وسع علمه كلّ شيء، وسعت رحمته كلّ شيء، فلا يغيب شيء عن علمه، في الأرض ولا في السماء، ولا يغيب شيء عن رحمته، في الأرض ولا في السماء، رحمة الله وسعت كلّ شيء، حتّى وسعت الكفّار، ووسعت الفجار، ووسعت المشركين، ووسعت الملحدين؛ فإنهم يعيشون في ظلّ رحمة الله، فمن الذي يرزقهم؟ ومن الذي يسخرّ لهم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً؟

إنّ الله ﷻ، الذي لم يحجب رزقه عن كافر ولا فاجر، شمسّه تطلع على الجميع، وخيراته تنزل على الجميع، رحمة الله وسعت كلّ شيء، كما جاء في الحديث الصحيح: «إنّ رحمتي سبقت غضبي»^(١)؛ فهو سبحانه يغضب، ولكن رحمته فاقت وسبقت وغلبت غضبه؛ فهو الرحمن الرحيم.

الرحمن الرحيم:

الله تعالى تعرّف إلى عباده باسم: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وبدأ القرآن بهذه البسملة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، وبُدئت السور كلّها، إلّا سورة واحدة بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ وذلك لعظيم رحمته، وواسع فضله.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٢٢)، ومسلم في التوبة (٢٧٥١)، عن أبي هريرة.

كم في القرآن الكريم من ذكر ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وكم ورد ذكر ﴿الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] في القرآن؟

مرّة واحدة في أواخر سورة الحشر.

كم ذكر اسم القهّار في القرآن الكريم؟

ست مرات، الله تعالى يقول على لسان سيّدنا يوسف: ﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، وقال وَجَلَّ: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

أمّا اسم الرحمن الرحيم، فما أكثر ما ورد في القرآن الكريم!

لقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مائة وثمانين عشرة مرة، ونحن في كلّ يوم نصلي ونقرأ الفاتحة ما لا يقلّ عن سبع عشرة مرة، في الصلوات المفروضة، إذا اقتصرنا على الفرائض فقط، نقرأ في كلّ ركعة: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، مرّة في البسملة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ومرّة في الفاتحة، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [الفاتحة: ١ - ٣].

أرحم الراحمين:

القرآن يذكرنا بأنّ الله تعالى أرحم الراحمين، وخير الراحمين، كما جاء ذلك على لسان الأنبياء، جاء على لسان سيّدنا يعقوب: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

وجاء على لسان سيّدنا أيوب: ﴿مَسَّنِيَ الصُّرُوءُ وَأَنْتَ أَرْحَمُ

الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وجاء على لسان سيّدنا موسى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

وجاء على لسان سيّدنا يوسف: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

وذكرنا القرآن كذلك بأنّ الله تعالى خير الراحمين، كما قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

ومن دعاء المؤمنين في سورة المؤمنين: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

كلّ هذا لتمتلي القلوب بالرجاء في عظيم فضل الله تبارك وتعالى، ورحمته الواسعة.

الموازنة في الوعظ:

من هنا لا ينبغي للدعاة والوعاظ والمذكرين أن يذكروا دائماً جانب الغضب، وجانب الانتقام، وجانب العذاب، وينسوا الفضل والرحمة.

الموازنة هي المطلوبة؛ إن من يقرأ القرآن ويتدبّره يوقن أن جانب الفضل والرحمة أعظم وأوسع من جانب الغضب والعذاب، الله تبارك وتعالى يقول: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّكُمْ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

انظروا إلى الفرق بين التعبيرين، المغفرة والرحمة من أسمائه وأوصافه الذاتية؛ فهو الغفور الرحيم، بهذه الصيغة التي تدلّ على المبالغة، كما يقول علماء اللغة العربيّة، الغفور: الكثير المغفرة، والرحيم: الكثير الرحمة.

أَمَّا فِي جَانِبِ الْعَذَابِ فَلَمْ يَقُلْ: وَأَنِّي أَنَا الْمُعَذَّبُ، وَلَكِنْ قَالَ: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾، وَأَنْ عَذَابِي، فَلَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْمُعَذَّبِ، فَجَعَلَ الرَّحْمَةَ مِنْ أَسْمَائِهِ، وَالْعَذَابَ مِنْ أَعْمَالِهِ؛ لِأَنَّ الْعَذَابَ أَمْرٌ عَرْضِي، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَاسَمْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]، مَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَنَا، وَلَكِنْ يَخَوِّفُنَا بِهِ حَتَّى لَا نَقَعَ فِي الْخَطَأِ وَالْخَطَرِ، فَلَيْسَ مِنْ أَسْمَائِهِ الْمُعَذَّبِ.

بَلْ إِنَّ الْإِمَامَ ابْنَ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْمُنْتَقِمِ؛ جَاءَ هَذَا فِي حَدِيثٍ اشْتَهَرَ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَنَّهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ التَّسْعَةِ وَالتَّسْعِينَ، وَلَكِنْ الْحَدِيثُ ضَعِيفٌ، فَلَيْسَ مِنْ أَسْمَائِهِ الْمُنْتَقِمِ، لَكِنْ مِنْ أَوْصَافِهِ أَنَّهُ ﴿عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]؛ فَهُوَ يَنْتَقِمُ مِنَ الْمَجْرِمِينَ، كَمَا قَالَ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [السَّجْدَةُ: ٢٢]، وَفَرَقَ بَيْنَ التَّعْبِيرِ بِأَنَّهُ: ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾، وَالتَّعْبِيرِ بِأَنَّهُ «الْمُنْتَقِمُ»، فَلَيْسَ مِنْ أَسْمَائِهِ «الْمُنْتَقِمُ».

رحمة الله بعباده:

رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَاسِعَةٌ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَمَا رَأَى امْرَأَةً أُسِيرَةً فِي إِحْدَى الْغَزَوَاتِ، جَاءَتْ وَقَدْ أَلْصَقَتْ طِفْلًا بِصَدْرِهَا، وَاحْتَضَنْتَهُ وَضَمَّتْهُ؛ إِشْفَاقًا عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «أَتَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلِهَا فِي النَّارِ؟».

قُلْنَا: لَا، وَاللَّهُ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِهَا»^(١).

(١) مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ (٥٩٩٩)، وَمُسْلِمٌ فِي التَّوْبَةِ (٢٧٥٤)، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

الموازنة بين الخوف والرجاء:

رحمة الله تعالى واسعة، وفضل الله تعالى عظيم، لهذا ينبغي أن نرجو هذه الرحمة، ولكن رجاء هذه الرحمة لا يعني أن ننسى الجانب الآخر، لا بد من هذا التوازن في النفس المؤمنة، أن نذكر جانب عذابه وبطشه، وخصوصاً على المتجبرين المستكبرين عن عبادته، الذين يتناولون على خلقه، الذين يصرون على مخالفة أمره.

الخوف والرجاء في القرآن:

ومن يقرأ القرآن الكريم يجده يجمع الخوف والرجاء معاً، قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾ [غافر: ٣]، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ [الحديد: ٢٠]، ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]، ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

هكذا يجمع القرآن الكريم بين الأمرين، الخوف والرجاء.

القرآن يربط الخشية بأسماء الجمال:

وحينما تحدث القرآن الكريم عن الخشية ربطها برحمة الله وعجل، قال الله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٍ ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣١ - ٣٣]، وكما قال: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١]،

فقال: ﴿خَشِيَ الرَّحْمَنَ﴾، ولم يقل: خشي القهَّار، أو خشي الجبَّار، إنما خشي الرحمن، يقول الإمام الغزالي: أراد الله سبحانه أن يكون ذلك تخويفاً في تأمين، وتحريكاً في تسكين، فلم يشأ أن يربط الخشية بأسماء الجلال، بل قرنّها بأسماء الجمال، ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾.

الأمن من مكر الله:

رحمة الله واسعة، ولكن عذاب الله شديد؛ فهو شديد العقاب، سريع الحساب، ينبغي أن نرجو رحمته، وأن نخشى عذابه، هكذا وصف الله ملائكته، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]، ووصف الله جماعة من أنبيائه فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، رغباً ورهباً، الرغبة والرغبة، الرجاء والخوف، هذا هو شأن الإنسان المؤمن، لا يأمن مكر الله.

الرجاء والأمنية:

يفرق علماء التربية الروحية في الإسلام بين الرجاء والأمنية، هناك رجاء وهناك أمنية، الرجاء ما صاحبه العمل، والأمنية ما لم يقارنه عمل، فإنَّ الإنسان إذا بذر البذر، وتعهَّده بالسقي والتسميد والرعاية، والتنقية من الآفات، ثم رجا أن يرزقه الله من هذا الزرع، فهذا رجاء، ولكن الذي لا يبذر بذراً، ولا يزرع زرعاً، ولا يغرس غرساً، ثم ينتظر أن يأتي يوم الحصاد فيحصد كما حصد الزارعون والغارسون، فهذه أمنية فارغة.

ولذلك قال النبي: «الكَيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت»^(١).

الكيس هو: العاقل الفطن، «من دان نفسه»، أي: حاسبها.

«الكَيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله»، يُتبع نفسه هواها، يحقق كلّ ما تشتهيه نفسه، ويسير وراءها، كلّما أرادت شيئاً، أو طلبت رغبة نفّذها، فهو عبد هواه، وأسير نفسه، ثم بعد ذلك يتمنى على الله الأمانى، يتمنى أن يغفر الله له، يتمنى أن يدخله الله الجنة مع السابقين، أين عملك الذي تستحق أن تدخل به الجنة مع السابقين؟

هذه أمانى فارغة، وأطماع أشعبية^(٢) لا معنى لها.

دخول الجنة ليس بالأمانى:

الله تعالى ردّ على اليهود والنصارى الذين طمعوا في الجنة بغير إيمان صحيح ولا عمل صالح، فقال: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿[البقرة: ١١١، ١١٢]، فإسلام الوجه لله، وإحسان العمل، هو الذي يستحق العبد به الجنة، أمّا من يدعي أنّه على دين، ولم يؤمن بالإيمان الصحيح، ولم يعمل العمل الخالص، فهذه مجرد أمانى.

(١) رواه أحمد (١٧١٢٣)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٥٩)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في الزهد (٤٢٦٠)، والحاكم في التوبة (٢٨٠/٤)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن شداد بن أوس.

(٢) نسبة إلى أشعب، أشهر الطفيليين، والخصلة التي تنسب إلى أشعب هي الطمع الشديد.

أمانِي كاذبة:

جلس جماعة من اليهود والنصارى والمسلمين في مجلس ضمهم، وزعمت كل طائفة منهم أنها أحق بالجنة من غيرها، قالت اليهود: نحن أتباع موسى الذي اصطفاه الله برسالاته وبكلامه وكلمه تكليمًا، الذي أنزل عليه التوراة.

وقالت النصارى: نحن أتباع عيسى روح الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم، الذي أنزل عليه الإنجيل.

وقال المسلمون: نحن أتباع أفضل الرسل، وخاتم النبيين، محمد ﷺ، الذي اصطفاه الله على خلقه جميعًا، وختم به الرسالات، وأنزل عليه أفضل الكتب القرآن الكريم.

فنزل القرآن الكريم حكمًا عدلاً، وقولاً فصلاً بين هؤلاء المختلفين، أنزل الله تعالى قوله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

فالمسألة ليست مسألة أسماء وعناوين، وإنما هي مسألة حقائق ومضامين، لا بد من الإيمان والعمل، هذا حكم القرآن: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾، أنت تتمنى أشياء وأشياء، وتسبح في بحار من الأحلام، ولا تقدم لذلك شيئًا، لا ينفعك ذلك بشيء.

قال رجل لمحمد بن سيرين، وقد كان إمامًا في تفسير الرؤى والأحلام: إنني رأيت في النوم كأني أسبح في غير ماء، وأطير بغير جناح. فقال له: أنت رجل كثير الأمانى والأحلام^(١).

هذا شأن من يريدون الجنة ولا يعملون لها، وفي الحديث القدسي: «ما أقلَّ حياءَ من يطلب جنَّتي بغير عمل! كيف أجود برحمتي على من بخل بطاعتي؟!»^(٢).

وقد قال الإمام عبد الله بن المبارك: ما بال قلبك ترضى أن تُدنَّسه وثوبك الدهر مغسولٌ من الدَّنَسِ؟ ترجو النِّجاةَ ولم تسلك مسالكها إنَّ السفينة لا تجري على اليبس^(٣)

الرجاء الصحيح:

الرجاء يقتضي العمل، الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]، بعد الإيمان وبعد الهجرة، وبعد الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، بعد ذلك يرجون رحمة الله، هذا هو رجاء رحمة الله، تؤمن وتهاجر وتجاهد وتبذل وتعمل وتعطي، أمّا أن ترجو الجنة ولم تقدّم عملاً، ولم تدفع ثمنًا، فهي الأمانى الكاذبة.

أرأيت سلعة بلا ثمن؟

(١) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (٥٣٤/١).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/٣٥٠، ٣٥١) في تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣٦]، تحقيق صدقي محمد جميل، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٣) من شعر أبي العتاهية. انظر: زهر الآداب وثمر الألباب (٣/٨٧١)، نشر دار الجبل، بيروت.

كُلُّ سِلْعَةٍ لَهَا ثَمَنٌ، وَلِلْجَنَّةِ ثَمَنٌ، وَالْحَدِيثُ يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ»^(١)، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْكُمُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١]، فَهَلْ بَذَلَتِ النَّفْسُ وَالْمَالُ؟ أَمْ تَرِيدُ الْجَنَّةَ دُونَ أَنْ تَقْدَّمَ لَهَا عَوْضًا؟

الرجاء ما قارنه عمل، وإلا كان أمنيّة.

حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ:

بَعْضُ النَّاسِ يَقُولُونَ: نُحَسِّنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ تَعَالَى، نَعَمْ، وَلَكِنْ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى يَقْتَضِي الْعَمَلَ؛ لَنِيْلَ رِضْوَانِهِ وَعَجَلِكُ، لِذَلِكَ يَقُولُ الْإِمَامُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ قَوْمًا أَلْهَتَهُمْ أَمَانِي الْمَغْفِرَةِ، حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَلَا حَسَنَةَ لَهُمْ، وَقَالُوا: نَحْنُ نُحَسِّنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ، وَكَذَبُوا؛ لَوْ أَحْسَنُوا الظَّنَّ لِأَحْسَنُوا الْعَمَلَ^(٢)، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي شَأْنِ قَوْمٍ: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٢٣]، لَيْسَ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ أَنْ تَدَعَ الْعَمَلَ، وَتَتَكَلَّ عَلَى الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، لَا بَدَّ أَنْ تَقْدَّمَ لَهَا، اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴿[الأعراف: ١٥٦، ١٥٧]، وَيَقُولُ وَعَجَلٌ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٥٠)، وقال: حسن غريب. والحاكم في الرقائق (٣٠٧/٤)،

وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٣٣٥)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الوجل والتوثق بالعمل (٢)، تحقيق مشهور حسن آل سلمان، نشر دار

الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

فدع - أيها الأخ المسلم - هذه الأماني الباطلة، والأحلام الفارغة، ولا تتعلق بهذه الحبال الواهية، يقول الإمام علي عليه السلام في وصيته لابنه الحسن: وإياك والاتكال على المُنَى؛ فإنّها بضائع النّوكى^(١)، أي: الحمقى. يقول الشاعر:

ولا تَكُنْ عَبْدَ الْمُنَى فَالْمُنَى رُؤُوسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ^(٢)

لا بدّ إذن من عمل، لمن يحسن الظنّ بالله، فلا نفهم الرجاء في رحمة الله فهماً خاطئاً، ونقول: نرجو رحمة الله، دون أن نعمل شيئاً.

المسرفون على أنفسهم:

ومهما حدث متاً من تفريط، فلا ينبغي أن يمنعنا هذا من أن نطرق أبواب الله تعالى نادمين مستغفرين مهما عظم الذنب، ومهما اتسع التفريط؛ فإنّ عفو الله أعظم، ورحمة الله أوسع، الله تعالى يقول لرسوله: ﴿قُلْ يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

﴿يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾، ناداهم: يا عبادي، فهم قد أسرفوا على أنفسهم في المعاصي والموبقات، ومع ذلك لم يقنطهم من رحمته، بل قال لهم: أنتم أيّها العصاة المسرفون، مهما جنيتم على أنفسكم، لم تخرجوا عن كونكم عبادي، ﴿يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

(١) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد (١٠٢/٣)، وابن حمدون في التذكرة (٣٣٠/٣)، تحقيق

عبد الفتاح محمد الحلو، نشر الدار العربية للكتاب، ط ١٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٢) من شعر أبي بكر الخالدي، كما في التمثيل والمحاضرة للثعالبي ص ١١٣، نشر الدار العربية للكتاب.

التوبة تَجِبُ ما قبلها:

كلُّ الذنوب قابلة للمغفرة بالتوبة، حتّى الشرك والكفر بالله وَجَلَّ، ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، الإسلام يَجِبُ ما قبله، والتوبة تَجِبُ ما قبلها، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، إنّ فضل الله تعالى علينا عظيم، ولكننا لا نقابل هذا الفضل بما يستحقُّ.

فضل الله تعالى على عباده:

جاء في بعض الآثار الإلهية أنّ الله تعالى يقول: «إني والإنس والجنّ في نبيّ عظيم، أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويُشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرُّهم إليّ صاعد، أتحبُّ إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، ويتبعّضون إليّ بالمعاصي وهم أفقر شيء إليّ، من أقبل عليّ منهم تلقّيته من بعيد، ومن أعرض عني ناديته من قريب، آل ذكري أهل مجالستي، وآل طاعتي آل محبّتي، وآل معصيتي لا أقنّطهم من رحمتي، إن تابوا إليّ فأنا حبيبهم، فأنا أحبُّ التوابين وأحبُّ المتطهّرين، وإن أبوا فأنا طيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهّره من المعاييب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف أو أزيد، والسيئة عندي بواحدة أو أعفو، رحمتي سبقت غضبي، وحلمي سبق مؤاخذتي، وعفوي سبق عقوبتي، وأنا أرحم بعبادي من الوالدة بولدها»^(١).

جاء هذا الأثر الإلهي في كتب الرقائق، وإن لم يكن له سند، ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن القيم، ولكن معناه صحيح، ويعبر

(١) مدارج السالكين (٢١٢/١)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي،

بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.



عن معان عظيمة، ثابتة كلها بالقرآن والسُّنة، تعبّر عن فضل الله تبارك وتعالى على عباده، وعن كفران العباد لجميل الله تعالى ونعمه عليهم، وفضله إليهم، وإحسانه بهم.

فما أجدر النَّاس أن يعرفوا فضل الله، وأن يرجو رحمة الله، وأن يخشوا عذاب الله، وأن يوازنوا بين هذين الأمرين في أنفسهم، الخوف والخشية من عذاب الله تعالى، والرجاء في رحمة الله تعالى وفضله!

نسأل الله ﷻ أن نكون من الذين يرجون رحمته، ويخافون عذابه، ويدعونه رغبًا ورهبًا، وكانوا له خاشعين.

اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلى الله على سيّدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

* * *





الورع^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

طوبى لمن كان رمضان شاهداً له:

مضى شهر رمضان بأيامه ولياليه المباركة الميمونة، شاهداً لنا أو شاهداً علينا، فطوبى لمن كان رمضان شاهداً له، شفيحاً فيه مع القرآن الكريم، وويل لمن ذهب رمضان وهو شاهد عليه، وحجّة عليه يوم القيامة. السعيد من كانت أيام رمضان ولياليه في ميزانه يوم القيامة حسنات ودرجات.

السعيد حقاً مَنْ خرج من شهر رمضان بمغفرة ذنوبه، وتكفير سيئاته. السعيد مَنْ صام هذا الشهر وقامه إيماناً واحتساباً، فغفر له ما تقدّم من ذنبه.

السعيد حقاً مَنْ أعتقت رقبتَه من النَّار.

(١) أُلقيت في جامع عمر بن الخطّاب بالدوحة، في شوال ١٤٢٣هـ.



وويل امرئ مضى هذا الشهر عليه، ولكنه لم يستفد منه شيئاً لقلبه، لروحه، لم يتزوّد من هذا الشهر لسائر الشهور، لم يشحن (بطاريته) بالمعاني الربّانيّة، والمعاني الأخرويّة، والمعاني الأخلاقيّة، التي تكون له قوّة وزاداً في طريقه إلى الآخرة، وإلى رضوان الله تبارك وتعالى طوال العام.

علامات للمقبولين، وعلامات للمردودين:

هناك علامات للمقبولين، وعلامات للمردودين:

علامة المقبول أن يستمرّ في الطاعة، وعلامة المردود أن ينتكس بعد رمضان.

المقبول عند الله مَنْ ظلّ رباطه مع الله موصولاً، ربّما زاد نشاطه في شهر رمضان، ولكنه لم ينقطع عن ربّه، لم يغلق باب الطاعة، يظلّ يفتح المصحف يتلو فيه آيات الله، يظلّ موصولاً بالمسجد حريصاً على الجُمع والجماعات. أمّا المردود المخذول المضيع فهو الذي تراه بعد رمضان وقد انقطعت صلاته بالمسجد، وانقطعت صلاته بالمصحف، وأصبح في وادٍ آخر غير وادي رمضان.

بئس القوم قوم لا يعرفون الله إلا في رمضان:

أين النَّاس الذين كانوا يملؤون المساجد وتضيق بهم المساجد في شهر رمضان؟!

كلُّ المساجد كانت تضيق بالنَّاس يوم الجمعة، وتمتلئ الصُّحون وتمتلئ الشوارع بجوار المساجد، أين هؤلاء؟ هل سافروا بعد رمضان؟ هل كانت الجمعة واجبة عليهم في رمضان ولم تعد الجمعة واجبة بعد رمضان؟

النَّاسَ الَّذِينَ كَانُوا يَزْحَمُونَ الْجَوَامِعَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَا نَرَاهُمْ الْآنَ! أَسْتَغْرِبُ لِهَذَا، حَتَّى الْفَرَائِضُ يَتَكَاسَلُ النَّاسُ عَنْهَا بَعْدَ رَمَضَانَ. كَانَ السَّلَفُ يَحْذَرُونَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ وَيَقُولُونَ: بئس القوم قوم لا يعرفون الله إِلَّا فِي رَمَضَانَ، كُنْ رَبَّانِيًّا وَلَا تَكُنْ رَمَضَانِيًّا^(١). ونقول نحن بعدهم: من كان يعبد رمضان فَإِنَّ رَمَضَانَ قَدْ مَاتَ، ومن كان يعبد الله فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ!

علامة قبول صيامك وقيامك:

علامة قبولك عند الله: أَنْ تَظَلَّ مُوَفَّقًا لِلطَّاعَةِ بَعْدَ رَمَضَانَ، أَنْ تَجِدَ صَدْرَكَ مَنْشُرًا لِمَوَاصِلَةِ الْمَسِيرَةِ بَعْدَ رَمَضَانَ، فَهَذَا مِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ، مِنْ عَاجِلِ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ الثَّوَابَ لَيْسَ فِي الْآخِرَةِ فَقَطْ؛ هُنَاكَ ثَوَابٌ لِلطَّاعَاتِ وَالْحَسَنَاتِ فِي الدُّنْيَا، وَمِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ أَنْ تَوْفَّقَكَ الطَّاعَةُ - أَوْ تَحْفَظَكَ الطَّاعَةُ - إِلَى طَاعَةِ بَعْدِهَا، وَتَدْفَعَكَ الْحَسَنَةَ إِلَى حَسَنَةٍ بَعْدِهَا، وَتَدْفَعَكَ الْإِهْتِدَاءَ إِلَى مَزِيدٍ مِنْهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦]، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

من عقوبة السيئة أن تضيف إليها سيئة أخرى:

أَنْ تَضِيفَ إِلَيْهَا سَيِّئَةً أُخْرَى - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَأَنْ يَظَلَّ رَصِيدَكَ مِنَ السَّيِّئَاتِ يَزْدَادُ، حَتَّى يُخْتَمَ عَلَى قَلْبِكَ، وَتَزْدَادَ عَلَيْهِ الظُّلْمَةُ، وَتَزْدَادَ نَكْتُ السَّوَادِ فِي

(١) قَالَ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ: سُئِلَ الشَّيْبَلِيُّ: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ رَجَبٌ أَمْ شَعْبَانُ؟ فَقَالَ: كُنْ رَبَّانِيًّا، وَلَا تَكُنْ شَعْبَانِيًّا؛ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عَمَلَهُ دِيمَةً. انظر: لطائف المعارف ص ٢٢٢، نشر دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

القلب حتّى يمتلئ سوادًا وظلامًا - والعياذ بالله، وهذا هو الرّان الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، لا بدّ أن نقف مع أنفسنا وقفة:

ماذا استفدنا من رمضان؟

صيام شهر رمضان عبادة من العبادات الشعائريّة الكبرى في الإسلام؛ الصّلاة والصّيام والزّكاة والحجّ، تلك العبادات الأربع التي تكوّن مع الشهادتين أركان الإسلام الخمسة، والتي بُني عليها هذا الإسلام العظيم. ولكنّ هذه العبادات الظاهرة، ليست هي وحدها كلّ العبادات التي يطلبها الإسلام.

أهميّة عمل القلب مع عمل الجارحة:

يطلب الإسلام بجوار هذه العبادات التي نوّديها بالجوارح: عبادات أخرى باطنة نوّديها بالقلوب، هي الركائز الأساسيّة للدين، لا دين بغيرها، بل لا تُقبل هذه العبادات الظاهرة إلّا بعبادة باطنة في كلّ منها، بدونها تصبح العبادة شبّحًا بلا روح، وتمثالًا من الجبس أو النّحاس أو الرّخام أو غير ذلك لا حياة فيه، كما قال ابن عطاء: الأعمال صور قائمة وروحها وجود سرّ الإخلاص فيها^(١).

كلّ عبادة ظاهرة من صلاة وصيام وزكاة وحجّ لا تُقبل إلّا بعبادة باطنة هي: النّيّة والإخلاص، والنّيّة محلّها القلب، «إنّما الأعمال بالنّيّات، وإنّما

(١) حكّم ابن عطاء الله بشرح العارف بالله الشيخ زروق ص ٥٩، تحقيق د. عبد الحليم محمود، ود. محمود بن الشريف، نشر دار الشعب، القاهرة.

لكلّ امرئ ما نوى»^(١) هكذا علّمنا النبي ﷺ، وبهذا افتتح الإمام البخاري جامعته الصحيح، وافتتح كثير من أئمة الحديث كتبهم بهذا الحديث؛ دلالة على أنّ النية هي مدار الأمر، ولا يُقبل عمل صالح إلاّ بنية.

لا بدّ من نية، ولا بدّ من الإخلاص، أي: تجريد النية لله، فلا يكون عملك لدنيا، ولا لثناء الناس، ولا لطلب محمّدة الناس، أو الشهرة عندهم؛ حتّى يُشار إليك بالبَنان ويُقال عنك: عابدٌ أو صالحٌ أو زاهدٌ أو عالمٌ أو مجاهدٌ أو متصدّق، فهذا هو الخطر.

الإخلاص هو الجوهر، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ فَاَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]. خلّص نيّتك، وخلّص بواعثك، وخلّص قلبك من الشوائب حتّى يكون عملك كلّهُ لله، ﴿قُلْ إِن صَلَائِي وَمُنُكِّي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك له، وبذلك أُمّرت وأنا أوّل المسلمين ﴿[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

العبادات الباطنة هي أساس الدين، فلا بدّ أن نهتمّ مع العبادات الظاهرة المعروفة بالعبادات الباطنة.

هناك عبادات مثل: الورع، والزهد، والتوكل، والصبر، والشكر، والحياء من الله، والخوف منه، والرجاء في رحمته إلخ؛ هذه عبادات باطنة؛ عبادات القلب.

لقد تعلّمنا من الصّيام كيف نترك الحلال لله وعَجَل؛ طوال شهر كامل تركنا الطعام لله، وتركنا الشرب لله، وترك المتزوّج زوجته لله من الفجر

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر.

إلى غروب الشمس، كما جاء في الحديث: «يَدَعُ الطَّعَامَ مِنْ أَجْلِي، وَيَدَعُ الشَّرَابَ مِنْ أَجْلِي، وَيَدَعُ لَذَّتَهُ مِنْ أَجْلِي، وَيَدَعُ زَوْجَتَهُ مِنْ أَجْلِي»^(١).

أهم شيء في الدين الورع:

إذا كان الإنسان قد تعلّم في مدرسة الصوم ترك الحلال لله وِعَجَلْ أَيَّام شهر كامل، فينبغي أن يأخذ من هذا كيف يترك الحرام لله وِعَجَلْ، وهذا هو الورع، هذه هي العبادة القلبية.

عبادة القلب أن تترك الحرام لله وِعَجَلْ، كما قال النبي ﷺ لأبي هريرة، علّمه خمس كلمات، أوّل هذه الكلمات الخمس: «اتَّقِ المحارم تكن أعبد النَّاس»^(٢)، أي: تورّع عمّا حرّم الله في المأكّل، في المشارب، في الملابس، في المساكن، في المعاملات، فيما تسمعه أذنك، فيما تنظر إليه عينك، فيما تمتدّ إليه يداك، فيما تمشي إليه رجلاك.

«اتَّقِ المحارم»: تجنّب المحارم، احذرّها، ابتعد عن المحرّمات، وفي بعض روايات الحديث: «كن ورعاً تكن أعبد النَّاس»^(٣).

«تكن أعبد النَّاس»: ليس أعبد النَّاس من يكثر التسبيح والتهليل والتكبير وتلاوة القرآن، ومن يصوم رمضان ويضيف إليه ستّاً من شَوّال وربّما يصوم الاثنين والخميس، ولكنّه لا يتعفّف عمّا حرّم الله.

(١) رواه ابن خزيمة في الصيام (١٨٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٩٧٨).
 (٢) رواه أحمد (٨٠٩٥)، وقال مخرّجوه: حديث جيد. والترمذي في الزهد (٢٣٠٥)، وقال: غريب. وأبو يعلى (٦٢٤٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٠)، عن أبي هريرة.
 (٣) رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢١٧)، وأبو يعلى (٥٨٦٥)، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٨٠)، عن أبي هريرة.

هناك أناس قد يطيلون الصَّلاة، ويطيلون الصَّيام، ويكثرُونَ من التسبيح، ويقومون بالليل، ويذهبون إلى الحجِّ في كلِّ عام، أو يذهبون إلى العمرة في كلِّ رمضان، ولكنَّهم لا يتورَّعون عن الحرام.

درجات الورع:

كان السَّلف يقولون: أهمُّ شيء في الدين الورع، والورع درجات^(١):

أقلُّ درجات الورع الامتناع عن أكل الحرام:

أن تمتنع عن الحرام الصَّرف، هذا هو أدنى الدرجات، ويُسمَّيه الإمام الغزالي: ورع العدول، أي: الذي لا تثبت عدالة الإنسان إلَّا به، لا تُقبل شهادته في المحكمة إلَّا به.

العدل هو الذي يمتنع عن الكبائر والإصرار على الصغائر؛ فلا عدالة إذا ارتكب هذا الحرام الظاهر.

والحرام درجات - أيضًا: هناك الكبائر، وهناك الصغائر.

من أخطر الكبائر:

أكل أموال النَّاس بالباطل:

مثل أكل مال اليتيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

مثل: أكل الرِّبَا، الذي لعن النَّبي ﷺ آكله ومؤكله وكاتبه وشاهديه^(٢)،

(١) انظر ما كتبه الإمام الغزالي عن الدرجات الأربع في الورع وأمثلتها وشواهداها في موسوعته

إحياء علوم الدين (٩٥/٢ - ٩٨).

(٢) سبق تخريجه ص ٢٠٧.



وَالَّذِي آذَنَ الْقُرْآنَ فَاعِلُهُ بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿[البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

مثل: أكل المال العام، مال الدولة، الذي يتساهل فيه كثير من الناس؛ لأنَّ لكلِّ إنسان حقًّا فيه، فإذا أخذت من هذا المال بغير حقٍّ فقد ظلمت هؤلاء الناس جميعًا.

مثل: أكل مال الأوقاف؛ لأنَّه قد خرج من ملك صاحبه إلى ملك الله؛ فأنت تأكل مال الله، أي: مال الناس.

مثل: أكل حقِّ الأجير، العامل الذي يعمل عندك، كما جاء في الحديث القدسي: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنتُ خصمه خصمته (أي: غلبته) يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر (أعطى بالله عهدًا ثم غدر ونكث بالعهد ولم يبال بكلمته)، ورجل باع حرًّا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يوفِّه أجره»^(١)، وفي الحديث: «أعطوا الأجير أجره، قبل أن يجفَّ عرقه»^(٢).

ومثل ذلك: أن تبخسه حقَّه، ألا تعطيه ما يستحقُّ، هو يستحقُّ خمسمائة - مثلاً - فلا تعطيه إلا ثلاثمائة، تستغل ضرورته وحاجته، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥]، تستغلُّ ضعفه لترغمه على ما تريد لا على العدل، ثم تذهب إلى العمرة وتذهب إلى الحجِّ! وفرَّ حجَّك وعمرك وأعط هؤلاء الضعفاء حقوقهم، وسلِّم لهؤلاء الأجراء أجرتهم العادلة.

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٢٢٧)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه ابن ماجه في الرهن (٢٤٤٣)، والقضاعي في مسند الشهاب (٧٤٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٩٨٠)، عن ابن عمر.

كان بعض السلف إذا أعطى شيئاً يزيد حبة - أو درهماً - من عنده، وإذا أخذ شيئاً ينقص حبة - أو درهماً - ممّا له تورّعاً.

نحن لا نطالب الناس بهذا التورّع، إنّما نطالبهم أن يمتنعوا عن الحرام الصّرف.

هناك كبائر مثل الرّشوة: لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي^(١)؛ الذي يدفع الرّشوة والذي يأخذها، وفي بعض الأحاديث: والرائش^(٢) - أيضاً - مضموم إلى هذين الاثنين، أي: الذي يتوسّط بينهما.

والرّشوة الآن لم تعد بالآلاف ولا بالألفين، أصبحت بمئات الآلاف، بل بالملايين.

الحرام الآن أصبح مصدراً لفساد وتدمير المجتمعات؛ بسبب رغبة الناس في أن يكسبوا بأيّ طريق كان، ولو كان في ذلك خراب الذم، وضياع الأخلاق، وإهلاك مال الدولة.

هذا ما نراه عند الناس.

السُّراق الكبار:

مديرو المشتريات والمسؤولون في المؤسسات والوزارات

(١) رواه أحمد (٦٧٧٨)، وقال مخرّجوه: إسناده قوي، وأبو داود في الأقضية (٣٥٨٠)، والترمذي (١٣٣٧)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٢٣١٣)، كلاهما في الأحكام، وصحّحه الألباني في الإرواء (٢٦٢٠)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (٢٢٣٩٩)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره دون قوله: «والرائش» وهذا إسناده ضعيف. وابن أبي شيبة في البيوع والأقضية (٢٢٥٢٩)، والبزار (٤١٦٠)، وقال: قوله: «الرائش» لا نعلمه يروى عن رسول الله إلا من هذا الوجه. ولينّ سنده، وضعّفه الألباني في غاية المرام (٤٥٨)، عن ثوبان.

والحكومات المختلفة ومن بيدهم السلطة الماليّة في بلادنا العربيّة والإسلاميّة، ترى السرقات عندهم بالملايين.

ليس اللّصّ فقط هو الذي ينشل النّاس وهو يركب «الترام» أو «الأتوبيس» أو نحو ذلك ويسرق بعض جنيّهات؛ هناك لصوص كبار يسرقون الملايين.

ماذا فعل الصّوم بهؤلاء؟ ماذا فعل الصّوم بالذين لا يتورّعون عن الحرام؟

التعدّي على حقوق النّاس:

الحرام هو أخطر شيء؛ أخطر شيء على الإنسان؛ الإنسان إذا ارتكب بعض الذنوب فيما بينه وبين الله وأراد أن يتوب فإنّ باب التوبة مفتوح ليس عليه حاجب ولا بوّاب، بحسبه أن يقول: يا ربّ، فيقول الله تعالى له: لبّيك عبدي وسعديك.

المشكلة، المعضلة، العقدة إنّما هي في حقوق النّاس، في أكل أموال النّاس بالباطل؛ كيف يتوب من ملأ خزائنه بالحرام، وغدّي بطنه بالحرام، وغدّي أولاده بالحرام؟ كيف يتوب هذا؟

لا بدّ أن يردّ كلّ ما أخذه، ومن يهون عليه هذا بعد أن جمع ما جمع من حرام هل يسهل عليه أن يتخلّص من هذا كلّه ويطهّر نفسه من الحرام ليعيش في الحلال، ويصبح رجلاً محدود الدخل بعد أن كان مليونيراً؟ إنّهُ أمر شديد على النّفس، إلّا على من أراد الجنّة وخاف النّار.

الصدقة لا تقبل من مال خبيث:

لا ينفع الإنسان أبداً: أن يجمع المال من هنا ومن هناك، ممّا حلّ

وما حُرِّم، وما طاب وما خُبْتُ، ثمَّ يتصدَّق منه، وكما جاء في الحديث الصحيح: «يأتي على النَّاس زمان لا يبالي المرء ما أخذ، أمن حلال أم من حرام»^(١) لا يهْمُه، يقول: حلال أكلناه حرام أكلناه! يأكل في بطنه نارًا ولا يبالي، ثمَّ بعد ذلك يتصدَّق أو يبني مسجدًا أو يقيم مشروعًا خيريًا! لا ينفعك هذا؛ لا تنفعك صدقتك، ولا ينفعك بناؤك المسجد، ولا ينفعك مشروعك الخيري، ولا ينفعك حجُّك ولا عمرتك كلَّ عام. رُذِّ الأموال إلى أهلها، تخلص من المال الحرام ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، طهر نفسك من الحرام.

الزَّكَاة لا تجب في المال الحرام:

لقد قال العلماء: إنَّ الزَّكَاة لا تجب في المال الحرام. لماذا؟ لأنَّ الزَّكَاة معناها أن تخرج (٢,٥٪)، و(٩٧,٥٪) لك، ولكنَّ هذا المال الحرام كلُّه ليس لك؛ يجب أن تُخرج (١٠٠٪) من هذا المال، (٢,٥٪) - أو ربع العشر بالتعبير الشرعي - لا تطهر مالك، ولا تزكِّي نفسك، أخرج المال كلُّه، لا ينفعك بعضه.

ينبغي على النَّاس أن يستفيدوا من ترك الحلال في رمضان: كيف يجاهدون أنفسهم لترك الحرام بعد رمضان؟ كيف يكتفون بالحلال وإن قلَّ عن الحرام وإن كثر؟

الحلال القليل بركة، بركة عليك، على صحتك، على أهلِكَ، على ولدك، على دينك ودنياك، فأياك والحرام.

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٥٩)، عن أبي هريرة.

لقد ذكر النبي ﷺ في حديث له: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»، أي: لا يقبل الصدقة من مال حرام؛ لأنَّ القاذورات لا تُطَهَّر بالبول كما قالوا، «وإنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَتَأَيَّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].

ثمَّ ذكر النبي ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء: يا ربَّ يا ربَّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُدِّي بالحرام، فأَنَّى يستجاب لذلك؟! ^(١) كيف يُستجاب له وحياته كُلُّها مملوءة بالحرام؟!!

قال سعد بن أبي وقَّاص: يا رسولَ الله، ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة. فقال النبي ﷺ: «يا سعدُ، أَطْبَبَ مَطْعَمُكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ» ^(٢)، أي: اجعلْ طعامك طيبًا ورزقك حلالًا، يُجب الله دعوتك.

احرص على أن ينبت جسمك من حلال، لا من سحت، وأن ينبت جسم أولادك وأطفالك من حلال؛ حتَّى يبارك الله فيهم ويبارك لهم.

أبو بكر رضي الله عنه أكل بعض الطعام جاء به غلام له، من موضع فيه شُبْهة بسيطة، فوضع أصبعه فيه واستقاء حتَّى نزل، ثمَّ قال: اللهمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا خَالَطَ الْعُرُوقَ وَالْأَمْعَاءَ؛ إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٥)، وأحمد (٨٣٤٨)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٦٤٩٥)، وقال ابن رجب في شرحه للحديث العاشر في جامع

العلوم والحكم (٢٦١/١): إسناده فيه نظر. تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. وضعفه الألباني في الضعيفة (١٨١٢)، عن ابن عباس.

«كُلُّ جَسْمٍ نَبَتٍ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»^(١)، وَلَا أُرِيدُ أَنْ يَنْبَتَ شَيْءٌ مِنْ جَسْمِي مِنَ السُّحْتِ.

هكذا كانوا، فينبغي أن نبتعد عن الحرام.

درجات الورع عند الإمام الغزالي:

الإمام الغزالي ذكر درجات الورع، منها:

١ - ورع العدول، هذا الامتناع عن الحرام الصَّرف، سواء كان من الكبائر أم من الصغائر.

٢ - ثمَّ ورع الصالحين: وهو الامتناع عمَّا فيه شُبْهة الحرام، وإن لم يكن حرامًا قطعًا؛ كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ»^(٢).

٣ - ثمَّ ذكر ورع المتقين، وهو الَّذِي جَاءَ فِيهِ الْحَدِيثُ: «لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ، حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ؛ حَذَرًا لِمَا بِهِ بَأْسٌ»^(٣).

٤ - ثمَّ ذكر درجة عليا للورع وهي: ورع الصَّديقين، وهو أن يترك ما لا بأس به، لا حذرًا ممَّا به بأس، بل بُعْدًا عَنْ أَيْ مَظَنَّةٍ فِي أَسْبَابِ وَصُولِ هَذَا الشَّيْءِ إِلَيْهِ.

(١) رواه أحمد (١٤٤٤١)، وقال مخرَّجوه: إسناده قوي على شرط مسلم. والترمذي في السفر (٦١٤)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في الصلاة (١٧٢٣)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) متَّفَقٌ عَلَيْهِ: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

(٣) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٥١)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢١٥)، والحاكم في الرقاق (٣١٩/٤)، وصحَّح إسناده ووافقه الذهبي، والبيهقي في البيوع (٣٣٥/٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٤٣٥)، عن عطية السعدي.

كما ذُكر أنَّ بعضهم كان مسجوناً، فجاءه السجَّان بطعام حلال بعثته إليه امرأة صالحة من كدِّ يدها، فرفض أن يأخذه؛ لأنَّه جاءه على يد سجَّان ظالم^(١).

إلى هذا الحدِّ كانوا يتورَّعون.

جاءت أخت بشر الحافي - وكان من الورعين الزاهدين - تسأل الإمام أحمد بن حنبل: إنَّا نغزل على سطوح بيوتنا، فأحياناً تمرُّ مواكب الظالمين ومعهم مشاعل مضيئة، فتضيء لنا فنغزل عليها، ما ترى في هذا؟

فقال لها: من أنت رحمك الله؟

قالت: أخت بشر الحافي.

قال لها: أمَّا أنت فلا تغزلي بشعاع مشاعل هؤلاء الظلمة أو هؤلاء المبتدعة! لأنَّ مثلها يتورَّع عن مثل هذا^(٢).

نحن لا نطالب النَّاس بورع الصَّديقين، ولا بورع المتقين، بل حتَّى ولا بورع الصالحين، نحن نطالب بالدرجة الأولى من الورع: الورع عن الحرام الصَّريح وما يشبه الصَّريح.

الابتعاد عن الشبهات:

فإذا ارتقين، ابتعدنا عن الشبهات «دُع ما يريبك إلى ما لا يريبك»^(٣)؛

(١) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب (٣٢١/٢)، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٢) ذكره عبد القادر بن أبي الوفاء في طبقات الحنفية (٤٨٨/١)، نشر مير محمد كتب خان، كراتشي.

(٣) رواه أحمد (١٧٢٣)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في صفة القيامة والرقائق (٢٥١٨)، وقال: صحيح. والنسائي في الأشربة (٥٧١١)، وصحَّح إسناده الحافظ في التخليق (٢١١/٣)، وصحَّحه الألباني في الإرواء (١٢)، عن الحسن بن علي.

حتّى لا يدخل بطنك لقمة من حرام، ولا خزانة درهم من حرام، فتحاسب أمام الله تبارك وتعالى عليه.

فكلّ منّا مسؤول بين يدي الله تعالى عن أسئلة أربع: «عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»^(١).

إذا لم يكن هناك في الدُّنيا من يقول لك: من أين اكتسبت؟ ولم يكن هناك قانون «من أين لك هذا؟»، وكنت مدير المشروع واستطعت أن تجمع المال من كلّ حذب وصوب، ولم يسألك أحد ولم يحاسبك أحد، فاعلم أنّك محاسبٌ ومساءلٌ أمام الله تعالى يوم القيامة، فحضّر للسؤال جواباً.

لا نطالب بورع الصّديقين، ولا بورع من ظلّ أربعين سنة يبكي لأنّه أخذ طيناً من جدار ومسح به يده، من أثر أكله!

لا، لا نطالب بهذا النوع من الورع؛ نحن نطالب المسلمين بما هو أوضح وأصرح، بالورع عن المحرّمات.

إذا كنّا استفدنا من رمضان، فينبغي أن نستفيد من العبادة الظاهرة لعبادة باطنة، من عبادات الجوارح لعبادات القلوب.

ينبغي أن نتورّع عما حرّم الله.

وثقوا - أيّها الإخوة - أنّ الحلال ليس وراءه إلّا الخير والبركة، إيّاك أن تستقلّ الحلال، الحلال القليل خير من الحرام الكثير في الدُّنيا قبل الآخرة.

(١) سبق تخريجه ص ١٩٨.



جربوا هذا، وسيبارك الله تعالى لكم.
 أسأل الله ﷻ أن يكفيننا بحلاله عن حرامه، وبطاعته عن معصيته،
 وبفضله عمّن سواه.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو
 الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

حثّنا رسول الله ﷺ على أن تستمرّ طاعتنا لله بعد شهر رمضان، فشرع لنا صيام ستّة أيّام من هذا الشهر الكريم، يصومها المسلم متتابعة أو مفرّقة، وجاء في الحديث: «مَنْ صام رمضان ثمّ أتبعه ستًّا من شَوّال كان كصيام الدهر»^(١)، أي: صام السنّة.

وشرح ذلك في حديث آخر فقال: «من صام رمضان فشهْر بعشرة أشهر، وصيام ستّة أيّام بعد الفطر فذلك تمام صيام السنّة»^(٢).

فإذا استمرّ على ذلك طوال السّنّوات فكأنّما صام الدهر.

المهمّ أن يظلّ الإنسان موصولاً بالطاعة، ففي الحديث الصحيح: «أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ»^(٣).

دعاء:

اللهمّ أضلِحْ لنا ديننا الَّذي هو عِصمة أمرنا، وأضِلِحْ لنا دنيانا الّتي فيها معاشنا، وأضِلِحْ لنا آخرتنا الّتي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلّ شرّ.

(١) رواه مسلم في الصّيام (١١٦٤)، وأحمد (٢٣٥٣٣)، عن أبي أيوب الأنصاري.

(٢) رواه أحمد (٢٢٤١٢)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح. وابن ماجه (١٧١٥)، والنسائي في

الكبرى (٢٨٧٤)، كلاهما في الصيام، عن ثوبان.

(٣) متّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٦٤)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٨٣)، عن

عائشة.



اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلّ من ذلك.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا،
وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجرنا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة.

* * *





الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

غفلة المسلمين عن أعمال القلوب:

ذكرنا في الخطبة الماضية أَنَّ العبادات في الإسلام منها ما هو ظاهر، ومنها ما هو باطن.

منها ما يتعلَّق بأعمال الجوارح، ومنها ما يتعلَّق بأعمال القلوب. والنَّاس قَلَمًا يَهْتَمُّونَ إِلَّا بِالْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ، وَهُمْ فِي الْغَالِبِ غَافِلُونَ عَنِ الْعِبَادَاتِ الْبَاطِنَةِ الَّتِي هِيَ جَوْهَرُ الدِّينِ، وَلِبَابُ الْإِسْلَامِ.

اهْتَمَّ النَّاسُ بِالصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ وَالْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ الظَّاهِرَةِ، مَعَ أَنَّ هَذِهِ الْعِبَادَاتُ لَا تُقْبَلُ إِلَّا بِعِبَادَةٍ بَاطِنَةٍ هِيَ: الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(١).

(١) سبق تخريجه ص ٢٣٦.

تحدّثنا في الخطبة الماضية عن عبادة من العبادات الباطنة وهي الورع، الورع عن الحرام، ترك ما حرّم الله وعجل؛ فقد أمرنا الله بالصّيام لنترك فيه الحلال - ما أحلّ الله من الطعام والنساء - رغبة فيما عند الله، فأولى بنا أن نترك ما حرّم الله وعجل؛ رجاء في مثوبته وخشية من عقوبته. واليوم نتحدّث عن عبادة أخرى تكمل الورع وتلزمه، وهي الزُّهد. الزُّهد من العبادات الباطنة التي جاء بها الإسلام.

وإذا كان الورع يسير في وادي اجتناب المحرّمات أو الشُّبهات وما يليق بذلك، فالزُّهد في غالبه يسير في ترك الفضول من المباحات.

زُهد القلب:

ولكن أهم من ذلك كلّ في الزُّهد هو: زهد القلب؛ قد يكون الإنسان محروماً من لذائذ الدنيا، ومن شهواتها، ومما يتمتّع به كثير من النّاس، ليس عنده مال ولا ولد ولا جاه ولا منصب، ولكنّه ليس من الزّاهدين في شيء؛ لأنّه يعيش مع الدُّنيا برغباته، يتمنى لو كانت له الدُّنيا ليفعل كذا وكذا، كما يفعل عشاق الدُّنيا ومؤثروها على الآخرة.

وكثير من النّاس يُعتبرون من أهل الدُّنيا، وهم لا يملكون منها نقيراً ولا قطميراً.

أسوأ المنازل من النّاس:

هذا ما جاء في الحديث الذي رواه أبو كبشة: «وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربّه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل»^(١).

(١) رواه أحمد (١٨٠٣١)، وقال مخرّجوه: حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٢٥)، وقال: حسن صحيح. وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٣٥)، عن أبي كبشة الأنماري.

الإنسان الذي يكسب المال من غير حقّه، وينفقه في غير حلّه، ويبخل به عن حقّه، هذا بأسوأ المنازل - والعياذ بالله.

هذا معقول، إنّما الشيء الغريب: إنسان آخر لم يؤت ما أُوتي هذا من المال، فيقول: «لو أنّ لي مالا لعملت فيه بعمل فلان»؛ يتمنى أن يكون له مثل ماله لينفقه في المحرّمات، وفي كبائر الذنوب، أي: لشربت الخمر، ولاقترفت الزنى، وللعبت القمار، ولتنزّهت به في بقاع الأرض، وعببت فيه من الشّهوات عبّا، وفعلت كذا وفعلت كذا، قال ﷺ: «فهو بنيته، فوزرهما سواء»^(١).

الذي عاش يأخذ من الشّهوات الحرام ما استطاع، وينفق المال في غير ما أحلّ الله، والذي ليس عنده من المال شيء، هما في الوزر سواء؛ لأنّه عاش مع ذلك المسرف على نفسه الراغب في الدنيا، عاش معه بقلبه ونيته.

المسألة إذن مسألة قلب، ولذلك الزهد الحقيقي: أن ترهد في الدنيا بقلبك.

نماذج من الأنبياء الزّاهدين:

داود وسليمان عليهما السّلام:

كان هناك من الأنبياء من آتاهم الله الدنيا؛ أتى الله الدُّنيا داود، آتاه الله الملك، وآتى ابنه سليمان ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، سخر ﴿لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ ﴿[ص: ٣٦، ٣٧]، علّمه منطق الطير، وآتاه ما آتاه من فضل.

(١) جزء من الحديث السابق.

ومع هذا كان سليمان من الزاهدين؛ لأنَّ الدُّنيا لم تشغله عن الآخرة، والمُلْك لم يشغله عن الله، كان يخالط الفقراء والمساكين ويقول: مسكين خالط مسكيناً^(١)!

ولما قيل له يوماً، وقد مرَّ موكبه من الجنِّ والإنس والطير، فقال بعض الفلاحين البسطاء: ما أعظم ما أُوتيت، يا ابن داود؛ لقد آتاك الله ملكاً عظيماً! فبلغت الكلمة إلى سليمان فقال: والله لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير ممَّا أُوتي ابن داود؛ فإنَّ التسبيحة في صحيفة المؤمن تبقى، وما أُوتي ابن داود يزول ويفنى^(٢).

لقد أُوتي سليمان مُلكاً وكان من الزَّاهدين، كان من دعائه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيْ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

قال هذا حينما سمع النملة وفهم ما فهم عنها، وتبسّم ضاحكاً من قولها. كان سليمان ملكاً آتاه الله هذا المُلْك العظيم، ومع هذا كان من الزَّاهدين، كما كان أبوه داود من الزَّاهدين.

يوسف بن يعقوب عليهما السَّلام:

كما كان يوسف من الزَّاهدين، وقد آتاه الله من المُلْك ما آتاه، وأصبح عزيز مصر وبيده المالية والزراعة والتموين والتخطيط إلى آخره، ومع هذا قالوا: إنَّه لم يكن يشبع إذا أكل! ولما سُئل في ذلك: لماذا لا تشبع وبيدك خزائن الأرض؟

(١) تفسير الرَّاَزي (٢٢٠/٣٢)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

(٢) رواه أبو نُعيم في حلية الأولياء (٣١٣/٢)، عن أبي عمران الجوني.



قال: إِنِّي أَخْشَى إِذَا شَبَعْتُ أَنْ أُنْسَى جُوعَ الْفُقَرَاءِ^(١).

كان بعض الأنبياء ملوكًا، ولكنهم كانوا زاهدين.

نماذج من الصَّحابة الزَّاهدين:

عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفَّان، والزُّبَيْر بن العَوَّام وغيرهم:

وكان من أصحاب رسول الله ﷺ الأثرياء الذين يملكون القناطير المقنطرة، مثل عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفَّان والزُّبَيْر بن العَوَّام وغيرهم، ومع هذا كانوا من أزهد النَّاس في الدنيا؛ لأنَّهم كسبوها من حلال ولم ييخلوا بها عن حقِّ الله ﷻ.

وفي ساعة العُسرة جهَّز عثمان بن عفَّان من الجيش ما جهَّز، وكذلك عبد الرحمن بن عوف، وجاء عمر بنصف ماله، وجاء أبو بكر بكلِّ ماله، فقال النَّبِيُّ ﷺ: «يا أبا بكر، ما أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قال: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ^(٢).

الزُّهْدُ الْحَقِيقِيُّ:

الزُّهْدُ: أَنْ تَمْلِكَ الدُّنْيَا وَلَا تَمْلِكَ، وَأَنْ تُسَخِّرَهَا وَلَا تُسَخَّرَ، وَأَنْ تَجْعَلَهَا فِي يَدِكَ وَلَا تَجْعَلَهَا فِي قَلْبِكَ.

هذا هو الزُّهْدُ الْحَقِيقِيُّ.

(١) رواه أبو نُعَيْم في حلية الأولياء (٢٧٣/٦)، عن الحسن.

(٢) رواه أبو داود في الزكاة (١٦٧٨)، والترمذي في المناقب (٣٦٧٥)، وقال: حديث حسن صحيح. والحاكم في الزكاة (٤١٤/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن عمر بن الخطاب

لم يأت الإسلام بالرهبانية، ليس الإنسان المثالي في الإسلام هو الراهب المنقطع في الدَّير والفلوات، يُحَرِّم على نفسه الطَّيبات، يبتعد عن النِّساء، لا يتزوَّج امرأة، لا يأكل طيبًا، ولا يلبس شيئًا حسنًا، الإسلام لم يأت بذلك.

التمتُّع بالطَّيبات لا يتنافى مع الزُّهد:

وإنَّما شرع للمسلمين العمل للدُّنيا والتمتُّع بطيباتها: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢]، أي: هي في الدُّنيا لهم بالأصالة؛ لأنَّهم الأحقَّاء بنعم الله وطيباته، ولغيرهم تبعًا يشاركونهم فيها، ولكنَّ هذه الطَّيبات خالصة لهم يوم القيامة.

﴿يَبْنِيْ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

هذا ما جاء به الإسلام.

الزُّهد أن تجعل الآخرة أكبر همِّك:

ولكنَّ الإسلام حين أباح الزينة والطَّيبات للمسلمين لم يرض أن يجعلها لهم غاية، وأن تكون لهم مهمَّة، وأن تصبح الدُّنيا أكبر همِّهم ومبلغ علمهم.

لا؛ أكبر همِّهم هو الآخرة، يجب أن تكون نصب أعينهم دائمًا.

الآخرة هي التي إليها يسعون، وعليها يحرصون، ومن أجلها يعملون ويكدحون، هي نهاية المطاف.

هم يتخذون الدنيا مزرعةً للآخرة، يزرعون هنا ليحصدوا هناك، يغرسون هنا ليجتنوا هناك؛ فالدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء، اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، هذه نظرتهم إلى الدنيا. المهم هو الإرادة. إلام تتجه إرادتك؟

الناس صنفان:

القرآن جعل الناس صنفين: من يريد الدنيا، من يريد العاجلة، ومن يريد الآخرة، ليجعل كل إنسان نفسه في أي الفريقين يرضى لنفسه.

أولاً: من يريد الدنيا:

انظروا إلى قول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، الذي يريد العاجلة، هذه الدنيا، الذي يحبها ويؤثرها ويجعلها أكبر همّه ومنتهى تفكيره، لا يأخذ منها كل ما يريد، ولكن ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ هذا ما يأخذه الإنسان: ما يشاء الله منها لمن يريد ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]، كما في السورة الأخرى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وبطل ما كانوا يعملون ﴿[هود: ١٥، ١٦]﴾.

هؤلاء هم أهل الدنيا الذين لا يفكرون في الآخرة.

هؤلاء صنف ليس لهم في الآخرة من خلاق، لا يؤمنون أن وراء هذه الدنيا حياة أخرى؛ فهم يعيشون لهذه الدار وحدها، أولئك الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ أولئك ماؤنهم النار بما كانوا يكسبون ﴿[يونس: ٧، ٨]﴾.

أولئك لا يرجون لقاء الله، ولا يعتقدون أنَّ هناك يومًا يلقون فيه الله وَجَلَّ، وتوفى فيه كلُّ نفس بما كسبت، وتخلد فيما عملت، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

هؤلاء هم أهل الدنيا المحضة.

ضعاف الإيمان:

وهناك أناس يؤمنون بالآخرة، ولكنه إيمان ضعيف، إيمان ذابل، إيمان ميت أو يوشك أن يموت، لم يصلوا إلى درجة اليقين بالآخرة كالمتقين.

الذين وصفهم الله في أوائل سورة البقرة: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] يقين حاضر، الآخرة دائماً على ذكرٍ منهم، هؤلاء هم أهل الآخرة حقاً.

أمّا المشكلة فهي في أولئك الذين يؤمنون بالآخرة، ولكنهم يعيشون في الدنيا كأنهم مخلّدون، لا يذكرون الموت، لا يذكرون القبر، ولا يذكرون ما بعد الموت، لا يذكرون الحساب، ولا الميزان، ولا الصراط، ولا الجنة ولا النار.

هؤلاء يؤمنون بالآخرة إيماناً إجمالياً، ضعيفاً، هشّاً، وليس هذا هو الإيمان المراد.

ثانياً: من يريدون الآخرة ويوقنون بها:

الذي يصل إلى درجة اليقين، الذي يُؤثّر في سلوك الإنسان، في كلِّ قول يقوله جهراً كان أو سراً، في كلِّ خطوة يمشيها، في كلِّ عمل يعملها، في كلِّ شيء يمارسه، في الجلوة والخلوّة، في البيت والطريق، في

المزرعة والمصنع، في المدرسة والجامعة، في كل شيء يذكر الآخرة، الآخرة ليست غائبة عنه.

وبهذا يعرف للدنيا قدرها، فإذا تعارض أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة، أثر الآخرة على الدنيا: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ * وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [التَّازِعَات: ٣٧ - ٤١].

الزُّهد هو إيثار الآخرة على الدنيا:

الزُّهد الحقُّ هو إيثار الآخرة على الدنيا، وهذا ما ينطق به القرآن، هذا هو معنى «إرادة الآخرة»، هناك من يريد الدنيا وهناك من يريد الآخرة، هناك من يريد العاجلة ومن يريد الآخرة الباقية: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

الإرادة الحقيقيَّة للآخرة:

إرادة الآخرة الإرادة الحقيقيَّة تجعل الإنسان يسعى لها، كما يسعى الراغبون في دنياهم للدنيا.

مَنْ يريد المال يكدح من أجله ويلهث وراءه، ويواصل تعب الليل بعناء النهار.

أَمَّا من يريد الآخرة، فإنه يسعى لها سعيها؛ فللآخرة سعيٌّ خاصٌّ غير سعي الدنيا، له منهج محدّد، حدّده الله تعالى في كتابه وسُنّة رسوله ﷺ.

فمن أي الفريقين نحن؟ ممن يريد الدنيا أم ممن يريد الآخرة؟

لقد قال الله تعالى لرسوله: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠]، أي: لا يعرفون إلا هذه الدار.

مشكلة الحضارة المعاصرة:

ومشكلة العالم كله، مشكلة الحضارة المعاصرة: أنها لا تعرف إلا الدنيا، لا تعرف إلا هذه الدار، يتقاتل الناس عليها، ويتهاشون من أجلها. من أجل هذه الدنيا تُسفك الدماء، وتُنهب الأموال، وتُنتهك الحُرُمات.

من أجل هذه الدنيا يبيع الأخ أخاه، ويعقُّ الابن أباه، ويتقاتل الأقارب بعضهم مع بعض.

آفة الحضارة اليوم: أنها حضارة دنيا لا مكان فيها للآخرة.

تنافس المسلمين على الدنيا:

ومن المؤسف أن المسلمين قد سَرت إليهم العدوى؛ فأصبحوا لا يشغلهم إلا الدنيا: ماذا يكسبون منها؟ وماذا يجمعون من متاعها؟ وأصبح الناس يتنافسون في ذلك دون أن يقفوا عند حدود الله وعِزِّهِ، لا يبالون بحلال ولا حرام.

وزن الدنيا عند الله:

نسي الناس أن هذه الدنيا كما وصفها النبي ﷺ: «لا تزن عند الله جناح بعوضة»^(١)!

(١) سبق تخريجه ص ٤٧.

فانظر أيُّها الإنسان - وإن أُوتيت ما أُوتيت ووصل رصيدك إلى
الآلاف أو الملايين - ماذا يكون نصيبك من جناح البعوضة؟!
الدنيا كُلُّها بقاراتها الست، الدُّنيا كُلُّها بفضتها وذهبها ومعادنها
وثرواتها المذخورة في باطن الأرض والمنشورة على ظاهرها، الدُّنيا كُلُّها
لا تُساوي عند الله جناح بعوضة!
ماذا عسى أن تكون الأرض كُلُّها من جناح البعوضة؟ ماذا عسى أن
تكون قارة آسيا؟
ماذا عسى أن يكون الخليج كُلُّه من جناح البعوضة؟! ماذا عسى أن
تكون «قطر» من جناح البعوضة؟! ماذا عسى أن يكون نصيبك في قطر
أيُّها الفرد هنا من جناح البعوضة؟!
خذ جناح البعوضة كُلَّه واشبع به، بل خذ البعوضة كُلُّها، وما شئت
من البعوض معها!
ما النتيجة؟ ما النِّهاية؟
ألا يذكر النَّاس الموت؟ ألا يذكر النَّاس أنَّ نهاية هذه الدُّنيا هو الموت؟

وصف عليّ بن أبي طالب للدنيا:

سُئِلَ الإمام عليّ رضي الله عنه أن يصف الدنيا، قال: ماذا أصف لك من دار:
أولُّها بكاء، وأوسطها عناء، وآخرها فناء، في حلالها الحساب، وفي
حرامها العذاب، وفي متشابها العتاب^(١)!
هذه هي الدنيا.

(١) رواه القالي في الأمالي في لغة العرب (١٢٢/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ -

١ - أولها بكاء، كما يقول الشاعر:

لَمَّا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا يَكُونُ بَكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةً يُوَلَّدُ
وَلَا فَمَا يُبْكِيهِ مِنْهَا وَإِنَّهَا لَأَفْسَحُ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَأَرْغَدُ^(١)
إِذَا نَأَى أَنَّهَا دَارُ آلامٍ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، هكذا هو في الدنيا.

٢ - وأوسطها عناء:

فالحياة في هذه الدُّنْيَا معاناة، كما قيل لبعض الصالحين: ما الذي
زَهَّدَكَ في الدنيا؟

قال: قِلَّةُ وفائِها، وكثرة جفائِها، وخسَّة شركائِها! المتزاحمون
عليها الذين يشاركونك أخساء، يمكنهم أن يدوسوك بأقدامهم من
أجل مصالحهم.

٣ - وآخرها فناء:

«عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحِبِّ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ»^(٢)، وابن
ما شِئْتَ فَإِنَّ مَا تَبْنِيهِ لِلْخَرَابِ يَوْمًا مَا، ولد ما شِئْتَ فَإِنَّهُ لَلْمَوْتِ.

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى تَبَابٍ
لِمَنْ نَبْنِي وَنَحْنُ إِلَى تُرَابٍ نَصِيرُ كَمَا خُلِقْنَا مِنْ تُرَابٍ^(٣)

(١) من شعر ابن الرومي. انظر: الإعجاز والإيجاز ص ٣٢٠، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٤٢٧٨)، والحاكم في الرقائق (٣٢٤/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦٤٤): رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٣)، عن سهل بن سعد.

(٣) من شعر أبي العتاهية، انظر: تاريخ الإسلام (٤٦٠/١٥)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

النَّاسُ يُعْطُونَ الدُّنْيَا أَكْبَرَ مِنْ حَجْمِهَا وَمِنْ قَدْرِهَا، وَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ مَعْدُودَةٌ وَأَنْفَاسٌ مَحْدُودَةٌ، ثُمَّ تَغَادِرُهَا وَتَرْحَلُ عَنْهَا.

ليست هي دارك، ليست دار المقامة، دار المقامة دار أخرى، أنت هنا ضيف، والضيف لا بد أن يرحل، مهما أقام الضيف فلا بد أن يحمل عصاه ويرحل إلى موطنه الأصلي، وموطننا الأصلي هو الآخرة، هو الجنة كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

فحيَّ على جنَّاتٍ عَدْنٍ فَإِنَّهَا منازلُ الأولى وفيها المُخَيِّمُ
ولكنَّا سَبْيُ الْعُدُوِّ فَهَلْ تُرَى نعود إلى أوطاننا ونُسَلِّمُ^(١)؟

هل نعود إلى الدار الأصليَّة التي كان فيها آدم وأُخرج منها؟

دارنا هي الآخرة، كما قال مؤمن آل فرعون: ﴿يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٣٩، ٤٠].

الدنيا متاع، متاع قليل، هكذا سمَّاه الله وَجَلَّ: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]، وسمَّاه متاع الغرور: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥، الحديد: ٢٠]، يغرُّ صاحبه ورائيه بمظهره وبريقه، وجوهره لا قيمة له.

٤ - في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب، وفي متشابهها العتاب:

حتى الحلال التي تكسبه في هذه الدنيا يُعرِّضك للمساءلة يوم القيامة، ومن قلَّ ماله قلَّ حسابه، ومن كثر ماله طال حسابه، على قدر ما أعطي.

(١) حادي الأرواح ص ١١، نشر مطبعة المدني، القاهرة.

ولهذا كان بعض النَّاسِ مَمَّنْ يريد السَّلامةَ لنفسه يقول: لا أدري إذا سئلت عن هذا المال: من أين اكتسبته وفيَمَ أنفقته؟ ألاَّ أجد جوابًا يدفع عني.

فكان يرى التَّخَفُّفَ من فضول الدُّنيا والبُعد عنها، وقد تُتاح الفرصة لبعضهم أن يكسب الدُّنيا من حلال، ولكنَّه يرى البُعد عنها غنيمة.

نظرة المؤمنين للدنيا:

وبعض الأقوياء في ذلك يقول: أحاول أن أقف عند حدود الله، ولكن من يستطيع ذلك؟

في حلالها الحساب، وفي حرامها العقاب، وفي متشابهها العتاب. هذه هي الدنيا.

ولهذا كان على النَّاسِ أن ينظروا إلى هذه الدُّنيا هذه النظرة، فإذا أقبلوا عليها أقبلوا عليها بقلوب معلقة بالآخرة، كما كان الصَّحابة رضوان الله عليهم.

كانوا يعيشون في الدُّنيا بقلوب أهل الآخرة، يمشون على الأرض وأعينهم ترنو إلى السماء، يخالطون الخلق، ولكن قلوبهم مشدودة إلى الخالق، من يستطيع هذا؟

مشكلة النَّاسِ أنَّ الدُّنيا غلبت عليهم في كلِّ شيء، فلم يبالوا بحلال وحرام.

مراتب الزُّهد ثلاث:

كان الإمام أحمد رضي الله عنه يقول: الزُّهد ثلاث مراتب أو ثلاثة أنواع^(١):

(١) مدارج السالكين (١٧/٢).

١ - ترك الحرام وهو زهد العوام.

٢ - وترك فضول الحلال، وهو زهد الخواص.

٣ - وترك كل ما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين.

نحن نريد من الناس في عصرنا هذا أن يحسنوا المرتبة الأولى: الزهد في الحرام، وهو حقيقة الورع.

أين هم من الزهد في فضول الحلال؟ وأين هم من الزهد في كل ما يشغل عن الله تبارك وتعالى.

تلك مراتب عليا.

أثر حب الدنيا وإيثارها على الآخرة:

ولكننا نرى الناس الآن لا يبالون من أجل الدنيا أن يقتحموا كل حِمى، وأن يستبيحوا كل حُرمة، وأن يطؤوا بأقدامهم كل من يقف في طريقهم؛ لا معنى للقيم، لا معنى للحلال والحرام.

هذا كله من حب الدنيا؛ فقد قال السلف: حُب الدنيا رأس كل خطيئة، وحب الآخرة رأس كل فضيلة^(١).

أثر حب الآخرة وإيثارها على الدنيا:

حينما تمتلئ القلوب بحُب الآخرة وإيثارها يهون على الناس كل شيء: يسخو الناس بأموالهم، ويجودون بما في أيديهم، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، كما رأينا الصحابة رضوان الله عليهم.

(١) قال ابن تيمية: هذا معروف عن جندب بن عبد الله البجلي. مجموع الفتاوى (١٢٣/١٨)

حُبُّ الآخِرَةِ، حُبُّ مَا عِنْدَ اللَّهِ، ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] هو الَّذِي جَعَلَ أَوْلَئِكَ الْأَبْطَالِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالصَّحَابَةِ الْأَخْيَارِ يَجُودُونَ بِأَرْوَاحِهِمْ لِلَّهِ، يَضَعُونَ رُؤُوسَهُمْ عَلَى أَكْفِهِمْ، لَا يَبْغُونَ مَالًا وَلَا جِزَاءً وَلَا شُكُورًا.

الَّذِي جَعَلَهُمْ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كُلَّ الْجَبَهَاتِ الَّتِي وَقَفَتْ أَمَامَهُمْ تَصَدِّقُهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّهَا الرِّغْبَةُ فِي الْآخِرَةِ، فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ وَجَلَّ.

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَبَايَعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْجِهَادِ، وَبَعْدَ الْمُبَايَعَةِ خَرَجَ مَعَهُ إِلَى الْغَزَوَاتِ، فَأَصَابَ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا بَعْضَ الْأَنْفَالِ وَالْغَنَائِمِ، وَوَزَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمَجَاهِدِينَ - وَمِنْهُمْ هَذَا الرَّجُلُ - هَذِهِ الْغَنَائِمَ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «قَسَمْتُه لَكَ».

قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَمَا عَلَى هَذَا بَايَعْتُكَ؛ إِنَّمَا بَايَعْتُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَنْ أَجَاهِدَ مَعَكَ، فَأُرْمَى بِسَهْمٍ هُنَا - وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ - فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ تَصَدَّقَ اللَّهُ يَصْدُقْكَ».

وَفِي غَزْوَةٍ تَالِيَةٍ شَارَكَ فِيهَا الرَّجُلُ، وَاسْتَشْهَدَ فِيهَا عَدَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَاهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ الَّذِي قَالَ لَكَ كَذَا وَكَذَا هُوَ فِي الشَّهَادَةِ.

فَجِيءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرَأَى السَّهْمَ قَدْ أَصَابَهُ حَيْثُ أَشَارَ (فِي حَلْقِهِ)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَقَهُ اللَّهُ»^(١).

(١) رواه النسائي في الجنائز (١٩٥٣)، والطبراني (٢٧١/٧)، والحاكم في معرفة الصحابة (٥٩٦/٣)، وسكت عنه هو والذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح النسائي (١٨٤٥)، عن شداد بن الهاد.

الَّذِي أَعَزَّ الْمُسْلِمِينَ وَنَصَرَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ: اسْتَهَانَتْهُمْ بِالْدُّنْيَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَذَلُوا الْأَرْوَاحَ، وَبَذَلُوا الْأَمْوَالَ، وَتَرَكَوا الْأَوْطَانَ، وَهَجَرُوا الْأَهْلَ وَالْخِلَالَ، كُلُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَمَا حَصَلَ الْمُسْلِمُونَ نَصْرًا وَلَا عِزًّا فِي عَصْرِ مِنَ الْعَصُورِ، إِلَّا يَوْمَ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ، وَاشْتَرَوْا الْآخِرَةَ بِالدُّنْيَا.

هَكَذَا رَأَيْنَاهُمْ أَيَّامَ نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ وَصَلَّاحِ الدِّينِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفَتَرَاتِ الْمَضِيَّةِ فِي تَارِيخِ الْجِهَادِ فِي الْإِسْلَامِ.

وَالْيَوْمَ: أَشْبَالُ الْحِجَارَةِ، شَبَابُ حِمَاسٍ، الْمُؤْمِنُونَ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَسْتَبْسِلُونَ فِي مَقَاوِمَةِ الطَّغْيَانِ الصَّهْيُونِيِّ، لَا يِيَالُونَ بِالرِّصَاصِ يَخْتَرِقُ صُدُورَهُمْ؛ يَقَاوِمُونَ الرِّصَاصَ بِالْحَجَرِ، وَلَا يِيَالُونَ مَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، اشْتَرَوْا الْآخِرَةَ وَطَلَّقُوا الدُّنْيَا.

شَرُّ مَا يَصِيبُ الْأُمَّةَ:

مَشْكَالَةُ النَّاسِ: أَنَّ الدُّنْيَا غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ بَيَّنَّ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ شَرَّ مَا يَصِيبُ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَيُوْهِنُ عِزَّتِهَا وَقُوَّتَهَا وَيُضْعِفُهَا أَمَامَ عَدُوِّهَا أَمْرَانِ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؛ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «وَلِيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلِيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ» رَغْمَ أَنَّكُمْ كَثْرَةُ كَغَثَاءِ السَّيْلِ.

قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟

قال: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(١).

(١) سبق تخريجه ص ٤٢.

حينما ينفُض النَّاسُ أيديهم من الدنيا، حينما يُطْلَقُونَهَا ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ فِيهَا، كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَيَّتَهَا الدُّنْيَا، قَدْ طَلَّقْتُكَ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ فِيهَا؛ عَمْرُكَ قَصِيرٌ، وَعَيْشُكَ حَقِيرٌ، وَزَادَكَ قَلِيلٌ، آهٍ مِنْ قَلَّةِ الزَّادِ، وَبُعْدِ السَّفَرِ، وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ^(١).

الاستعلاء على الدنيا:

حينما يستعلي النَّاسُ عَلَى الدُّنْيَا وَمَتَاعِهَا الْأَدْنَى وَزَخَارِفِهَا، وَيُرْكَلُونَهَا بِأَقْدَامِهِمْ، وَلَا يَنْجَذِبُونَ إِلَى الطِّينِ الْأَدْنَى، وَإِنَّمَا يَصْعَدُونَ إِلَى الْأَفْقِ الْأَعْلَى، يَرْنُونَ إِلَيْهِ، وَتَشْرَبُّ أَعْنَاقُهُمْ إِلَيْهِ، حِينَما يَفْعَلُ النَّاسُ ذَلِكَ، لَا يِبَالُونَ بِطُغْيَانِ الطَّوَاعِيتِ، وَلَا بِقُوَّةِ الْجَبَابِرَةِ، يَقُولُونَ مَا قَالَ أَوْلَئِكَ السَّحَرَةُ الْمُسْتَضْعَفُونَ لِفِرْعَوْنَ الْجَبَّارِ الَّذِي قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النَّازِعَات: ٢٤]، وَقَالَ لِلنَّاسِ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [الْقَصَص: ٣٨] قَالَ هَؤُلَاءِ السَّحَرَةُ لِفِرْعَوْنَ - وَقَدْ هَدَّدَهُمْ بِالتَّصْلِيلِ وَالتَّقْتِيلِ وَالتَّعْذِيبِ: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢].

والحياة الدُّنْيَا لَا قِيَمَةَ لَهَا عِنْدَنَا بَعْدَ أَنْ آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا.

إِنَّهَا الْقُوَّةُ الَّتِي يورثها الْإِيمَانُ بِالْآخِرَةِ، وَالْيَقِينُ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ وَعِجْلُ.

البطل المجاهد عمر المختار:

هَدَّدَ الطُّلَيَّانِ الْبَطْلَ الْمَجَاهِدَ عُمَرَ الْمُخْتَارَ، فَلَمْ يُبَالِ بِتَهْدِيدِهِمْ وَقَالَ: لَنْ كَسَرَ مَدْفَعَكُمْ سِيفِي لَنْ يَكْسِرُ بِاطْلَكُمْ حَقِّي.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في مقتل علي بن أبي طالب ص ٨٩، تحقيق إبراهيم صالح، نشر دار البشائر، دمشق، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

وحينما طلبوا إليه أن يطلب منهم العفو والسماح، قال لهم: لو أطلقتكم سراحى لعدتُ إلى مُقاتِلَتِكُم من جديد.

إنَّه الإيمان بالآخرة، إنَّه اليقين، هذا هو الزُّهد الحقيقي.

الزُّهد الحقيقي: أن ينظر الإنسان إلى الآخرة والدُّنيا، فيؤثر أمر الآخرة، يُؤثر أمر الدِّين، يُؤثر ما عند الله على ما عند النَّاس، لا يُطأطئ رأسه، لا يَحْنِي ظهره، لا يمدُّ كَفَّهُ ضارِعًا إلى النَّاس.

هذا هو الَّذي أذلَّ النَّاس، أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجال.

الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر:

قيل للشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر: إنَّك تقول كلامًا فيه خطر عليك.

وذلك أيَّام الملكيّة البائدة في مصر، فقد قال الشيخ بعض تصريحات مثل قوله - وقد قترا على الأزهر في ميزانيته -: تقتير هنا وإسراف هناك! وكأنَّه يشير إلى ما ينفقه الملك في رحلاته الترفيَّهية إلى أوربا - قال: هل يحول هذا الخطر بيني وبين المسجد؟

قيل: لا.

قال: إذن لا خطر.

هؤلاء هم الَّذِينَ عرفوا للدنيا قيمتها، ولم يُعلوها فوق قدرها.

قيمة الدنيا:

نحن في حاجة إلى أناس ينظرون إلى الدُّنيا على أنَّها طريق إلى الآخرة، دار ممرٍّ وليست دار مقرٍّ، متاع أدنى، لعب ولهو وتفاخر وتكاثر



في الأموال والأولاد: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ، ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُوْنُ حُطَمًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّٰهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُوْرِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

هذه هي الدنيا، وهذا هو ما وضعه القرآن من صورة لها، فينبغي أن نعيش في الدنيا ولا تعيش فينا، أن نملك الدنيا ولا تملكنا، وأن نجعل الآخرة أكبر همًّا، أن نكون من أهل الآخرة لا من عبّاد الدنيا.

اللهم اجعلنا من أهل الآخرة، ولا تجعل الدنيا أكبر همًّا ولا مبلغ علمنا، ولا تجعلنا من الخاسرين.

اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



التوكل على الله

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زال حديثنا موصولاً عن العبادات القلبية، عن أعمال القلوب، وهي أفضل الأعمال وأسمأها، وأفضل القربات وأعلاها، تحدثنا عن الورع، وتحدثنا عن الزهد، ونتحدث اليوم عن مقام آخر من مقامات الإيمان، وهو التوكل على الله تبارك وتعالى.

معنى التوكل:

التوكل عمل من أعمال القلب، أن يثق الإنسان بربه، ويتخذة وكيلاً له، يكل إليه تدبير أموره كلها، كما يكل العاجز المغلوب على أمره تدبير أموره إلى أبيه، اعتقاداً منه أن أباه أعلم منه، وأقدر على تحقيق مصلحته، وأعرف بخيره وأشفق عليه من غيره، فهو لهذا يكل إليه الأمر.

كذلك حينما يتوكل الإنسان على ربه؛ إِنَّهُ يَوْمَنَ بِأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ مِنْهُ بِمُصَالِحِهِ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

ثم هو يعتقد بقدرته تعالى على تنفيذ ما يريد، ﴿وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤].

ثم هو يثق بعنايته سبحانه ورحمته به، وبرّه به، فهو أرحم به من الأم بولدها، بل هو أبرّ به من نفسه، ولذلك يكمل أموره إليه، وهو مستمسك بحبل متين، ولاجئ إلى حصن حصين، ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

الأمر بالتوكل:

ومن هنا أمر الله رسوله في بضع آيات من القرآن الكريم بالتوكل عليه سبحانه: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]. اتَّخِذْهُ وَكِيلًا لك، واطلب إليه أمورك يدبرها أحسن من تدبيرك لنفسك، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٣].

ومن هنا كان النبي ﷺ من المتوكلين، يأخذ بالأسباب، ويشاور أصحابه، ويحاول أن يصل إلى أعلى الآراء وأرشدتها في كل أمر، ثم بعد ذلك يتوكل على الله، كما قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فضل التوكل:

وهل هناك أفضل من مقام التوكل على الله تبارك وتعالى؟ إن المتوكلين من خاصّة المؤمنين، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿نِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٨ - ٥٩]،

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، ومعنى هذا أنه إن عُدِمَ التوكل عُدِمَ الإيمان، إذا انعدم الشرط انعدم الوجود.

التوكل كفاية:

مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ فِي رِعَايَةِ اللَّهِ، وَفِي ضَمَانِ اللَّهِ تَعَالَى، وَفِي كِفَايَتِهِ، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، شَيْءٍ قَدَرًا [الطلاق: ٣]، فَهُوَ حَسْبُهُ.

قال الله تعالى في التقوى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ سَبِيلًا وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥]. وقال في التوكل: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]. هو كافي أمره، هو القائم بكل ما يحتاج إليه، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، بلى، كافٍ.

ومن هنا كان المسلمون إذا وقعوا في المضايق، وسُدَّتْ في وجوههم الأبواب، وتقطعت دونهم الأسباب، وادلهمت من حولهم الدروب: توكّلوا على الله وعَجَّلَ، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

روى البخاري عن ابن عباس، أن هذه الكلمة قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، فكان نشيده وهو في النار: حسبي الله ونعم الوكيل^(١). وقالها محمد ﷺ وأصحابه بعد غزوة أحد: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. لم يخشوا من جمع الناس ومن حشودهم وإن تكاثرت أعدادهم؛ لأنَّ حسبهم الله، قالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. فماذا كانت

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٥٦٤).

النتيجة؟ ﴿فَانْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

التوكل على الله أن تكل أمرك إلى الله ﷻ، فهو الذي يتولَّى أمرك، وييسِّر لك رزقك، وييسِّر عليك العسير، ويُهَوِّن لك الصعب، ويُقَرِّب لك البعيد، ويصنع لك ما لا تستطيع أن تصنعه لنفسك، ولا لأهلك ولا لمن حولك، فإنَّك قليل الحيلة، ضعيف القوَّة، محدود القدرة، بل حولك وقوتك وقدرتك من الله.

ولهذا إذا توكلت على الله فقد برئت من حولك وقوتك إلى حول الله تعالى وقوَّته، ورميت نفسك على باب العبوديَّة لله، تقول ما قاله الصالحون من قبلك: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

التوكل وقاية:

من توكل على الله ﷻ لا يمكن أن يلجأ إلى الحرام يمد يده إليه، لأنَّه يخاف على رزقه أن يضيع، أو يخاف على مستقبله، أو يخاف على ذريَّته من بعده، فمن أجل هذا يرتكب الحرام، ويأكل السُّحت، ويقبل الرشوة، ويتهاون في أمر دينه، ولو صحَّ يقينه، وصحَّ توكله ما مدَّ يده إلى درهم من حرام، فالمتوكل الحق لا يأكل درهماً من حرام، ولا يمدُّ يده إلى حرام؛ بل أدنى درجات التوكل: ألا تفكر في الحرام ولا تقترب منه.

التوكل قوَّة:

المتوكل إنسان قويٌّ، ليس بضعيف، ولذلك فهو يعمل ويأخذ

بالأسباب، ولكنه يعلم أن رزقه على الله، وأن رزقه مكتوب، وأن ما قُدر له سيأتي إليه، وأن أحدًا لن يأخذ شيئًا من رزقه، ولا يقدم لحظة من عمره.

الناس يخافون على أمرين: الأرزاق والآجال، والأرزاق مقسومة، والآجال معلومة، لا يستطيع أحد أن يأخذ من رزقك مثقال ذرة، ولا تستطيع أنت أن تأكل من رزقك مثقال ذرة، والأجل لا يتقدم ولا يتأخر، ولهذا من توكل على الله عرف هذين الأمرين، ولذلك يعمل ويكدح ولكن في غير ذل، لا يذل نفسه، ولا يحني رأسه، ولا يطأطي ظهره لأحد، لأنه يعلم أن الأرزاق بيد الله، فهو متوكل على الله وعجل.

كثير من الناس يذلون نفوسهم، ويخفضون رؤوسهم، ويعيشون كالعبيد عند أناس أمثالهم، يقولون: ماذا نصنع ورزقنا بأيديهم؟ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥]، إِنَّ الْأَرْزَاقَ بِيَدِ اللَّهِ وَعِجْلٌ، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]، المتوكل على الله لا يخاف على رزق، ولا يخاف على أجل.

ومن هنا نجد أصحاب الرسالات، وحملة الدعوات من الرسل والأنبياء وأتباعهم لم يبالوا بما يبذلونه في سبيل الله، لم يخافوا على رزق أن يضيع، ولا أجل أن يتقدم، هذا سر قوتهم، أعطاهم التوكل قوة.

الأنبياء والتوكل:

ولهذا حكى القرآن الكريم عن الأنبياء جميعًا أنهم كانوا في مقام التوكل على الله، نجد شيخ المرسلين نوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿يَقَوْمُ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١].

توكل على الله سبحانه، ولم يبال بما يصنعونه، لأنه يعلم أن يده في يد الله وَعَجَلٌ .

كذلك نجد هودًا عليه السلام حينما هدده قومه أن تنال منه الهتهم، وأن تصيبه بسوء فقال: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤ - ٥٦].

وهذا هو إبراهيم الذي حكا الله عنه وعمّن معه قولهم: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤]. عندما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار جاءه جبريل يقول له: ألك حاجة؟ قال: أمّا إليك فلا^(١). لي حاجة؛ ولكن ليست إليك، فأنت مخلوق مثلي، أمّا حاجتي إلى الله فلن تنقطع أبدًا.

وحينما ذهب إبراهيم بأم إسماعيل هاجر عليه السلام، ووضعهما هناك في مكة، في وادٍ غير ذي زرع، وقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، تركهم هناك وودّعهم راجعًا، فقالت له هاجر: أتركنا في هذا المكان، ولا أنيس فيه ولا جليس؟ قال: نعم. قالت: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: هو إذن لن يضيّعنا^(٢). ما دام الأمر من الله فنحن نسلّم له، وقد قيّض الله لهم من كفاهم الأمر بكفاية الله وَعَجَلٌ، إلى آخر ما نعرف في قصتهم.

وحينما قال قوم شعيب له: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَؤُكَ كَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨]. قال لهم

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤٦٧/١٨)، من طريق معتمر بن سليمان التيمي، عن بعض الصحابة موقوفًا عليهم، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

(٢) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٦٤)، عن ابن عباس.

شعيب عليه السلام: ﴿ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلِّكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٩].

وموسى عليه السلام توكل على الله وَعَلَى اللَّهِ قبل النبوة وبعد النبوة، وقال لقومه: ﴿ يَقُومُ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [يونس: ٨٤ - ٨٦]. فكل الأنبياء تراهم متوكلين على الله وَعَلَى اللَّهِ، وكان سيدهم في التوكل محمد رسول الله ﷺ.

التوكل والأسباب:

ولكن التوكل لا يعني اطّراح الأسباب، كما رُوي عن بعض الصوفية، أنّ التوكل لا يتم إلا باطّراح الأسباب من القلب ومن البدن!

أمّا اطّراحها من القلب فهذا صحيح بمعنى ألا يعتمد الإنسان على الأسباب بذاتها، وإنّما يعتمد على مسبب الأسباب قبل كل شيء، ولكن لا يطرح الأسباب؛ لأن الله سبحانه قد أقام هذا الكون على سنن وقوانين، ومن هذه السنن ربط الأسباب بمسبباتها، والمقدمات بنتائجها، فمن جدّ وجد، ومن زرع حصد، ومن عمل عملاً جنى ثمرته في الدنيا أو الآخرة، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨]، هذه سنة الله في الخلق، وهذا ما جاء به الشرع.

قال بعض الصّالحين من السلف: إنّ الاعتماد على الأسباب وحدها دون مسببها طعن في التوحيد، والإعراض عن الأسباب

بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع.^(١) لأن الشرع جاء بالأسباب، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]. حتّى في الحج قال: ﴿وَتَكَرَّذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ الثَّقَوَىٰ وَاتَّقُوا يَتَاوُلِي الْأَلْبَبِ ۖ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٧ - ١٩٨]. جاء الشرع بإثبات الأسباب في أمور الدين وأمور الدنيا، ولذلك كان ترك الأسباب يعدّ طعنًا في السنة، وقدحًا في الشرع.

كان النبي ﷺ سيّد المتوكلين، ومع هذا فإنه اتّخذ الأسباب، فلم يدخل معركة من المعارك حاسرًا بلا سيف ولا درع، ولا لبوس من لباس الحرب، وأعدّ السلاح والقوّة كما قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وأخذ حذره كما قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١]. حتّى إنّ القرآن حينما حدثنا عن صلاة الحرب أمر المسلمين أن يكونوا على حذر، وأن يكون السلاح معهم: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۚ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

يقول أولئك الغلاة من المتصوفة: إنّ التوكل يقتضي أن تدخل البادية بغير زاد، أي: تدخل الصحراء ولا زاد معك. كيف يكون هذا؟! لا يمكن أن يكون هذا دينًا يُطلب من الناس!

ومثل ذلك الدعوة إلى التفرّغ التام للعبادة، كيف هذا والمسلمون

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٥٧/١٠)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبويّة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

مأمورون أن يعمروا الأرض، كما قال الإمام الغزالي في كتابه «منهاج العابدين»^(١)؟

ولو نظرنا إلى ما فعله الرسل، والصديقون والصالحون الذين ذكرهم القرآن لرأينا أنهم جميعاً أخذوا بالأسباب المختلفة، حينما أراد الله تعالى أن يُنْجِي نوحًا عليه السلام ومن معه أمره أن يصنع السفينة، كان يمكن أن يحمله بدونها، ولكنه صنع السفينة لتكون ملاذه عند الطوفان، وملاذ الذين آمنوا معه، ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا﴾ [المؤمنون: ٢٧]، ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأعراف: ٦٤].

وحينما بعث سيدنا يعقوب عليه السلام بنيه إلى مصر ليجلبوا إليه المؤنة والتموين قال لهم: ﴿يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أُلْحِمَكُمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]. يأخذ بالأسباب، سواء خاف عليهم العين، أو خاف أن يشك الناس فيهم إذا دخلوا مجتمعين فينظرون إليهم نظرة فيها نوع من الريبة والتوجس كما ينظر رجال الأمن دائماً، وهكذا.

وحينما جاء رجل من أقصى المدينة إلى سيدنا موسى عليه السلام يقول له: ﴿إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٠ - ٢١]. لم يقل: سأبقى وليحدث ما يحدث. لا؛ بل خرج وطلب النجاة لنفسه.

(١) منهاج العابدين ص ١٩٧ - ١٩٨، تحقيق محمود مصطفى حلاوي، نشر مؤسسة الرسالة، ط١،

وحينما عاد بأهله وكان الجو بردًا شديدًا، ﴿ءَأَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩].

وبعد ذلك حينما كان يبحث عن العبد الصالح الذي أمره الله أن يتعلّم منه بعض ما لم يعلمه أخذ معه الزاد، وقال لغلامه: ﴿ءَأَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]. لم يذهب بلا غداء ولا زاد، هذا هو شأن الأنبياء، وشأن رسول الله ﷺ وشأن أصحابه الذين كان منهم الزُّرَّاع والتُّجَّار والصُّنَّاع، لم يطلب منهم النبي ﷺ أن يتركوا حرفهم، بل أقرهم على حالهم، فالأنصار يزرعون، والمهاجرون يتاجرون، وكلّ يسعى على رزقه، وهذا عمر رضي الله عنه يقول عن حديث لم يسمعه: ألّهاني عنه الصفق بالأسواق^(١). أي: التبايع والتجارة بالأسواق.

وعندما خفف الله تعالى عن المسلمين قيام الليل في مكة قال: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ ۚ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۚ وَآخَرُونَ يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَأَقْرَأُوا مَا تَشَاءُونَ﴾ [المزمل: ٢٠]. هذا هو ما جاء به الإسلام.

حينما وجد عمر رضي الله عنه جماعة يقبعون في المسجد بعد صلاة الجمعة سألهم: مَنْ أَنْتُمْ؟ قالوا: متوكلون على الله. فعلاهم بدّرتهم وقال: لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، وقد علّم أنّ السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضّة، إنّما يرزق الله النّاس بعضهم ببعض، أمّا سمعتم قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]^(٢). هذا هو الفقه الحقيقي، وهو الذي عليه أهل البصائر من الصوفيّة الزهّاد، الذين كانوا يعملون ويطلبون الرزق.

(١) رواه البخاري في الاعتصام (٧٣٥٣).

(٢) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٦٢/٢).

حينما ذهب شقيق البلخي مودعًا شيخه إبراهيم بن أدهم ليتاجر في أرض الله، ثمَّ وجده قد رجع بعد أيام، قال: ما الذي أعادك؟ قال: رأيت عجبًا. قال: وماذا رأيت؟ قال: رأيت طائرًا جريحًا كسيحًا في خيمة من الخيمات، فقلت: مَنْ الذي يُطعم هذا الطائر الكسيح؟ وأخذت أراقبه فرأيت طائرًا آخر يأتي إليه كل فترة بالطعام ويدعه له، فقلت: إِنَّ الذي أطعم هذا الطائر الجريح الكسيح من حيث لا يحتسب قادر على أن يرزقني، وعدت. فقال له: يا فقيه؛ وَلِمَ رجوت لنفسك أن تكون الطائر الجريح الكسيح الذي ينتظر الفتات من غيره، ولا تكون أنت الطائر الآخر الذي يُطعم الجريح والكسيح؟! أما علمت أَنَّ اليد العليا خير من اليد السفلى؟ قال: بلى، أنت أستاذنا يا أبا إسحاق. وقام فعانقه، وعاد لِتَوَّه ليضرب في الأرض يبتغي من فضل الله^(١). هذا هو الفقه السليم، فلا بدَّ من الأخذ بالأسباب.

ونحن المسلمون لا يمكن أن تكون لنا دنيا نستظل بها؛ إذا لم نكدح ونسعى في الأرض حتَّى نتبوأ مكانتنا تحت الشمس كما كان أسلافنا.

إذا راجت مثل هذه الأفكار فإنها تقعد الكثيرين من المتدينين، ثمَّ هي تسيء إلى صورة الإسلام، ويتخذ بعض النَّاس منها حجة على أنَّ التدين قعود وبطالة، وهذا للأسف موجود في بعض الكتب، وهناك أبيات ينشدونها تقول:

جَرَى قَلَمُ الْقَضَاءِ بِمَا يَكُونُ فَسَيَّانِ التَّحَرُّكِ وَالسُّكُونُ
جَنُونَ مِنْكَ أَنْ تَسْعَى لِرِزْقٍ وَيُرْزَقُ فِي غَشَاوَتِهِ الْجَنِينُ^(٢)

(١) المجالسة وجواهر العلم (٤١/٨)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.

(٢) القائل أبو الفرج بن هندو، كما في خاص الخاص للثعالبي ص ٧٤، تحقيق حسن الأمين، نشر دار مكتبة الحياة - بيروت.

وهذا سوء فهم، فالجنين يرزق في غشاوته لأنّه لا يستطيع السّعي إلى العمل، فلذلك كفاه الله ﷻ، وأوصل رزقه إليه وهو في بطن أمه، فإذا نزل لا يستطيع السّعي أيضًا فليس له سنّ تقطع، ولا يد تبطش، ولا قدم تسعى، فأجرى الله له عرقين في صدر أمه يجريان لبنا خالصًا سائغًا دافئًا في الشتاء، باردًا في الصيف.

أمّا أنت أيّها الإنسان الذي أُعطيت القدرة، وأُعطيت العقل، وسُخّر لك ما في السماوات وما في الأرض؛ فلماذا لا تسعى إلى رزقك؟ هذه الأفكار لا ينبغي أن نقبلها!

إنّ التوكل الحقيقي هو أن تأخذ بالأسباب، ثمّ تعتمد على رب الأسباب، خذ بالأسباب قدر ما تستطيع ولكن كن على يقين بأنّ الأسباب وحدها قد لا تنفع، قد تسعى كثيرًا ولا تصل إلى ما تريد، قد تقف عوائق كثيرة في طريقك؛ فإنّ الله تعالى إذا أراد أمرًا هيأ له الأسباب، وأزال من طريقه الموانع، فهذه لله ﷻ، ولذلك كن دائمًا مع الله؛ ليكون الله تعالى معك.

الأخذ بالأسباب وترك النتائج لله سبحانه:

هذا ما فعله الأنبياء جميعًا أخذوا بالأسباب ثمّ تركوا النتائج لله ﷻ، عندما يقع الإنسان فيما لا حيلة له فيه، ولا قدرة له عليه، هنالك يلجأ إلى ربه، كما فعل إبراهيم ﷺ، قال لجبريل: أمّا إليك فلا^(١). وظلّ يقول: حسبي الله ونعم الوكيل. فماذا كانت النتيجة؟ حوّل الله النار إلى روح ورياحين، وقال لها: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

(١) سبق تخريجه ص ٢٧٥.

وفعل موسى ﷺ ما يستطيعه حينما علم أنَّ فرعون يريد له الشرَّ ولقومه،
فهاجر بقومه خارجاً من ساحة فرعون، ولكن فرعون وجنوده لم يدعوه، قالوا:
﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَايُطُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٥٤ - ٥٦].

سار موسى حتَّى وصل إلى البحر الأحمر، إلى خليج السويس،
ماذا يصنع؟ البحر من أمامه، والعدو من خلفه، ولا مهرب له،
﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ [الشعراء: ٦٠]، ولذلك قال قوم موسى له: ﴿إِنَّا
لَمَذْرُكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]. أدركنا القوم لا محالة، ولا مفر لنا ولا نجاة،
ولكن موسى ﷺ كان متوكلاً على ربه، واثقاً بما عند الله ﷻ، فكان
جوابه: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]. سيهديني إلى الحل، إلى
مخرج، فهو مستوثق ومتأكد وموقن أنَّ الله سيهديه إلى حل، هنا جاء
الحل من السماء: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ
كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَزَلَفْنَا ثَمَّ الْأَخْرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ *
ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٣ - ٦٦]. هكذا يأخذ المسلم بالأسباب، ثم
يدع الأمر لله.

الأنبياء يقتبسون من مشكاة واحدة:

وهذا ما فعله النبي ﷺ، فعندما أراد النبي ﷺ أن يهاجر فعل كل
ما يستطيع من ترتيب وحسن تدبير، ومع هذا ظل المشركون يبحثون
حتَّى أتوا إلى الغار الذي لجأ إليه واختبأ فيه، وهنا قال أبو بكر من
إشفاقه على النبي ﷺ وخوفه على مصير الدعوة: يا رسول الله، لو نظر
أحدهم تحت قدميه لرآنا. لا يتطلَّب الأمر سوى أن يطأطيء أحدهم رأسه
ليرى ما في داخل الغار، فماذا كان جواب رسول الله ﷺ، قال في ثقة
المؤمن وإيمان الواثق المتوكل، وكان من أسمائه في التوراة المتوكل:

«يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن؛ إِنَّ الله معنا»^(١). وفعلًا كان الله معهم، كما كان مع موسى من قبل.

وانظروا كيف يقبس الأنبياء من مشكاة واحدة؟ موسى ﷺ يقول: ﴿إِنَّ مَعَ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [الشعراء: ٦٢]. ومحمد ﷺ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. هذا هو التوكل الحقيقي، ولذلك أنزل الله سكينته عليه، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

التوكل يعطي لصاحبه قوة أمام طواغيت الأرض، لا يقف موقف الضعف؛ كما فعل سحرة فرعون، حينما توعدهم فرعون بالصلب والقطع وإزهاق النفس: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢]. فالتوكل على الله في غاية القوة.

حينما هدد الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي سعيد بن جبير بالموت قال له بما يشبه السخرية: لو علمت أَنَّ الموت والحياة بيدك ما عبدت إلهاً غيرك^(٢). فالتوكل على الله يأتي بقوة النفس.

التوكل وسكينة النفس:

والتوكل على الله يأتي بسكينة النفس، إذا شعر الناس بالخوف والاضطراب شعر المتوكل على الله بالسكينة والأمن، منذ سنوات دخلت

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦١٥)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٠٠٩)، عن البراء بن عازب.

(٢) ذكره النسفي في التفسير (٢٨٣/٣)، تحقيق يوسف علي بديوي، نشر دار الكلم الطيب - بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

أحد الجوامع فوجدت بيتين من الشعر مكتوبين فأعجباني فحفظتهما،
يقول الشاعر:

فبحقّه لأُسَلِّمَنَّ بِأَمْرِهِ فِي كُلِّ نَازِلَةٍ وَضِيقِ خِنَاقِ
موسى وإبراهيمَ لَمَّا سَلِمَا سَلِمَا مِنَ الْإِغْرَاقِ وَالْإِخْرَاقِ

فسلّم تسلم، وفوض أمرك إلى الله كما قال مؤمن آل فرعون:
﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ
بَالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤]. فكانت النتيجة: ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا
وَخَاقَ بَنِي إِسْرَافِيلَ فَفَرَّغْنَا لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ [غافر: ٤٥].

التوكل على الله مطلوب لكل المؤمنين في كل الأحوال، والنبى ﷺ يقول: «لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خماصًا، وتروح بطانًا»^(١). وفي هذا إشارة إلى أنه لم يضمن لها أن تعود ممتلئة البطون عند الرجوع في المساء إلا بعد أن غدت في الصباح خماصًا، وهي التي تكفيها الحبة والحبтан، فكيف بالناس؟

لا بد من السعي والعمل، ثم بعد ذلك وقبله أن يثق بالله وَجَّكَ ويعتمد عليه، وقد روي في بعض الآثار: مَنْ سَرَّه أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ، وَمَنْ سَرَّه أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ سَرَّه أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِمَّا فِي يَدَيْهِ^(٢). وهذا ما كان عليه سلف الأمة.

(١) رواه أحمد (٢٠٥)، وقال مخرّجوه: إسناده قوي. والترمذي (٢٣٤٤)، وقال: حسن صحيح.

وابن ماجه (٤١٦٤)، كلاهما في الزهد، عن عمر.

(٢) رواه الحاكم في الأدب (٢٧٠/٤)، وسكت عنه، وتعقبه بقوله: فيه هشام بن زياد، وهو متروك، ومحمد بن معاوية كذبه الدارقطني، فبطل الحديث. وحسبه أن يكون من كلام بعض السلف.



وهذا ما نريده في عصرنا هذا للناس: أن يثقوا بما في يد الله، ألا يذلوا أنفسهم لأحد، أن يعلموا أن الملك لله، وأن الأمر كله لله، حتى يعزّهم الله بعد الذلّة، ويكثرهم بعد القلة، ويقويهم من ضعف، ويؤمنهم من خوف، وينصرهم على عدوهم: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *





الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

العبادات القلبية:

لَا زِلْنَا نَتَحَدَّثُ عَنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ، عَنْ الْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ الَّتِي يَغْفُلُهَا الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَهْتَمُّونَ إِلَّا بِالْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ.

تَحَدَّثْنَا عَنِ الْوَرَعِ، وَتَحَدَّثْنَا عَنِ الزُّهْدِ، وَتَحَدَّثْنَا عَنِ التَّوَكُّلِ، وَكُلُّهَا مِنْ مَقَامَاتِ الدِّينِ، وَمِنْ أَبْوَابِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَمِنْ طَاعَاتِ الْقُلُوبِ.

وَنَتَحَدَّثُ الْيَوْمَ عَنِ الشُّكْرِ، شُكْرَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ.

فضل منزلة الشكر:

وَاللَّهُ ﷻ أَمَرَ بِالشُّكْرِ، وَأَثْنَى عَلَى أَهْلِهِ، وَجَعَلَهُ مِنْ أَخْصَصِ أَوْصَافِ عِبَادِهِ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَالصَّالِحِينَ، وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ شَاكِرٌ وَشَاكُورٌ.

يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزُّمَرُ: ٦٦]، وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]،

﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَدِيكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤]، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

الشكر من أخصّ أوصاف الصالحين:

وصف الله نوحًا عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، ومدح خليله فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿[النحل: ١٢٠، ١٢١]، ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَاهُ﴾ فوصفه بالشكر.

الشكر من أخصّ أوصاف عباد الله الصالحين.

قَلَّةُ الشَّاكِرِينَ فِي الْخُلُقِ:

ولعلو رتبة الشكر قال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] الذي يعرف قيمة النعمة، ويعرف فضل المنعم، ويؤدّي حقّه.

وعرف ذلك إبليس اللعين، فقال: ﴿فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قالوا: هو طريق الشكر، ﴿ثُمَّ لَا تَنبَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

وقد صدق ظنّ إبليس، فأكثر النَّاس لا يشكرون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

أركان الشُّكْرِ:

الشكر مقامٌ من مقامات الدين، وبابٌ من أبواب الإيمان، والشكر له أركان ثلاثة:

١ - عمل بالقلب.

٢ - وقول باللسان.

٣ - وحركة بالجوارح والأركان.

شكر القلب:

أَوَّلُ شَيْءٍ: شكر القلب، ولهذا حينما نزلت آية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤] قالوا: فأَيُّ المال نَتَّخِذُ يا رسول الله؟ قال: «لِيَتَّخِذَ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا»^(١).

فأصل الشكر في القلب، عملٌ قلبي، أن تعترف من قرارة نفسك وسويداء قلبك بقيمة النعمة، وتعترف بفضل مَنْ أنعم بها عليك.

شكر الله: أن يكون لك قلبٌ شاكر، وأن تعرف أن كلَّ ما بك من نِعَمٍ فَإِنَّمَا مَصْدَرُهُ اللَّهُ وَجَلَّ، ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

أَوَّلُ مَا يَنْبَغِي عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَهُ: أَنَّ نِعَمَ اللَّهِ وَجَلَّ عَلَيْهِ لَا تَعُدُّ وَلَا تُحْصَى، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

معرفة قدر النعم:

من آفات هذا العصر: أَنَّ النَّاسَ لَا يَقْدِرُونَ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى حَقَّ قَدَرِهَا؛ كَانَ آبَاؤُنَا وَأَجْدَادُنَا مِنْ قَبْلُنَا يَعْرِفُونَ النِّعْمَةَ حَتَّى فِي اللَّقْمَةِ الْخَشْنَةِ،

(١) رواه أحمد (٢٢٤٣٧)، وقال مخرَّجوه: حسن لغيره. والترمذي في التفسير (٣٠٩٤)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في النكاح (١٨٥٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٥٠٥)، عن ثوبان.

وحتى في شربة الماء، يأكل أحدهم الطعام القليل، والخبز الخشن، ويشرب من القلّة أو من القربة، ثمّ يقول: الحمد لله، اللهمّ أدّمها نعمة واحفظها من الزوال!

النّاس الآن تفيض عليهم النّعم فيضاً، يعيشون في النّعم من رؤوسهم إلى أخمص أقدامهم، ولا يحمدون الله تبارك وتعالى، لا يعرفون للنّعم قدرها، استسهلوا هذه النّعم، جاءتهم دون أن يكدحوا أو يتعبوا في تحصيلها.

انظروا هنا: أصل النّعم التي يعيش فيها النّاس في هذه البلاد «النفط، البترول» من الذي صنع هذا البترول؟ هل أنتم خلقتموه وأنشأتموه؟ لا والله؛ الله هو الذي صنعه في باطن الأرض، وأخرجه لكم نعمةً سابغةً لم تكدحوا فيها بيمين، ولم تعرقوا فيها بجبين، هل يقول النّاس: الحمد لله؟ لا.

نحن في عصر قلّ فيه الشّاكرون، كثر فيه الكافرون بنعمة الله وعجل، ما عاد النّاس يقدّرون النّعمة أبداً.

أول الشكر: أن تعترف بقدر النّعمة، وكثير من النّاس لا يعرف النّعمة إلّا إذا زالت عنه.

كم من النّعم يحملها الإنسان؟

نعم كثيرة.

دخل أحد الوعّاظ على أحد الخلفاء، فقال له: عظمي.

فقال: يا أمير المؤمنين، هب أنك كنت في صحراء فعطشت، ولم تجد ماء إلا عند رجل كان معه كأس من ماء، فقال لك: أعطني نصف ملكك، وأعطيك هذه الكأس لترتوي بها.

فقال: أعطيه نصف ملكي ولا أموت.

قال: هب أن هذا الماء حُصر فيك، ولم تستطع أن تخرجه، فجاءك طبيب وقال لك: أعطني نصف ملكك الباقي هذا وأنا أداويك ليخرج البول منك.

فقال: أعطيه.

قال: فانظر ملكًا لا يساوي شربة وبولة^(١)!

نحن نشرب الماء باردًا زُلًّا، ولكننا لا نعرف قيمته، لا نعرف قيمة ما عندنا من نعم.

من نعم الله عليك: أنه خلقك إنسانًا:

النعم كثيرة وكثيرة جدًا.

أول نعمة أنعمها الله تعالى: أنه خلقك، ولم تكن شيئًا مذكورًا إذ أخرجك من العدم إلى حيّز الوجود.

ثم إنه خلقك بشرًا سويًا، لم يخلقك حيوانًا أعجم، لم يخلقك تيسًا ولا حمارًا ولا بقرة ولا ثورًا، خلقك إنسانًا، كرّمك بهذه الإنسانية.

(١) رواه ابن جرير في تاريخه (٣٥٧/٨، ٣٥٨)، وهي قصة حدثت بين هارون الرشيد وابن السماك.

ومعنى أنه خلقك إنساناً: أنه علّمك البيان، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣، ٤]، البيان النطقي باللسان: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨، ٩]، والبيان الخطي بالقلم: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٤، ٥].

معنى أنه خلقك إنساناً: أنه ميّزك بالعقل، أعطاك هذا العقل الذي تُسخر به الأشياء من حولك، وتتميّز به على الحيوانات التي هي أكبر منك حجماً وأشدّ منك قوّة.

هذا كله من فضل الله تعالى ومن نعمة عليك.

من نعم الله عليك: تسخير الكون لمنفعتك:

سخر لك هذا الكون بما فيه، جعله في خدمتك؛ السماء بشمسها وقمرها ونجومها في خدمتك؛ الأرض بسهولها وجبالها ووديانها وبحارها وأنهارها، ونباتها وأشجارها، وحيوانها، كل هذه في خدمتك: ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمَكُمُ﴾ [النّازعات: ٣٣]، ﴿وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣ - ٣٥].

حينما تزرع الحَبَّ، من علم الحَبّة أن تأخذ غذاءها من التربة، وأن تمتص ما تحتاج إليه دون ما لا تحتاج إليه؟ من سخر لها القوانين والسُنن حتّى تنمو وتنبت وتزهو وتورق وتثمر؟ من غير الله ﷻ؟

من الذي ذلّل لك الأنعام لتخدمك وهي صحيحة، وتأكلها وهي ذبيحة، وتنتفع بلبنها ودرّها ولحمها؟ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١ - ٧٣].

هذا الكون كله مسخر لك: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الباقية: ١٣]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].
الله هو الذي سخر لك هذه النعم.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾، لكم، الله لا ينتفع بشيء من ذلك، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآبِّينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤].

كم من نعم الله ﷻ علينا؟

من نعم الله عليك: أن هداك للإسلام:

وأعظم هذه النعم كلها: أن هداك للإسلام، أن جعلك مسلمًا تشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، لا تعبد شمسًا ولا قمرًا، لا تعبد جنًا ولا بشرًا، لا تعبد ثورًا ولا بقرة، لا تعبد وثنًا ولا حجرًا، إنما تعبد الله وحده.

أعظم النعم: نعمة الهداية للإسلام، ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ * فضلًا من الله ونعمةً والله أعلم بحكيم * [الحجرات: ٧، ٨].

أعظم النعم: أن بعث لك محمدًا خير نبي أرسل، وأنزل عليك القرآن

خير كتاب أنزل، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥٢].

مقابل هذا الإرسال لمحمد ﷺ - يتلو ويعلم ويذكر - اذكروا الله ﷻ واشكروه، ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤]، ﴿وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُٗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

هذه نعم الله ﷻ، فعلى الإنسان أن يعرف نعم الله في كل ذرة من الذرات في كل شيء حوله. **نِعْمٌ لَا تَعْدُ وَلَا تُحْصَى:**

لو نظرت إلى نفسك، إلى جسدك، تجد أنك تحمل من النعم ما لا يعد ولا يحصى.

لو أن إنساناً قال لك: بعني إحدى عينيك وأعطيك مائة ألف، أو خمسمائة ألف، أو مليوناً، أو مليونين، هل تباع إحدى عينيك ببعض الملايين؟ هل تباع العينين بعدة ملايين؟

عيناك وحدهما تساويان ملايين، فكيف بسمعك وشمك، وحواسك كلها، يديك، رجلك، كل عضو من أعضائك كم يساوي؟ الإنسان إذا أصيب في كُليته ماذا يجري عليه؟ كم يناله من الأذى بسبب الغسيل والكُلية المزروعة؟

الله ﷻ أعطاك بدل الكُلية كُليتين، وقد قال الأطباء: يستطيع الإنسان أن يعيش بسدس كُلية، ولكن الله زودك بكليتين ليكون لديك رصيد احتياطي لصحتك.

كم إذن قيمة هذه الأجهزة والأعضاء التي تملكها؟ بكم مليون تُقدِّرها؟

أنت تحمل ملايين وأنت لا تدري قيمتها، وتظنُّ أنَّه ليس عندك نعمة من الله ﷻ، وكثير من النَّاس يشكون، ومهما أوتوا فهم لا يشبعون ولا يشكرون، كجهنم يقال لها: هل امتلأت؟ تقول دائماً: هل من مزيد؟

أول ما ينبغي أن تعرفه هنا: أن تقدِّر قيمة النعم التي تحيط بك من كلِّ جانب، عن يمين وشمال، ومن فوق ومن تحت، ومن بين يديك ومن خلفك، ينبغي أن تعرف هذه النعم، وتعرف أنَّها من الله تبارك وتعالى، هو الذي أعطى، هو المعطي والمعطي وحده.

إذا خدمك إنسان أو أسدى إليك معروفاً فاشكره، هذا مشروع: «لا يشكر الله من لا يشكر النَّاس»^(١)، ولكن اشكر كذلك مَنْ وفقَّ هذا الإنسان ويسره ليؤدي لك هذه الخدمة أو يُسدي إليك هذا المعروف، لماذا تنسى صاحب الفضل الأول؟

لا تنسَ الله ﷻ.

ينبغي أن تعترف بنعمة الله، وتعترف بفضل المنعم، وتفرح بما آتاك الله ﷻ.

روح الشكر:

شكر القلب هو روح الشكر، وقد قيل: إنَّ داود ﷺ قال: يا ربَّ كيف أشكرك وشكري نفسه نعمة منك تستوجب منِّي شكراً جديداً؟!

(١) رواه أحمد (١٠٣٧٧)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨١١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٥٤)، وصحَّحه. عن أبي هريرة.

فقال: إذا عرفت ذلك يا داود، فقد شكرتني^(١).

وقيل: إن موسى قال: إلهي كيف أشكرك، وأصغر نعمة وضعتها عندي من نعمك، لا يجازي بها عملي كله. فأوحى الله إليه: أن يا موسى الآن شكرتني^(٢).

لذلك يقول الشاعر الصالح:

لك الحمد مَوْلَانَا عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ ومن جملة النِّعمَاءِ قَوْلِي لَكَ الْحَمْدُ
إذا كان شكري نعمةَ اللَّهِ نِعْمَةً عليَّ له في مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فكيف بلوغ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ وإن طالت الآمَادُ وَاتَّسَعَ الْعُمْرُ^(٣)

شكر اللسان:

الاعتراف بفضل الله ﷻ هذا هو شكر القلب، ثم يأتي عمل اللسان.

عمل اللسان: أن يثني العبد على الله ﷻ بما هو أهله، وآية ذلك أن يقول دائماً: الحمد لله.

مما ورثناه عن المسلمين طوال العصور أن المسلم إذا سُئِلَ عن حاله يقول: الحمد لله، وإن كان فيه ما فيه.

هذا من موارثنا ومن قِيمِنَا؛ فالمسلم دائماً يستشعر بقلبه ويقول بلسانه: الحمد لله على كلِّ حال.

(١) مدارج السالكين (٢/٢٣٥).

(٢) رواه أحمد في الزُّهد (٣٤٩)، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. وابن أبي الدنيا في الشكر (٦) نشر المكتب الإسلامي، الكويت، ط ٣، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٣) هو محمود الوَرَّاق. انظر: الشكر لابن أبي الدنيا ص ٣١.

الشكر في السرّاء والضراء:

كان النَّبِيُّ ﷺ إذا رأى ما يحب قال: «الحمد لله الَّذِي بنعمته تتمّ الصالحات»، وإذا رأى ما يكره قال: «الحمد لله على كلّ حال»^(١).

يعني: على السّرّاء وعلى الضّراء؛ الإنسان يحمد الله على هذا وهذا؛ لأنّه لا يعرف أين يكون الخير: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وكما يقول ابن عطاء الله: «متى أعطاك أشهدك برّه، ومتى منعك أشهدك قهره، فهو في كلّ ذلك متعرّف إليك، ومقبل بوجود لطفه عليك»^(٢). إمّا أَنْ يُشْهَدَكَ برّه، وإمّا أَنْ يُشْهَدَكَ قهره، فتتعرّف على البرّ الرحيم، أو تتعرّف على القهار العظيم.

حَمْدُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ:

احمد الله دائماً؛ علّمنا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نحمد الله على كلّ حال:

إذا استيقظنا من نومنا نقول: «الحمد لله الَّذِي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النُّشُور»^(٣).

إذا فرغنا من طعامنا نقول: «الحمد لله الَّذِي كفانا وأروانا غير مكفٍّ ولا مكفور»^(٤).

(١) رواه ابن ماجه في الأدب (٣٨٠٣)، والحاكم في الدعاء (٤٩٩/١)، وصحّح إسناده، وسكت

عنه الذهبي، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٢٦٥)، عن عائشة.

(٢) حكّم ابن عطاء الله بشرح العارف بالله الشيخ زروق ص ٢٢١.

(٣) رواه البخاري في الدعوات (٦٣١٢)، عن حذيفة.

(٤) رواه البخاري في الأُطعمة (٥٤٥٩)، عن أبي أُمّة.

إذا شربنا الشراب البارد نقول: «الحمد الذي جعله عذبا فُرَاتًا برحمته ولم يجعله ملحا أجابا بذنوبنا»^(١).

إذا ركبنا الدابة أو الطائرة أو السيارة نقول: «الحمد لله، ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿[الرَّحْف: ١٣، ١٤]﴾»^(٢).

احمد الله دائماً، كن من الحمّادين؛ من أوصاف المؤمنين: ﴿التَّائِبُونَ الْعَبِدُونَ الْحَمْدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] الذين يحمدون الله على كل حال، فهذا هو المطلوب من المسلم ليقوم بحق الشكر.

على المسلم أن يحمد الله بلسانه؛ وقد جاء في الحديث الصحيح: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان»^(٣).

كلمة «الحمد» في القرآن الكريم:

الله ﷻ بدأ كتابه بالحمد؛ فأول آية في القرآن بعد البسملة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

وجعل هذه الكلمة - كلمة الحمد - مُفْتَتِحَ كلام أهل الجنة؛ فعندما يدخل أهل الجنة الجنة يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ، وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤]، كما جعلها آخر دعواهم: ﴿وَعَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

(١) رواه الطبراني في الدعاء (٨٩٩)، وأبو نعيم في الحلية (١٣٧/٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٤٧٩)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٢٠٢)، عن أبي جعفر مرسلاً.

(٢) رواه مسلم في الحج (١٣٤٢)، وأحمد (٦٣١١)، عن ابن عمر.

(٣) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، وأحمد (٢٢٩٠٢)، عن أبي مالك الأشعري.

شكر الجوارح والأركان:

ثمَّ بعد ذلك: الشكر بكيان الإنسان كلّهُ، بجوارحه وأركانه وبدنه؛ عليه أن يستعمل بدنه، ويستعمل جوارحه في طاعة الله، ويستخدم نِعَمَ الله تعالى في طاعته والقيام بحقّه، ولا يستخدم نِعَمه في معاصيه.

لا يجوز أن يُنعم الله تعالى عليك بنعمة فتستخدم نعمة الله في معصية الله.

التحذير من استخدام النعم في معصية الله:

الله آتاك مالا، فلا يجوز أن تستخدم هذا المال فيما يغضب الله، في فعل الفجور وشرب الخمر، والذهاب هنا وهناك حيث مسارح المعاصي في بلاد الكفر وغيرها.

آتاك الله العقل، فلا تستخدم عقلك في إيذاء النَّاس، ولا في طريق الشرّ.

آتاك الله المنصب، فلا تستخدم نعمة المنصب في جلب المال الحرام، وفي الإثراء بغير حقّ عن طريق الرشوة، التي يسئونها: عمولة، ولا تؤلّ المساعدين لك من محاسيبك، بل من الأتقياء الأمناء.

آتاك الله السيّارة هذه التي قرّبت البعيد - بعد أن كنت تركب الحمار أو تركب الناقة - لم تصنع فيها مسمارًا للأسف، فاستخدمها في طاعة الله، لا تستخدمها في الذهاب إلى حيث حرّم الله.

أعطيت سفينة - أو يختًا أو قاربًا - فلا تستخدمها مع أصحابك في الذهاب إلى نزوات يُحلّ فيها الحرام، وتُرتكب فيها الموبقات.

أعطاك الله هذا التلفزيون، فلا تستخدمه إلا في طاعة الله، لا تستخدمه كما يفعل النَّاس الآن - الَّذِينَ يركبون الأطباق أو ما يسمُّونه: «الدش» وهذه الأشياء - ليحبوا القنوات من أوربا وغيرها، حيث تعرض المشاهد الفاضحة، والمناظر التي يندى من ورائها الجبين، ولا يستحيي النَّاس - وعندهم الزوجات والبنات والشَّبَّان والأولاد الصغار - أن يحبوا هذه الأشياء وهذه المحطَّات والقنوات التي تُروِّج الفساد وتنقُّ الباطل وتشيع الفاحشة وتذيع الانحلال.

اشكروا نعمة الله في التليفون، هذا الذي يجعلك وأنت في بيتك تكلم العالم في المشرق والمغرب، لا تستخدموه - أيُّها النَّاس وأيُّها الشبان - في معاكسة الفتيات والنِّساء، وفي المعاصي التي تُسخط الله عزَّ وجلَّ.

كم من أناس قلبوا نعمة الله إلى أدوات لمعصية الله، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

إنَّ الخطر كلَّ الخطر: أن يستخدم النَّاس نِعَمَ الله في معصية الله، وبذلك يكفرون بالنعمة فتزول عنهم.

قانون الله في شكر النعمة وكفرانها:

إنَّ الله قد وضع قانونًا: بالشكر تحفظوا النعمة وتزيّدوا بها، وبالكفر - كفر النعمة - تزول النعمة ولا تبقى؛ يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

ذكر لنا القرآن قصّة سبأ وأهل سبأ، وقد أنعم الله عليهم بأرض طيبة: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]، ولكنهم لم يقوموا بحق النعمة، ﴿فَاعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٦]، لماذا؟ ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ﴾ [سبأ: ١٧].

إنّ الله لا ينزل نعمة على الناس ابتداء، إلّا إذا انصرفوا عن الصراط، إلّا إذا كفروا بالنعمة، إلّا إذا لم يعرفوا قدر النعمة وقدر منعمها.

هل أدينا شكر نعمة الله تعالى؟

ما أعظم نعمة الله علينا نحن المسلمين، نعمة كثيرة ولكن هل أدينا شكرها؟ هل قلنا: نحمد الله على هذه النعمة؟

سليمان بن داود عليهما السلام آتاه الله النعمة فشكرها وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

ولما تكلمت النملة وفهم كلامها: ﴿فَنَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

اعتبر النعمة عليه نعمة، والنعمة على والديه نعمة - أيضًا، كما أنّ النعمة على الأولاد نعمة؛ إذا رزقك الله أولادًا نجباء فهم نعمة ينبغي أن تشكر الله ﷻ عليها.

نعمة الله كثيرة.

وحينما جاء سليمان عرش بلقيس من اليمن قبل أن يردد إليه طرفه قال: ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

منفعة الشكر عائدة إلينا في الدنيا والآخرة:

إذا شكرنا الله فمصلحة الشكر عائدة إلينا، عائدة إلينا في الدنيا قبل الآخرة: في الدنيا: حفظ للنعمة وزيادة فيها، كما قال الشاعر:

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تُزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله فشكر الإله يزيل النقم^(١)

وفي الآخرة: إذا شكرنا الله ﷻ أمنا من العذاب، يقول الله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

الله سمى نفسه: «شاكراً» و«شكوراً»، ويريد منا أن يكون كل منا شاكراً وشكوراً، وما أجدرنا أن نشكر نعم الله تبارك وتعالى، وأن نتأمل في هذه النعم وهي - والله - كثيرة وكثيرة ووفيرة.

دخل أحدهم على بعض الصالحين وقد نال المرض منه كل منال، ولم يبق في جسده قطعة إلا وفيها ألم، وهو يقول: الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلى به كثيراً من خلقه.

فقال: يا هذا، وماذا عافاك منه بعدما أنت فيه؟ كل جسمك أوجاع وآلام وتقول: «الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلى به كثيراً من خلقه»!

(١) ذكره الماوردي من غير نسبة في أدب الدنيا والدين ص ٢٤٥، نشر دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.



قال: يا هذا، حسبُه أن جعل لي لسانًا يذكره وقلبًا يشكره.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من الشاكرين، وأن يُنعم علينا بالمزيد، وأن يجعلنا أهلًا لنعمته، إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

شُكر الله تبارك وتعالى يقتضي أن يشكر الإنسان أخاه الإنسان إذا قدّم إليه معروفًا، أو أسدى إليه خدمة؛ فهذا من شُكر الله تبارك وتعالى؛ ولذلك قال النَّبي ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر النَّاس»^(١).

وقد قال ﷺ: «أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ» [لقمان: ١٤]؛ فوالداك لهما فضلٌ ولهما حقٌّ بعد الله تبارك وتعالى، فقرن الله شكرهما بشكره، وهذا دليل على أن شكر العباد مطلوب.

ولهذا جاء في الحديث: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لَصَاحِبِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الشَّاءِ»^(٢).

أقلُّ ما يشكر به الإنسانُ الإنسانَ إذا لم يستطع أن يكافئه بالمثل، أن يدعو له ويثني عليه، ويقول: جزاك الله خيرًا، ومن قال: جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الشاء.

(١) سبق تخريجه ص ٢٩٤.

(٢) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٣٥)، وقال: حسن جيد غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (٩٩٣٧)، وابن حبان في الزكاة (٣٤١٣)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي. وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٦٨)، عن أسامة بن زيد.



الصبر

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

تَحَدَّثْنَا فِي الْجُمُعَةِ الْمَاضِيَةِ عَنْ مَقَامٍ مِنْ مَقَامَاتِ الدِّينِ، وَمَنْزِلٍ مِنْ
مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ، وَعَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ، وَعِبَادَةٍ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ
الْبَاطِنَةِ، ذَلِكَ هُوَ: الشُّكْرُ:

وَالْيَوْمَ نَتَحَدَّثُ عَنْ مَقَامٍ آخَرَ يَكْمُلُ الشُّكْرَ، وَهُوَ الصَّبْرُ.

الإيمان نصفان:

فَالْإِيمَانُ نِصْفَانِ: نِصْفُ شُكْرٍ، وَنِصْفُ صَبْرٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي
هَذِهِ الدُّنْيَا مَا بَيْنَ نِعْمَةٍ يُنْعِمُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا، وَبَلَاءٍ يَبْتَلِيهِ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ.

فَوَاجِبُهُ عِنْدَ النِّعْمَةِ: الشُّكْرُ، وَوَاجِبُهُ عِنْدَ الْبَلَاءِ: الصَّبْرُ.

وَلِذَلِكَ قَرَنَ الْقُرْآنُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ: الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ، فِي أَرْبَعِ آيَاتٍ مِنْ
آيَاتِهِ حِينَما قَالَ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

لَا يَنْتَفِعُ بِآيَاتِ اللَّهِ - الْآيَاتِ الْكُونِيَّةِ الْمُبْتَوَّةِ فِي هَذَا الْكُونِ، وَالْآيَاتِ

التاريخية التي يراها الإنسان في أيام الله ﷻ - إِلَّا كُلُّ صَبَّارٍ شَكُورٍ، أي:
كُلُّ مُؤْمِنٍ أَصْبَحَ الصَّبْرَ وَالشُّكْرَ خُلُقًا لَهُ.
لَا بَدَّ مِنْ شُكْرٍ، وَلَا بَدَّ مِنْ صَبْرٍ.

الصبر فضيلة دينية وضرورة دنيوية:

الصبر عُلِّقَ به خيرات الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فلا يستطيع الإنسان أن ينال
خيرًا في الدُّنْيَا وَلَا في الْآخِرَةِ إِلَّا بالصبر.
الصبر فضيلة دينية، وضرورة دنيوية.

لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْجَحَ فِي عَمَلِكَ مَا لَمْ تَتَذَرَعَ بِالصَّبْرِ.
لَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ وَلَا يَتَفَوَّقُ، إِلَّا إِذَا صَبَرَ عَلَى الْاسْتِذْكَارِ وَالْجِدِّ
وَالْمِرَاجَعَةِ.

لَا يَنْجَحُ الزَّارِعُ مَا لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الزَّرْعِ وَيَتَعَهَّدَهُ.
لَا يَنْجَحُ التَّاجِرُ مَا لَمْ يَصْبِرْ عَلَى السَّفَرِ وَالْمَشَقَّةِ.
لَا يَنْجَحُ إِنْسَانٌ فِي عَمَلِهِ إِلَّا بِالصَّبْرِ.

قال الشاعر:

الصَّبْرُ مِفْتَاحُ مَا يُرْجَى وَكُلُّ خَيْرٍ بِهِ يَكُونُ
فَاصْبِرْ وَإِنْ طَالَتِ اللَّيَالِي فَرُبَّمَا أَسْلَسَ الْحُرُونُ
وَرُبَّمَا نِلَّ بِاصْطِبَارٍ مَا قِيلَ هَيْهَاتَ مَا يَكُونُ^(١)

(١) عزاها ابن أيدمر المستعصمي إلى الإمام الشافعي في الدر الفريد (١١٢/٤)، تحقيق د. كامل سلمان الجبوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

وقال آخر:

وَقُلْ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ^(١)

هذا في أمور الدنيا، فكيف بأمور الدين؟

لا بدَّ من الصبر، ولهذا مدح الله الصبر، وأثنى عليه، وجعل جزاءه أعظم الجزاء.

كل خير لا ينال إلا بالصبر:

النصر إنما ينال بالصبر، كما قال النبي ﷺ لابن عباس: «واعلم أنَّ النصر مع الصبر»^(٢)، وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

عَلَّقَ الإِمْدَادُ عَلَى الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى.

إذا صبر الإنسان واتفق نجا من كيد أعدائه: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

لا يكون الإنسان من أهل العزم، وممن يستحقُّ أن يكون من هؤلاء الرجال، إلا بالصبر والتقوى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

(١) ينسب لعلي بن أبي طالب، انظر: الآداب الشرعية (١٧٩/٢)، نشر عالم الكتب، وغرر الخصائص ص ٤٤٢، تحقيق إبراهيم شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٢) رواه أحمد (٢٨٠٣)، وقال مخرّجوه: صحيح. والطبراني (١٢٣/١١)، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٦٨٠٦)، عن ابن عباس.

لا تُنال الجنة إلا بالصبر:

﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ] [الرعد: ٢٣، ٢٤].

ولذلك كان الصابرون دائماً مع المؤمنين الممدوحين في القرآن الكريم: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِتَّةِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَئِكَ هُمُ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]، قرن الله الصبر بالتوكل: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤٢، العنكبوت: ٥٩].

تُنال الإمامة في الدين بالصبر واليقين:

قَرَنَ اللهُ سبحانه الصبر باليقين، فقال في قوم من بني إسرائيل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

يقول ابن تيمية: إنما تُنال الإمامة في الدين بالصبر واليقين^(١).

وقال الإمام سفيان بن عيينة تعليقاً على هذه الآية: أخذوا برأس الأمر فجعلناهم رؤساء^(٢)، أي: أئمة يُقتدى بهم في الدين.

أخذوا برأس الأمر وهو الصبر، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فمن لا رأس له لا جسد له، ومن لا صبر له لا إيمان له^(٣).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٣٥٨).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/١٦٠).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٩٢٦٧).

هذه منزلة الصبر في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧].

ويكفي أن الله ﷻ جعل معيته للصابرين: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وجعل محبته للصابرين؛ فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

الصبر والصلاة:

ولهذا كان الصبر سلاحًا لا بد منه للإنسان في معركته مع الحياة، لا يستطيع أن يخوض معترك الحياة ما لم يتسلح بالصبر والصلاة: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

الصبر وجزاؤه:

فإذا صبر الإنسان فإنَّ جزاءه لا يُقدر قدره، ولا يُحصى عده؛ كلُّ جزاء هو معلوم إلا الصبر، هو غير معلوم ولا محسوب: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

جزاء الصبر أحسن الجزاء كما قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يُنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

ولأنَّ الصوم نصف الصبر كان جزاء الصائمين ما جاء في الحديث القدسي: «كلُّ عمل ابن آدم له، إلا الصَّيام فإنه لي وأنا أجزي به»^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصَّوم، عن أبي هريرة.



والصبر أنواع:

أولاً: الصبر على البلاء:

هناك الصبر على بلاء الله، على ما قضى الله على الإنسان من بلاء، فلا بد له أن يقابل البلاء بالصبر، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

يقول سيّدنا عمر في التعليق على هذه الآية: «نعم العدلان، ونعمت العلاوة»^(١).

العدلان هما الصّلات والرحمة: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾، والعلاوة هي الاهتداء: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

فضل الاسترجاع:

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾: بشّرهم الله ﷻ، وعلمهم أن يقولوا عند المصيبة: إنا لله، نحن ملك لله يتصرّف فينا كيف يشاء، وإنا إليه راجعون نجد عنده حسن المثوبة والجزاء.

إنا لله، كلنا لله، أموالنا ملك لله، أولادنا ملك لله، أنفسنا ملك لله، فإذا أخذ منا ما يملك فلا يجوز لنا أن نجزع ولا أن نسخط، بل نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(١) علّقه البخاري في الجنائز قبل الحديث (١٣٠٢)، ووصله الحاكم في التفسير (٢٧٠/٢)، وصحّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الجنائز (٦٥/٤)، وصحّح إسناده ابن حجر في تغليق التعليق (٤٧٠/٢).

وقد قال النبي ﷺ فيما رَوته أم سلمة رضي الله عنها: «ما من عبد تُصيبه مصيبة، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اؤْجُرني في مصيبتِي وأخلف لي خيراً منها؛ إلَّا أجزه الله في مصيبتِهِ، وأخلف له خيراً منها»^(١).

استرجاع أم سلمة:

سمعت ذلك أم سلمة من رسول الله ﷺ، ثم استشهد زوجها أبو سلمة، وهو من المؤمنين المهاجرين في سبيل الله، فامتثلت وقالت ما علّمها النبي ﷺ: «اللهم اؤْجُرني في مُصِيبتي وأخلف لي خيراً منها»^(٢).

وقالت في نفسها: ومن يكون خيراً من أبي سلمة؟

فكان أن عوّضها الله خيراً من أبي سلمة وهو رسول الله ﷺ، الذي جاء يخطبها، واعتذرت أولاً، ثم أقنعها النبي ﷺ، فصارت من أمهات المؤمنين وزوجات رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة.

من مظاهر الجزع والعادات المحرّمة عند المصائب:

المؤمن يسترجع، ولا يقابل المصيبة بالجزع ولا بالسخط، بل يقابلها بالصبر والرضى، لا يلطم خدّاً، ولا يشقّ جيّاً، ولا يدعو بدعوى الجاهليّة، ولا يفعل ما يفعل النّاس اليوم من إظهار الجزع، وإعلان الحداد، وتغيير الصورة، أو لبس الثوب الأسود كما تفعل النّساء في بعض البلاد، المرأة يموت أبوها أو أخوها أو ابنها فتظلّ سنةً تلبس

(١) رواه مسلم في الجنائز (٩١٨)، وأحمد (٢٦٦٣٥).

(٢) جزء من الحديث السابق.

السواد! هذا محرّم؛ لأنّه إظهار الجزع، «لا يحلُّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحدِّد على ميت فوق ثلاثة، إلّا على زوج؛ فإنّها تُحدِّد عليه أربعة أشهر وعشرًا»^(١).

بعض النَّاس يلبسون رباط العنق الأسود «الكرافطة السوداء»، وبعضهم يترك شعره لا يقصّه، أو كان غير ملتح فيترك لحيته، هذه اللحية تصبح بدعة، وتصبح حرامًا في هذه الحالة؛ لأنّه من إظهار الجزع. ومن ذلك: تنكيس الأعلام، القيام حدادًا، كلُّ هذا لا يجوز في الإسلام.

صَبْرُ واسترجاع أم سليم:

لا بدّ للنَّاس إذا أصابتهم مصيبة أن يقولوا: «إِنَّا لله وَإِنَّا إليه راجعون»، وأن يدعو بهذا الدعاء: «اللهمَّ اؤْجِرْني في مُصِيبتي وأخْلِفْني خيرًا منها». كان لأبي طلحة رضي الله عنه وزوجه أمُّ سُلَيْم (الرُّمَيْصاء): طفلٌ مريض، وجاء أبو طلحة من الخارج، فسأل زوجته عن ابنه، وكان الولد قد مات، فسجّته أمّه - غطّته بشيء - فقال: كيف حال الصبي؟

قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح، وهي تعني أنّه استراح بالموت، وهدأت نفسه فعلاً بالموت، وظنَّ الرجل أنّه قد استراح بالشفاء.

هيأت له الطعام، وتصنّعت له وتزيّن له، كما كانت تتزيّن له في الليالي السابقة، فأصاب منها، فلما فرغ قالت له: يا أبا طلحة ألا تعجب من جيراننا؟

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٢٨٠)، ومسلم في الطلاق (١٤٨٦)، عن أم حبيبة.

قال: ما بالهم؟

قالت: أنهم استعاروا عارية، فلما طلبت منهم غضبوا! وقد مكثت عندهم أيامًا.

فقال: ما كان لهم أن يفعلوا، من أعير عارية، فلا بد أن تُسترد، وإذا استردّها صاحبها ما له أن يغضب.

فقالت له: فإن الله أعارنا ابننا فلانًا ثم استردّه منا، هل تغضب؟

فاسترجع، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، تركتني بعد أن تلطخت؟!

ثم لما ذهب في الصباح إلى رسول الله ﷺ قصّ عليه القصة وما صنعت زوجته أم سليم، فقال: «لعلّ الله أن يبارك لكما في ليلتكما»^(١).

قال راوي الحديث: فلقد رأيت من أولاده تسعة كلّ منهم قد قرأ القرآن.

العاقل يصبر ويؤجر:

هكذا شأن المؤمنين؛ يقابلون بلاء الله ﷻ بالصبر والرضا، ويعلمون أنّ ما قضاه الله تعالى خيرٌ لهم، وأنّ قضاء الله نافذ صبروا أم لم يصبروا، كما قال سيّدنا علي رضي الله عنه، وقد عزّى رجلًا في ابنه، فقال: يا فلان إن تحزن، فقد استحقت منك الرحم، وإن تصبر ففي الله خَلَف من ابنك، إنَّك إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك وأنت مأثوم^(٢).

يعني: القضاء نافذ نافذ، صبرنا أو جزعنا، فلنصبر لننال الأجر ولا نجزع.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٠١)، ومسلم في الآداب (٢١٤٤)، عن أنس بن مالك.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣٩/٩).



نَعَمَ اللَّهُ فِي الْمَصِيبَةِ عِنْدَ عَمْرٍ:

بل إِنَّ المؤمن إذا نظر فيما قضاه الله تبارك وتعالى يعلم أَنَّ الخير فيه، كما قال سيّدنا عمر رضي الله عنه : ما أُصِبت بمصيبةٍ إِلَّا رأيت لله عليّ فيها ثلاث نعم:

الأولى: أَنَّها لم تكن في ديني.

الثانية: أَنَّها لم تكن أكبر منها.

الثالثة: أَنني أرجو ثواب الله تعالى عليها^(١).

أول نعمة في المصيبة: أَنَّها لم تكن في الدين:

إذا سَلِمَ الدِّينُ القَوِيمُ مِنَ الأَذَى فكلُّ أذى فيما سِوَاهُ سَلَامٌ^(٢) ومصائبُ الدُّنيا تهون، ولذلك علّمنا أن نقول في الدعاء: «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا»^(٣).

وسيدنا يوسف حينما خيّر بين مصيبتين: مصيبة في دينه ومصيبة في دنياه، فضّل مصيبة الدُّنيا على مصيبة الدين، وقال: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣].

وثاني نعمة: أَنَّها لم تكن أكبر منها:

فما من مصيبةٍ إِلَّا وعند الله أكبر منها، كما يقول العرب: حنانيك

(١) انظر: إحياء علوم الدين (١٢٩/٤).

(٢) ذكره من غير نسبة أبو الهدي الصيادي في خزانة الأمداد ص ٥٩، تحقيق سليم محمد، نشر كتاب ناشرون، بيروت.

(٣) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٢)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٢٣٤)، وحسنه الألباني في الكلم الطيب (٢٢٦)، عن ابن عمر.

بعض الشرّ أهون من بعض، وكما يقول النَّاس: قضاء أخفُّ من قضاء،
ومن نظر إلى بلوى غيره هانت عليه بلواه.

هذا هو الواقع في هذه الحياة.

صبر عروة بن الزبير:

وقد قالوا: إنّ عروة بن الزبير - وكان من المحدثين والفقهاء والعبّاد
والزّهّاد - أُصيب يومًا ببليتين: ابتلاه الله تبارك وتعالى بإحدى رجله
أصابتها الأكلة فقرّر الأطباء قطعها، وقطعت.

وفي نفس اليوم جاء خبر أنّ فرسًا رfst أحد أبنائه فمات.

فنظر إلى رجله المقطوعة ورجله السليمة، وقال: اللهمّ إن كنت
ابتليت فقد عافيت.

ونظر إلى ابنه المقتول وأولاده الآخرين، وقال: اللهمّ إن كنت أخذت
فقد أعطيت^(١).

أكثر النَّاس ينظرون إلى النعمة المفقودة ولا ينظرون إلى النعم
الموجودة، فإذا أزيلت عنه نعمة نسي أنّه عنده أضعاف أضعافها.

كثير من النَّاس يكبّرون صغار المصائب، ويصغّرون كبار النعم،
وليس هذا من شأن المؤمن.

المؤمن يفلسف البليّة حينما تنزل به كما فلسفها عمر رضي الله عنه :

أنّها لم تكن في ديني.

وأنّها لم تكن أكبر منها.

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٧٩/٢).

وثالث نعمة: أنني أرجو ثواب الله تعالى عليها:

ثوابُ الله في كلِّ ما ينزل بالإنسان، «من نَصَب أو وَصَب، أو غَمَّ أو حزن، حتَّى الشوكةُ يشاكها، يكفرُ الله بها من خطاياهِ»^(١)، فإن لم تكن له خطايا زادت من حسناته، فإذا لم يكن في حاجة إلى حسنات ارتفعت درجاته، كالنبيين.

ولكن مَنْ مِنَ النَّاسِ يحسب أو يتوهم أنه لا خطأ له؟

كلُّنا مُلوَّثون بالخطايا، فلذلك نحن في حاجة إلى كثير من هذه المصائب والبلايا التي تنزل بنا حتَّى تكفرَ عنَّا.

حينما نزل قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]. بكى أبو بكر رضي الله عنه، وقال: يا رسول الله، كلُّ سوء نعمله نُجْزَى به؟! هذا شديد.

فقال: «يا أبا بكر، ألسْتَ تمرض؟ ألسْتَ تحزن؟ أليس يُصيبك الأذى؟ فهذا ممَّا تُجْزَى به»^(٢).

هذا من ضمن الجزاء الذي يُجْزَى به الإنسان على ما عمله من سوء، فهو تطهير وتكفير.

المؤمن يستفيد من البلايا.

وقد ذكروا أنَّ امرأةً فتح الموصلي - وهو أحد السلف الصالحين -

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٤١)، ومسلم في البرِّ والصلة (٢٥٧٣)، عن أبي سعيد، وأبي هريرة

(٢) رواه أحمد (٦٨)، وقال مخرَّجوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده. وابن حبان (٢٩١٠)، والحاكم (٧٤/٣)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. كلاهما في الجنائز.

أصابته في رجلها عظمة فقطعت ظفرها، فابتسمت، وحمدت الله، فقل لها: فيك كلُّ هذا الوجع وتبتسمين وتضحكين، فقالت لهن: إِنَّ حلاوة ثوابه أنستني مرارة وجعه^(١).

هذا هو شأن الإنسان المؤمن.

الصبر على البلاء، على مُرِّ القضاء، هذا أوَّل أنواع الصبر.

ثانيًا الصبر عن المعصية:

هناك صبر آخر: الصبر عن المعصية، وهو أفضل من الصبر الأول؛ لأنَّ الصبر الأول أسبابه لا خيرة لك فيه، البلاء تنزل بك أردت أم لم ترد، ولا بدَّ أن تصبر إن كنت عاقلًا، فمن لم يصبر اليوم سيصبر غدًا، ولذلك يقولون: العاقل يفعل في أوَّل يوم ما يفعله الجاهل بعد ثلاثة أيام. قالوا: من لم يصبر صبرَ العقلاء سَلَا سَلَوَ البهائم.

لا بدَّ للإنسان أن يصبر إن كان عاقلًا.

ولكن أهم من هذا النوع من الصبر: الصبر عن معصية الله.

صبر يوسف عليه السلام عن المعصية مع توفر أسبابها:

إذا لاحت لك أسباب المعصية، تهَيَّأت لك ظروفها، فألجم نفسك بلجام التقوى واصبر عنها، وقل ما قال يوسف عليه السلام حينما ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

(١) انظر: مدارج السالكين (١٦٧/٢).

حينما لم ينفع معه سلاح الإغراء واستخدمت سلاح التهديد أمام النسوة - حينما قالت: ﴿وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢] - استجار بربه، ﴿وَقَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

هذا الصبر عن المعصية.

صبر أيوب ويعقوب على البلاء:

الصبر الأول على البلاء: صبر أيوب الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

وصبر يعقوب الذي صبر على فراق يوسف ابنه أولاً وبنيامين ثانياً، وقال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣].

ثالثاً الصبر على طاعة الله:

الصبر الثالث: هو الصبر على طاعة الله وَعَلَى، على ما أمر به الله وَبِأَمْرِ. أن تصبر على أداء فرائض الله وَعَلَى.

أن تصبر على عبادة الله وَبِأَمْرِ مهما كانت شاقة عليك.

أن تقاوم الهوى، وتقاوم الكسل، ولا تستجيب للشيطان ووسوسته، فتصلي الصلوات في أوقاتها، وتؤدي الزكاة، وإن وسوس لك شيطانك أو سولت لك نفسك: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

كُلُّ الْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ تَفْعَلُهَا، وَتَصْبِرُ عَلَيْهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].
لا بدَّ من الصبر.

وهذا الصبر أعلى من الصبر الذي قبله؛ لأنَّه هو الذي يُراد لذاته.

صبر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام:

اصبر على طاعة الله وتنفيذ أمر الله، ولو كان ذلك يتعلّق بذهاب مالك وإزهاق روحك، كما فعل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام حينما عرض عليه أبوه، وقد بلغ معه السّعي وأصبح يُرجى منه: ﴿قَالَ يَبْنِيْ اِنِّيْ اَرَى فِي الْمَنَامِ اَنِّيْ اَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصّافات: ١٠٢] فلم يتردّد الفتى ولم يتلعثم لسانه، ولكنّه قال: ﴿يَتَابَتِ اَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيْ اِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصّٰبِرِيْنَ﴾ [الصّافات: ١٠٢].

صبر الولد، وصبر الوالد؛ أسلم الوالد ولده، وأسلم الولد عنقه: ﴿فَلَمَّا اَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِيْنِ ۖ وَنَدَيْنَاهُ اَنْ يَّتَابَرِهِيْمُ ۖ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّيَا اِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ﴾ [الصّافات: ١٠٣ - ١٠٥].

اصبر على طاعة الله.

رابعاً الصبر على الدعوة إلى الله:

وهناك صبر أعلى من هذا كلّهُ وهو:

الصبر على دعوة النَّاس إلى الله، على مشاقّ الدعوة إلى الله، وهو صبر أولي العزم من الرُّسل الذين صبروا على طول الطريق، وعلى أذى الخلق، وعلى إغراض النَّاس، وعلى ما يُصَبُّ عليهم من الأذى والعذاب.

هذا هو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢]، ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾ [البقرة: ٢١٤] البأساء في الأموال، الفقر والبؤس، والضراء في الأبدان، جراحات وتعذيب وآلام، والزلزلة في النفوس: ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ﴾، استبطئوا النصر من كثرة ما أصابهم: ﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

صبر نوح عليه السلام:

هذا الصبر: صبر الأنبياء، صبر نوح عليه السلام الذي ظل ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعو قومه ليلاً ونهاراً، سراً وجهاً، فلم يزداهم دعاؤه إلا فراراً.

ألف سنة إلا خمسين عامًا أكثر من ثلاثين جيلاً! يذهب جيل ويأتي جيل وهو صابر على الدعوة لم ييأس يدعوهم بالليل والنهار والسر والجهر، ويرغبهم بأمور الدنيا وأمور الآخرة، حتى دعا الله سبحانه وتعالى في آخر أمره ألا يذر على الأرض كفاراً، وأن يطهر الأرض من شر هؤلاء الناس.

هذا هو صبر الأنبياء ﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

طريق الدعوة يلزمه الصبر:

أمر النبي ﷺ بالصبر في تسعة عشر موضعاً من القرآن الكريم منذ السورة الأولى في القرآن كالمُدَّثِّر: ﴿ يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ﴿ فَرَأْنِذِرُ ﴾ ﴿ وَرَبِّكَ فَكَبِيرُ ﴾ ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرُ ﴾ ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرُ ﴾ ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ﴾ ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرُ ﴾ [المُدَّثِّر: ١ - ٧].

وكذلك سورة المزمل: ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ [المزمل: ١٠].

وفي سورة الماعارج: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [الماعارج: ٥].

أمر ﷺ بالصبر في سُور شَتَّى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨]، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الرُّوم: ٦٠]؛ وذلك أَنَّ طريق الدعوة طريق طويل، وأعداء الدعوة كثيرون، والمؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده، ومنافق يبغيه، وكافر يقاتله، وشيطان يضلُّه، ونفس تنازعه.

ولهذا كان أحوج ما يكون إلى الصبر في هذه المعركة المتعددة الجوانب، المختلفة الأبعاد.

لا بدَّ مع الصبر من المصابرة:

بل لا بدَّ مع الصبر من المَصَابرة؛ الله تعالى يقول: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

والمصابرة: أَنْ تُطاولَ غيرَكَ في الصبر، أَنْ تُغالبَ خصومَكَ في الصبر؛ فهم يصبرون على باطلهم فلا بدَّ أَنْ تصبر أنت على حقِّكَ.

المؤمنون أولى بالصبر من غيرهم:

انظروا: ماذا قال المشركون؟

﴿وَأَنطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ﴾ [ص: ٦] اصبروا على مناة واللات والعزى وهبل؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا يريد أَنْ يزحزحنا عن عبادتها.

وقالوا: ﴿إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: ٤٢]، أي: استمسكنا بها، وعضضنا عليها بالنَّواجذ.

الكفار يصبرون على باطلهم، فلا بدَّ أَنْ يكون صبر أهل الحقِّ أقوى

من صبرهم، وهذا معنى المصابرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

حاجتنا إلى الصبر:

ما أحوجنا نحن في هذا العالم المعاصر، وفي دنيانا هذه إلى الصبر، حيث تُصَبُّ علينا المصائب من كلِّ جانب، وأصبح الإسلام يناوِش من هنا ومن هناك، وأصبح لحم المسلمين مُسْتَسَاغًا، وأصبحت أعراض المسلمين كلاً مباحاً، تُهدم مساجدهم، تُغتصب نساؤهم، تُسفك دماؤهم، تُنتهك حرُماتهم، ولا يبكي لهم أحد، ولا يرقُّ لهم أحد، ولا يغضب لهم أحد.

أين الألف مليون أو تزيد من المسلمين؟

إِنَّا وَإِنْ كُنَّا بِحَاجَةٍ إِلَى الصَّبْرِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ عَلَى الظُّلْمِ لَا يَجُوزُ، اللَّهُ تَعَالَى ذَمَّ قَوْمًا حِينَئِذٍ قَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

بعض الصبر لا يجوز:

أن تصبر على مسلم أمامك يُقتل أو يُظلم أو يُضرب وأنت ساكت، هذا صبر غير مشروع، «لا تقفَنَّ عند رجلٍ يُقْتَلُ مظلوماً؛ فَإِنَّ اللعنة تنزل على من حضره إذا لم يدفعوا عنه»^(١).

(١) رواه الطبراني (٢٦٠/١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٥٨٠)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب (٣٧٠٥)، وضعفه الهيتمي في مجمع الزوائد (١٠٧١٠)، والألباني في غاية المرام (٤٤٨)، عن ابن عباس.

الصبر المصحوب بالأمل:

ولكن علينا نحن أن نصبر صبر المؤمنين، الصبر الذي يصحبه أمل؛ سيّدنا يعقوب حينما فقد ولديه واحداً بعد الآخر قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣].

وقال لبيه: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

مهما نزلت بنا المصائب فلن نتخلى عن الإسلام، لن نتخلى عن دعوة الإسلام ولا عن رسالة الإسلام.

إنَّ بعد الليل فجرًا:

ندعو إخواننا في فلسطين، وإخواننا في البوسنة والهرسك، وإخواننا في جامو وكشمير، وإخواننا في كل أرض يُضطهد فيها الإسلام: أن يصبروا ويصابروا، وأن يوقنوا أنَّ المستقبل لهم إن شاء الله؛ إنَّ بعد الليل فجرًا، وإنَّ مع العسر يسرًا، ودوام الحال من المحال، وسيأتي الفرج إن شاء الله.

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى
ضَاقَتْ وَلَمَّا اسْتَحَكَمَتْ حَلَقَاتُهَا
ذَرَعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظْنُهَا لَا تُفْرَجُ^(١)

ومصداق ذلك في كتاب الله: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

(١) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي، انظر: الفرج بعد الشدة (١٥/٥)، تحقيق عبود الشالجي،

نشر دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.



المستقبل للإسلام:

إنَّ الغد لهذا الدين، والبشائر عندنا كثيرة، ولكن علينا أن نصبر على مشاق الدعوة إلى الله، وأن نحمل رسالة الهداية للبشريّة، نحملها أولاً لأنفسنا وأهلينا ومن حولنا؛ حتّى يعود الإسلام حاكمًا للحياة وضابطًا لمسيرة المجتمع كما يضبط مسيرة الأفراد، ثمّ بعد ذلك نُبلِّغ رسالة الله إلى العالمين: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

نحن في عصر نُفتن فيه في كلّ ناحية، وعلينا أن نصبر على الفتن، ونصبر عن المحرّمات، ونفطم أنفسنا عمّا حرّم الله ﷻ، وهذا من الصبر الواجب والمطلوب.

علينا أن نصبر عن كلّ ما حرّم الله ﷻ وخصوصاً المعاصي التي اشتهرت في النّاس، مثل: معاصي نظر الأعين إلى ما حرّم الله، ومعاصي السّماع إلى ما يُغضب الله ﷻ، ومعاصي اللسان: الغيبة، النّميمة، الكذب، السّخرية، الاستهزاء بالنّاس.

المعاصي التي اشتهرت بين النّاس ينبغي أن نصون أنفسنا عنها، وسلاحنا في ذلك هو الصبر.

ومن هذه المعاصي ما نراه ونسمعه في التلفزيونات والإذاعات والصحف.

وقد أحسن مجلس الوزراء في قطر صنْعاً حينما اتّخذ قراراً شجاعاً، فمنع بهذا القرار هذه الأطباق التي تسمّى «الدش»، والتي يجلب النّاس إليها من كلّ محطات العالم وقنواته السّمين والغث، والجيد والردّيء، والطيب والخبيث، وكثير منها خبيث وكثير منها محرّم.

أهميّة الرقابة على القنوات الفضائية:

هذا قرارٌ ينبغي أن يُحمَدَ ويشكر، ويبقى شيءٌ مكمل له، وهو ما أعلن أنّ هناك رقابة على القنوات التي تبثُّ عن طريق «كيوتل» أو

«الكيل» أو هذه الأشياء، نطالب أن تكون هذه الرقابة رقابة حقيقية فعلية، وقد عرفت من مصادر ثقة أن هذه الرقابة فعلاً رقابة حقيقية وليس مجرد كلام، وهذا هو الواجب.

لا بد من وجود هذه الرقابة وخصوصاً على ما ييئ بالليل، وخصوصاً في آخر الأسبوع: يومي السبت والأحد - ما يسمونه هناك (Week end) - فمعظم الفضائح والمصائب في تلك الليالي.

الرَّقَابَةُ عَلَى النَّفْسِ وَالْأَهْلِ:

ينبغي أن نُشَدِّدَ الرقابة على هذه الأشياء، وينبغي - أيضاً - على كلِّ منّا أن يكون رقيباً على نفسه وأهله.

وهناك رقابة الإنسان المستمدة من رقابة الله وَعَلَيْكَ، الذي يسمع ويرى، ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

كلُّ شيء يراه الله وَعَلَيْكَ ويسمعه: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُمُ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك.

اللهم اغفر لنا ما مضى وأصلح لنا ما بقي.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.



اللهم انصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، وخذ بأيدي إخواننا
المضطهدين في كل مكان، اللهم افكك بقوتك أسرهم، واجبر برحمتك
كسرهم، وتول بعنايتك أمرهم.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

* * *





المراقبة

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

تَحَدَّثْنَا عَنِ الْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ، عَنْ طَاعَاتِ الْقُلُوبِ، عَنْ مَقَامَاتِ الدِّينِ الَّتِي لَا يَكُونُ الدِّينُ دِينًا إِلَّا بِهَا.

تَحَدَّثْنَا عَنِ الْوَرَعِ، عَنِ الزُّهْدِ، عَنِ التَّوَكُّلِ، عَنِ الشُّكْرِ، عَنِ الصَّبْرِ. وَنَتَحَدَّثُ الْيَوْمَ عَنْ مَقَامٍ آخَرَ مِنْ مَقَامَاتِ الدِّينِ، وَمَنَازِلِ السَّالِكِينَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ذَلِكَ الْمَقَامُ، وَهَذَا الْمَنْزِلُ، وَتِلْكَ الْعِبَادَةُ، هِيَ عِبَادَةُ: الْمُرَاقَبَةِ وَالْمَحَاسِبَةِ؛ الْمُرَاقَبَةِ لِلرَّبِّ، وَالْمَحَاسِبَةِ لِلنَّفْسِ.

معنى المراقبة:

أَنْ يَحْيَا الْإِنْسَانُ بَقَلْبٍ يَقْظُ، لَا بَقَلْبٍ غَافِلٍ؛ فَإِنَّ شَرَّ مَا يُصَابُ بِهِ النَّاسُ هُوَ: الْغَفْلَةُ؛ الْغَفْلَةُ عَنْ أَنْفُسِهِمْ؛ الْغَفْلَةُ عَنْ رَبِّهِمْ؛ الْغَفْلَةُ عَنْ مَصِيرِهِمْ، وَأَنْ يَعِيشُوا لِدُنْيَاهُمْ وَلَا يَتَفَكَّرُوا فِي آخِرَتِهِمْ، وَأَنْ لَا يَذْكُرُوا الْجَنَّةَ وَلَا النَّارَ، أَنْ لَا يَذْكُرُوا إِلَّا حَظُوظَ أَنْفُسِهِمْ غَافِلِينَ عَنْ حَقِّ رَبِّهِمْ وَعَجَلِ.

الغفلة هي آفة الآفات:

وقد جعل الله أصحابها حطب جهنم ووقود النار وجعلهم أضلّ من الأنعام سبيلاً: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

الذي جعلهم أضلّ من الأنعام: الغفلة، أنَّهُم يعيشون في غفلة وفي نسيان، ذاهلين عن حقيقة أنفسهم ومهمتهم ورسالتهم في هذه الحياة، فعطلّوا الأجهزة التي منحهم الله إياها ليطلّوا بها على الوجود من حولهم، ويرتحلوا من الكون إلى المكوّن، ومن الصنعة إلى الصانع، ومن الأثر إلى المؤثر.

لهم قلوبٌ ولكنّهم لا يفقهون بها، ولهم أعينٌ ولكنّهم لا يبصرون بها، ولهم آذانٌ ولكنّهم لا يسمعون بها، خربوا هذه الأجهزة؛ لأنّها لا تُستخدم لما خلقها الله له، لم ينظروا نظر المعتبر، لم يسمعوا سماع المهتدي، لم يتفكّروا تفكّر المؤمن: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

ما أنت أيّها الإنسان؟

المراقبة: أن يُرزق الإنسان اليقظة، الصّحوة؛ هذه التي تفتح عين قلبه على الحقيقة لينظر: ما هو؟ ما أنت أيّها الإنسان؟

أيّها الإنسان أنت لست إلهاً في هذا الكون، أيّها الإنسان لقد خلقت من عدم، وستنتهي إلى عدم، أنت تراب يمشي على التراب، وسينتهي إلى التراب: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥].

أَيُّهَا الْمُحَدِّثُ الْفَانِي، أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الضَّعِيفُ:

انظر إلى نفسك، وانظر إلى ربِّك، راقب نفسك، اعلم أَنَّ اللهَ تبارك وتعالى مطلع على كلِّ ما تعمله، على كلِّ قول تقوله، على كلِّ لفظ يصدر منك، على كلِّ خطوة تخطوها، بل على كلِّ خطرة تخطر ببالك.

لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه سرٌّ ولا علانية:

حركاتك وسكناتك، غدواتك ورؤحاتك، كلُّها لا تغيب عن الله وَعَلَّكَ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسَهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزُّحْرَف: ٨٠] يسجلون، قلم الإحصاء والتسجيل الإلهي يسجل ويحصى.

وهذا الذي يسجل ويحصى لا يضيع، لا يهدر، لا يُلقى في سلة المهملات، لا تأكله الحشرات، سيبقى ما سُجِّلَ لك أو عليك من ملك الحسنات أو ملك السيئات في سجل محفوظ وكتاب ستقرأه، ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ^١ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

اقرأ كتابك:

سيقرا الكتاب المتعلم والأُمِّي، سيجد عمله بين يديه: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ^٢ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]، ﴿يَوْمَ يَذِرُ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْنَاءًا لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦] كان بعض المفسرين قديماً يقولون: ليروا جزاء أعمالهم^(١)؛ لأنَّ العمل فني وانتهى، والعمل عَرَضٌ، والعرض لا يبقى زمانين!

(١) تفسير الرازي (٢٥٦/٣٢).

العمل لا يفنى بمجرد وقوعه:

وأصبحنا اليوم نعرف ممّا علّم الله الإنسان ما لم يعلم أنّ العمل لا يفنى بمجرد وقوعه، كلُّ شيء موجود، تستطيع أن تسمع صوتك وأن ترى نفسك في آلات اخترعها الإنسان، ترى ما عملت في شريط يسجّل صوتك ويسجّل عملك، فترى نفسك بعد أن انتهى العمل.

بل يقولون: إنّ كلّ أقوال الإنسان وحركاته، موجودة لم تذهب، ولم تفن، وربما يمكن للإنسان بعد مدة من الزمان من التقاطها، وتخزينها، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

وإذا كان النَّاس قد اخترعوا أدوات تُسجّل أقوالهم وأعمالهم وتبقيها حتّى يروا أنفسهم بعد أن ذهب العمل وانتهى زمانه، فكيف يكون بعيداً على الله تبارك وتعالى أن نجد أعمالنا يوم القيامة ونشاهدها بأنفسنا بأعيننا ولا نستطيع أن ننكر؟

ولو أنكرت الألسنة ستحدّث الجوارح: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

فإذا كذبت الألسنة ختم عليها: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]، ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ * حتّى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كلّ شيء وهو خلقكم أول مرّة وإليه ترجعون * [فصلت: ١٩ - ٢١].

نطق الجوارح وشهادتها يوم القيامة:

هل يعجز الذي أنطق اللسان أن يُنطق الجلد؟

وما اللسان؟

عضلة من العضلات وقطعة من اللحم.

الذي أنطق اللسان يمكن أن يُنطق الجلود: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنْنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٢١، ٢٢] الكافر يظن أن الله لا يعلم كثيرًا مما يعمل.

علم الله المحيط بكل شيء:

أما المسلم المؤمن فإنه يعلم أن الله محيط به، وأن علمه محيط به، لا يخرج منه شيء ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْخَفَى﴾ [طه: ٧]، مُطَّلِع على مكنون الضمائر وعلى خفي السرائر ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، يعلم السر من الكلام كما قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المُلْك: ١٣].

كان المشركون يقول بعضهم لبعض: تكلموا في صوت خافت حتى لا يسمعكم إله محمد، فكلما تكلمنا أعلم إله محمد محمدًا بما نتكلم به، لا تجهروا بقولكم وأسرؤا به، فنزل قول الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المُلْك: ١٣]، إنه يعلم ما في الصدر، ما يكنه القلب، فكيف لا يعلم ما يظهر اللسان وإن كان بصوت خافت؟!

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المُلْك: ١٣، ١٤].

المؤمن يعلم أن الله ﷻ محيط به علمًا وخبرًا، يعرف ويعلم ويطلع على كل ما يقوم به، بالليل أو النهار، في السر أو الجهار، لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه سر ولا علانية.

المؤمن الحقُّ يراقب الله:

ولهذا فهو يراقب الله قبل أن يراقب الناس.

قال بعض الصالحين: المؤمن يرقب الله قبل أن يرقب خلقه، أمّا المنافق، فينظر يَمَنَةً وَيَسْرَةً، فإذا لم يجد أحداً دخل مدخل السوء^(١)، يراقب الناس ولا يراقب ربَّ الناس.

الناس يقولون: احذروا الشيطان لها آذان! يخشون أن يسمعهم أحدٌ من وراء الشيطان، ولكن هناك قبل الشيطان وما وراء الشيطان مَنْ يسمع ويرى، من يسمع ديب النملة على الصفاة، على الصخرة الملساء!

ولهذا ينبغي للمؤمن أن يُراقب هذا الربَّ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٣، ٤].

حيثما ذهبت كان الله معك، لو أغلقت على نفسك ألف باب وباب، لو اختفيت عن أعين الناس، لو استطعت أن تموّه على الخلق وأن تستتر عن أعينهم، فلن تستطيع أن تستتر عن أعين الله ﷻ؛ عينُ الله لا تغفل ولا تنام، عينُ الله تُبصر وترى.

(١) ذكره الغزالي في الإحياء (٣٩٨/٤)، عن فرقد السبخي.

قربُ الربِّ من العبد:

فهذا ما ينبغي للإنسان المؤمن: مراقبة الله وَعَلَى، أن يعلم الإنسان بقرب ربه منه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] بمعيتته له ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، بأن كل ما يعملُه مُحْصَى له، قد ينساه الإنسان بعد فترة وآفة الإنسان النسيان، ولكنه غير منسيٍّ عند الله ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦]، إذا نسيته أنت، فإن ربي لا يضل ولا ينسى، محصِيٌّ عند الله، مسجِّل في كتابك، ستره يوم القيامة أمام عينيك ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلُنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

المؤمن يراقب ربه في كل كبيرة وصغيرة، في كل حركة وسكنة، لا يغفل عن ربه طرفة عين؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ لا يغفل عنه.

المراقبة التي تصنع القلب الحي:

إذا نظرت إلى شيء، فاعلم أنَّ نظر الله إلى ما تنظر إليه أسبق من نظرك. لا بدَّ أن تستحضر في نفسك هذه المراقبة؛ هذه المراقبة هي التي تصنع القلب الحي، تصنع ما يسمُّونه اليوم: «الضمير».

الضمير هو ذلك القلب الحساس المرهف الحس، الذي يرضى الله تبارك وتعالى ويراقبه في كل أمر من الأمور.

المراقبة تصنع القلب الحي:

ما الذي ينقص الدُّنيا اليوم؟

ينقصها هذه الضمائر المؤمنة، هذه القلوب الحية.

ما الذي جرّ الفساد على دنيا المسلمين؟

أنّه لا توجد هذه القلوب؛ وُجِدَتْ قلوب غافلة عن الله وعن المصير، وعن الحساب والجزاء، وعن الجنّة والنّار.

ولهذا تمرّغوا في أوحال الشّهوات، وفي نجاسات الذنوب، ومشوا وراء الدُّنيا لا يبالون أكلوا من حلال أم من حرام. استحلّ النّاس الحرام، وأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وسار النّاس في ركاب الظلمة والطاغين؛ لأنّ النّاس فقدوا رقابة الله وعَلَّ.

أهميّة الرقابة الذاتيّة الناشئة من الإيمان واليقين:

هذه الرقابة الداخلية هي أهم من أيّ رقابة إدارية، أو رقابة مالية، أو رقابة قانونية؛ لأنّ الإنسان يجعل من نفسه رقيباً على نفسه رقابة ذاتية، والإنسان في حقيقته إنّما يُقاد من داخله لا من خارجه، من باطنه لا من ظاهره، من قلبه لا من جوارحه، من عقله لا من أذنه.

هذه القيادة إنّما تأتي من هذه الرقابة الذاتيّة الناشئة من الإيمان واليقين. والقوانين وحدها لا تستطيع أن تصنع إنساناً صالحاً، ولا مجتمعاً صالحاً؛ كم من أناس تحايلوا على القوانين، بل إنّ بعض من يضعون القوانين هم أوّل من يخرقونها.

وماذا يصنع القانون فيمن يملك القوّة، ويستطيع أن يسخر القانون لمصلحته؟!!

هناك من هو أعلى من القانون: القانون من داخل النّفس، القانون الذي يجعل الإنسان يترك كلّ شيء وهو قادر على أن يفعله، يترك الحرام

خشية الله، بل يترك الشُّبهات استبراءً لدينه وعرضه، بل يترك المكروهات، بل يترك بعض المباحات حتّى لا يقع فيما هو شرٌّ منها «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين، حتّى يدع ما لا بأس به حذرًا لما به بأس»^(١) كما روى الترمذي في حديثه.

الرقابة الذاتية أهم من القوانين:

هذه الرقابة أهم من هذه القوانين التي يصنعها الناس.

ما لم يُصنع الإنسان المؤمن الذي يخشى الله تبارك وتعالى ويراقبه، يمكن أن تُستباح المحرّمات وأن تنهب الأموال، وأن تعطل المصالح، وأن تؤكل الحقوق، وأن تنهب أموال الناس بالباطل، ما دام الإنسان قادرًا على هذا.

قديمًا قالوا: القادر فاجر، وقال في ذلك أبو الطيب المتنبّي:
والظلم من شيم النفوس فإنّ تجد ذا عفة فليعلّ لا يظلم^(٢)
الإنسان ظلومٌ جهولٌ إذا ترك وحده من غير شيء يلجمه ويلزمه ويزجره.

فما الذي يجعل الإنسان يترك الظلم ولا يتعدّى على غيره؟
لا بدّ من علّة - كما قال المتنبّي، وأعظم العلل التي تطفم النفس عن شهواتها وتلجم الإنسان بهذا اللجام الذي يمنعه عن كلّ شر هو: مراقبة الله تبارك وتعالى وتقواه.

هذا أعظم من كلّ قوانين يفكر فيها الناس.

(١) سبق تخريجه ص ٢٤٤.

(٢) انظر: صبح الأعشى (٢٠٧/٢).

إن كان أمير المؤمنين لا يرانا فإنَّ ربَّ أمير المؤمنين يرانا:

يذكر النَّاسُ تلكَ القصةَ المعروفةَ عندما مرَّ أمير المؤمنين عليه السلام عمر على بيت من البيوت وهو يتعسَّس بالليل، يتحسَّس أمور الرعية ويتعرَّف شؤونها، فوجد تلكَ البنتَ التي تقول لأُمِّها: لا تخلطي اللبن بالماء يا أُمَّاه؛ فقد نهى أمير المؤمنين عن خلط اللبن بالماء.

فقالت لها: يا ابنتي وأين نحن من أمير المؤمنين؟ أمير المؤمنين لن يرانا حينما نخلط اللبن بالماء.

فقالت لها: يا أُمَّاه، ولكن إذا كان أمير المؤمنين لا يرانا فإنَّ ربَّ أمير المؤمنين يرانا^(١).

هذه الكلمة من الفتاة الصغيرة هي التي تُعبِّر عن هذا القانون العظيم النابع من داخل الأنفس، من داخل الضمائر، من داخل القلوب المؤمنة. إن كان أمير المؤمنين لا يرانا فإنَّ ربَّ أمير المؤمنين يرانا.

مثال آخر للمراقبة:

خرج عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من المدينة يومًا إلى البرِّ، ثمَّ جاء وقت الغداء، فأنحدر عليهم راع من الجبل، فدعاه ابن عمر إلى أن يأكل معهم، فقال: إنِّي في ضيافة ربي فأنا صائمٌ هذا اليوم.

قال له ابن عمر: بعنا شاةً من غنمك ونعطيك ثمنها فنجتزرها - نذبحها - وتجتزئ قطعة من اللحم تفطر عليها.

فقال: إنِّي مملوك، وهذه الغنم ليست لي، هي لسيدي.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥٢/٧٠).

فأراد ابن عمر أن يختبره، فقال له: قل لسيدك: أخذ الذئب واحدة منها.
فقال: يا هذا - وهو لا يعرف أنه ابن عمر - فأين الله؟! يعني: إذا
كذبت على سيدي الأصغر، فهل أستطيع أن أكذب على سيدي الأكبر؟
فأين الله؟

فأعجبت الكلمة ابن عمر وبكى، ثم سأل عن سيده من هو؟ فلمّا
رَجَعَ إلى المدينة اشترى الغلام، واشترى الغنم من سيّد هذا الرجل،
وأعتقه وَوَهَبَ له هذه الغنم، وقال له: هذه الكلمة أعتقتك في الدُّنيا
فأرجو أن تُعتقك في الآخرة^(١).

ما يحتاجه النَّاسُ هو هذه الكلمة: أين الله؟ أين الله؟

وصايا للمسلم في المراقبة:

على الإنسان قبل أن يُقدم على عمل أن يُراقب الله تعالى فيه.
قبل العمل يراقب الله، وعند العمل يراقب الله، وبعد العمل يراقب الله.
قبل العمل ينظر فيما يُقدم عليه: هذا العمل طاعة أم معصية؟ خيرٌ أم
شر؟ حلال أم حرام؟

فإن كان معصية ألجم نفسه عن هذا الأمر وابتعد عنه؛ ابتغاءَ رضوان
الله ﷻ، وخوفًا من عقوبته سبحانه.

بل إنّه إذا ارتقى لا يكتفي بالبُعد عن الحرام، بل يعزم على اجتناب
الشُّبهات، «دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ»^(٢).

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣١/٣١).

(٢) سبق تخريجه ص ٢٤٥.

فإن كان مباحًا فله فيه سعة، ولكنّه - أيضًا - لا يتوسّع في المباح، لا يُعطي نفسه كلّ ما تريد؛ فالنفس إذا تركتها هي وما تريد فإنّها لا تقف عند حدّ، يحتاج إلى أن يُروّض نفسه الحين بعد الحين، يجاهدها المرّة بعد المرّة، يمنعها من بعض ما تشتهي؛ فالنفس زاهدة إذا زهدتها، طامعة إذا أطمعتها، وقد قال الشاعر:

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تقنّع^(١)!

وإذا تركتها فإنّها لا تشبع بكثير ولا تقنع بقليل، كجهنّم تقول لها: هل امتلأت؟ تقول: هل من مزيد؟!

لا بدّ للإنسان - حتّى في الحلال - أن يقف مع نفسه بعض الوقفات، وليس كلّ حلال يسترسل معه؛ قد يكون الشيء حلالاً ولا يعينك، فلماذا تعني نفسك بهذا الأمر؟

«من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(٢)؛ لا تُدخل نفسك فيما لا يعينك؛ حتّى لا يُصيبك ما لا يُرضيك.

وقفه مع النفس قبل العمل:

يجب على الإنسان أن يقف مع نفسه في كلّ أمر يريده: إن كان رُشدًا أمضاه، وإن كان غيًا اجتنبه، وإن كان بين بين، أخذ بالأحوط، وابتعد عن الريبة.

هذا هو شأن الإنسان الذي يراقب ربّه وعبّده؛ لا يهجم على الأمور هجمة من لا تهّمه العواقب؛ فالأمر ليس هيئًا، الأمر أمرٌ جنّة أو نار.

(١) من شعر أبي ذؤيب الهذلي. انظر: البيان والتبيين (١/١٤٣)، نشر دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ.

(٢) رواه الترمذي في الزهد (٢٣١٧)، واستغربه، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٦)، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٩١١)، وحسنه النووي في الأربعين (١٢)، عن أبي هريرة.



فلا بدّ للإنسان أن يضع النّار نصب عينيه، وأن يضع الجنّة نصب عينيه. إنك إذا خسرت، خسرت كثيرًا، خسرت الجنّة، وإذا هلكت هلكت طويلاً، أردت نفسك إلى النّار، وبئس القرار.

هذه المراقبة - أيّها الإخوة المسلمون - مطلوبة من الإنسان دائماً.

فعلى الإنسان أن يستحضر أنّ الله ﷻ معه، وأنّ الله ﷻ مُطَّلِعٌ عليه، وأنّ الله لم يتركه سُدى، بل وكَّل به ملائكةَ حَفَظَة كاتبين؛ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كُنُيْنَ ۖ يَعْمُرُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢].

فينبغي للإنسان أن يستحضر هذا المعنى، وأن يُراقب الله تعالى قبل العمل، يسأل نفسه: ما هذا العمل؟ ولماذا تعمله؟ أأمر أمرك الله تعالى به؟ أم هو هوى من أهواء النّفس؟

ثلاثة أسئلة يسأل عنها الإنسان نفسه عند كل عمل:

ثمّ هناك مراقبة عند العمل، ولذلك يقول رجال التربية والسلوك: إنّ هناك ثلاثة أسئلة يسأل عنها الإنسان نفسه عند كل عمل: لماذا؟ وكيف؟ ولمن؟

لماذا تُقدِّم على هذا العمل؟

هل أمر الله به، أو أذن فيه؟

وإذا كان عملاً صالحاً، إذا كان طاعةً من الطاعات، عبادةً من العبادات، فلا بدّ أن تسأل نفسك: كيف؟

كيف يتمّ هذا العمل؟

لا بدّ أن يتمّ على المنهج الشرعي، لا بدّ أن يوافق السُّنّة، لا بدّ أن

تلتزم فيه بحدود الله وَعَبَّكُ، فلا تُحدث، ولا تبتدع، ولا تغش، ولا تخون.

ثمَّ بعد ذلك تأتي الإجابة عن السؤال الآخر: لماذا؟ أو لمن؟

لمن هذا العمل الذي تعمله؟

أهو لمراعاة النَّاس؟ ألتكتسب الشهرة عند الخلق؟ أليحمدك النَّاس ويقولوا: فلان كذا وكذا؟

إذن قد ضعت وضيعت، وهلك وأهلك.

إذا كان قصدك من عملك أن يحمّدك النَّاس ويتحدّثوا عنك، ضاع هذا العمل، وإن كان صورته صورة العمل الصالح؛ قد يكون صلاة، وقد يكون زكاة وصدقة، وقد يكون حجًا وعمرة، وقد يكون إنفاقًا، وقد يكون جهادًا، وقد يكون علمًا وتعليمًا، وقد يكون ما شئت من ظواهر الطاعات والقربات.

ما لم يكن عملك خالصًا لله وَعَبَّكُ، فإنَّ الله لا يقبله؛ إنَّ الله لا يقبل من أشرك به غيره؛ إذا أشركت الخلق في عملك، فاذهب، فخذ أجرك منهم؛ فإنَّه لا يقبل العمل إلَّا إذا كان خالصًا لوجهه: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

لذا قال أحد العارفين: إنَّ الله لا يقبل القلب المشترك ولا العمل المشترك.

العمل المشترك لا يقبله، والقلب المشترك لا يُقبل عليه^(١).

(١) حكيم ابن عطاء الله بشرح العارف بالله الشيخ زروق صـ ٣٦٠.

يريد أن يكون قلبك لله وحده، وعملك لله وحده، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

اعبد الله كأنك تراه:

ينبغي للمسلم إذا أراد مرضاة ربّه أن يراقب الله تعالى في كل أعماله؛ إذا صَلَّى، إذا قرأ القرآن، إذا قام بعملٍ ما، عليه أن يُراعي أن الله يُحَالِلُ يراه، كما سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ في حديث جبريل المشهور: حينما سُئِلَ عن الإحسان فقال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١).

مرتبة المشاهدة:

«أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»: حينما يعمل الإنسان عملاً لمخلوق مثله، ويرى أن صاحب العمل واقف ينظر إليه ويراقبه، فإنه يُجَوِّدُهُ ويتقنه ويُحْكِمُهُ ويُحَسِّنُهُ ما استطاع؛ لأنّه يريد أن يأخذ صاحب العمل أو ربُّ المؤسسة عنه فكرةً حسنة، عسى أن يرقّيه أو يعطيه علاوةً أو نحو ذلك من كلِّ ما يحرص النَّاسُ عليه من متاع الدنيا.

فكيف إذا كان هذا صاحب الخلق والأمر، إذا كان ربُّك وربُّ العالمين هو: المَطَّلَعُ عليك وأنت تعمل؟

إذن فالإحسان هو أن تعبدك كأنك تراه، هذه هي المشاهدة وهذا هو الشهود.

مرتبة المراقبة:

«فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»: إذا لم تَرْتَقِ إِلَى هذه المرتبة، فإنه

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

يراك، هذا هو المؤكّد، إذا لم تستحضر أنت هذا، فاستحضر أنّه يراك ويطلع عليك.

هذه هي المراقبة المطلوبة من الإنسان في ليله ونهاره، يراقب الله قبل العمل: هل يُقدِّمُ عليه أو لا، ويراقبه أثناء العمل حتّى يحسنه: «كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»، تحاول أن تؤدّي العمل أداء يرضيه وعلّٰ.

مراقبة الله في أداء الصّلاة:

الذي يؤدّي الصّلاة وهو مراقبُ الله، غير الذي يؤدّيها وهو غافلٌ عن الله. ما أكثر الذين يصلُّون، يصلُّون ولكنهم لا يقيمون الصّلاة؛ هناك المُصلِّي وهناك المقيم للصّلاة؛ المُصلِّي هو الذي يؤدّي الركعات أيّا كان الأمر، يخطفها خطفًا، ينقرها نقر الدِّيكة، فهي صلاة لا تقرُّ عينه بها، كما كانت تقرُّ عين النّبي بالصّلاة، والتي كان يقول عنها: «قم - يا بلال - فأرحنا بالصّلاة»^(١).

نحن الآن لسان حالنا يقول: أرحنا منها! حينما نُصلِّي نريد أن نخلص من الأمر ونفرغ منه؛ فهي صلاة «الأمر» لا صلاة «الحب».

لا نقول: أرحنا بها، بل: أرحنا منها! عبءٌ نريد أن نتخفّف منه.

الذي يراقب الله في صلاته التي يؤدّيها، يجدُ فيها قُرّة عينه، يراقب الله في كلّ عمل منها، في كلّ جزئية من جزئياتها، في كلّ ركن من أركانها،

(١) رواه أحمد (٢٣١٥٤)، وقال: رجاله ثقات، لكن اختلف فيه على سالم بن أبي الجعد في إسناده. وأبو داود في الأدب (٤٩٨٦)، وصحّحه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح (١٢٥٣)، عن رجل من الأنصار.

في كل حركة من حركاتها، يستوفي الشروط، يستوفي الأركان، يستوفي الآداب، وأكثر من ذلك: أنه يستوفي رُوح الصَّلَاة وهو «الخشوع».

قيل لحاتم الأصم: كيف تؤدّي صلاتك؟

فقال: أسبغ الوضوء، ثمّ آتي موضع الصَّلَاة بسكينة ووقار، فأكبّر تكبيرًا بتعظيم، وأقرأ قراءةً بترتيل، وأركع ركوعًا بتخشّع، وأسجد سجودًا بتدلل، وأجعل الجنّة عن يميني، والنّار عن شمالي، والكعبة بين حاجبي، والصّراط تحت قدمي، ومَلِك الموت على رأسي، وذنوبي محيطة بي، وقبل ذلك كله: عين الله تعالى ناظرة إليّ، وأتبعها الإخلاص ما استطعت، ثمّ أسلّم عن يمين وشمال، ولا أدري: أيقبلها الله منّي أم يرُدّها عليّ^(١)؟

هذه صلاة المراقبين، الذين يراقبون الله في كل عمل من أعمالهم.

مراقبة الله بعد أداء العمل:

وبعد أداء العمل، على المؤمن أن يسأل نفسه: هل تمّ هذا العمل بإتقان؟ هل أدّى حقّه؟ هل أتمّ أركانه؟ هل حقّق شروطه؟ هل وفّى آدابه؟ كم يعطي نفسه من الدرجات: ستين في المائة؟ خمسين في المائة؟ عشرين في المائة؟ أو أقل أو أكثر.

وهذا هو المطلوب منك - أيّها المسلم: المراقبة لا الغفلة، اليقظة لنفسك ولعملك، ألا تعيش وأنت سكران بحبّ الدُّنيا وبالغفلة عن الله وَجَلَّ فلا يهتمك: أقبلَ عملك أم لم يُقبل؟ أدّيته كما ينبغي أم أدّيته على آية صورة؟ أتبعته الإخلاص أم لا تتبع الإخلاص؟

(١) إحياء علوم الدين (١/١٥١).

راقب الله في أمورك كلها:

راقب الله وَعَلَى ، راقب الله في أمورك كلها صغيرها وكبيرها.

راقب الله في نفسك، وراقب الله في أهلك وأولادك: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

راقب الله فيمن حَوْلَكَ، مُرْهُمْ بالمعروف وإنهَهم عن المنكر.

راقب الله في عملك وأدِّ له حقَّه.

راقب الله في اللقمة التي تدخل بطنك ومعدتك.

راقب الله في الدرهم الذي يدخل جيبك؛ حاول ألا تأكل حرامًا، وألا تدَّخر حرامًا، وألا يدخل بيتك حرام، وألا تطعم أولادك من حرام؛ فكلُّ جسمٍ نَبَتَ من حرامٍ فالنَّارِ أولى به.

راقب الله أيُّها المسلم، راقب الله في أمورك كلها، واستحضر هذه الرقابة التي كانت شعار الصالحين، الَّذِينَ كانوا يراقبون الله في السِّرِّ والعلن، والظاهر والباطن، والخلوة والجلوة.

جلس أحدهم، وكان حوله جماعة يترامون - يرمون السهام، رياضة الرمي، التهديف - ويتسابقون في هذا، فجاء بعض النَّاس وأراد أن يكلمه، فقال: ذكر الله أشهى! - يريد: لا تشغلني عن ذكر الله - فقال: أنت وحدك، يعني: أريد أن أُنسك. قال: معي ربي وملكاي. قال له: من سبق من هؤلاء؟ قال: من غفر الله له^(١).

هو في حال، وهذا في حال، هذا يسأل عن شيء، وهذا مشغول بشيء آخر.

(١) إحياء علوم الدين (٤/٣٩٩).

هؤلاء هم أهل الآخرة، هؤلاء هم أهل الله، هم عمّال الله وعِجَلُ، ينبغي أن نقتبس منهم، إذا لم نستطع أن نكون مثلهم، فلنحاول التشبّه، ولو من بعيد، ولو بصيصًا من نور.

فتشبّهوا إن لم تكونوا مثلهم إِنَّ التشبّه بالرجال فلاح^(١)

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينير بصائرنا، وأن يوقظ قلوبنا، وأن يجعلنا من المراقبين له، وأن يجعلنا من حزبه المتّقين المفلحين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) من شعر السهروردي المقتول. انظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٣٩٧/٢١)، نشر دار الرسالة العالمية، دمشق، ط ١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:

سُنَّةُ الْأُضْحِيَّةِ:

في هذه الأيام المباركات يستعدُّ النَّاسُ لإحياء تلك السُّنَّة: سُنَّةُ أَبِينا إبراهيم من قبل، وسُنَّةُ رسولنا مُحَمَّدٍ ﷺ من بعد، سُنَّةُ الْأُضْحِيَّةِ، وهذه السُّنَّةُ لها فضلها، ولها ثوابها عند الله تبارك وتعالى.

ومن السُّنَنِ الْحَسَنَةِ الَّتِي سَنَّتْهَا الْجَمْعِيَّاتُ الْخَيْرِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ: محاولة إشراك إخواننا المسلمين الضعفاء والفقراء والذين يعانون المجاعات والأزمات في بلاد المسلمين المختلفة. فأحيوا سُنَّةَ مِشَارَكَةِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَالْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيَجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ»^(١)، و«الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلَمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ»^(٢).

لهذا كان من العمل الصالح المبرور: محاولة إشراك إخواننا المسلمين في صدقة الفطر أيام الفطر، وفي الأضحية أيام الأضحية.

وقد قامت لجنة كافل اليتيم الخيرية في قطر بعمل طيب، حينما فتحت الباب لمن يريد أن يدفع ثمن أضحية - أو أكثر من أضحية - في بلد من بلاد المسلمين، وهناك خمسة وعشرون بلداً.

(١) سبق تخريجه ص ٤٠.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البرِّ والصَّلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.



وهذا عمل طيّب، فهناك بلاد فقيرة لا يكادون يجدون اللحم طوال العام. فهذه فرصة لكسب الأجر والمغفرة من الله تبارك وتعالى.

يستطيع الإنسان أن يدفع من مائة إلى ستمائة ريال حسب البلاد؛ لأنّ الأضحية ترخص وتغلو حسب الأقطار المختلفة، فمن لم يستطع أن يدفع الستمئة أو الخمسمئة فليدفع مائة، والإخوة هنا في المسجد عندهم دفاتر وإيصالات لمن يريد ذلك.

وهناك - أيضًا - حسابات مفتوحة لهذا الأمر في مصرف قطر الإسلامي، وبنك قطر الدولي الإسلامي.

فالسعيد مَنْ حَاوَلَ أَنْ يَشْتَركَ فِي هَذَا الْأَجْرِ، وَأَنْ يُسَاهِمَ فِيهِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَضِيعُ عِنْدَهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجزنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلّ من ذلك.

اللهم اجمع كلمة المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التّقى، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.



المحاسبة

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:
تَحَدَّثْنَا فِي الْجُمُعَةِ الْمَاضِيَةِ عَنْ مَقَامٍ مِنْ مَقَامَاتِ الدِّينِ، وَمَنْزِلٍ مِنْ
مَنَازِلِ السَّالِكِينَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ الْمُرَاقَبَةُ.
وَيَكْمُلُ هَذَا الْمَقَامُ مَقَامَ آخِرِ هُوَ الْمَحَاسِبَةُ؛ فَالْمُؤْمِنُ يَرِاقِبُ رَبَّهُ،
وَيَحَاسِبُ نَفْسَهُ^(١).

النَّفْسُ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ:

هَذِهِ النَّفْسُ لَا تُتْرَكُ سُدىً، لَا بَدَّ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ يَقْظًا لَهَا، فَهِيَ
كَمَا وَصَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾، مَيَّالَةٌ إِلَى الشَّرِّ، فَرَّارَةٌ مِنْ
الْخَيْرِ، إِذَا تَرَكْتَهَا وَأَهْمَلْتَهَا سَدَرَتْ فِي غُلُوثِهَا، وَمَضَتْ فِي طَرِيقِهَا غَيْرَ
مُبَالِيَةٍ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا نَهْيِهِ، وَهَنَّاكَ تُوقِعُكَ فِي مَوَاقِعِ الرَّدَى، وَتَهْلِكُكَ
حَيْثُ لَا نَجَاةَ وَلَا خَلَاصَ.

(١) ولهذا قرن بينهما الإمام الغزالي في الكتاب الثامن من ربع المنجيات من الإحياء، فقال:
كتاب المراقبة والمحاسبة.

وجوب تزكية النفس:

ومن هنا كان على المسلم أن يُزَكِّي نفسه حتَّى يحصل على الفلاح الذي قال الله تبارك وتعالى فيه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشَّمْس: ٧ - ١٠].

النَّفْس مستعدة للفجور وللتقوى، ولعل استعدادها للفجور أقوى، لذلك قدَّم الله الفجور على التقوى، فقال: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشَّمْس: ٨]، إذا تُركت لأهوائها فإنَّها تميل إلى الفجور.

ولهذا كان عليك - أيُّها الإنسان - أن تعمل على تزكية نفسك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشَّمْس: ٩]، أي: طَهَّرَهَا وَنَمَّاهَا؛ طَهَّرَهَا مِنَ الشَّرِّ، مِنَ الْمَعَاصِي، مِنَ الرِّذَائِلِ، وَحَلَّاهَا وَنَمَّاهَا بِالتَّوْحِيدِ وَالطَّاعَاتِ وَالْفَضَائِلِ.

لا بدَّ من تخلية ومن تحلية، لا بدَّ من هدم ومن بناء، لا بدَّ أن تهدم الشرَّ في نفسك، وأن تبني الخير على أنقاضه.

هذا ما ينبغي للإنسان المؤمن أن يفعله.

المحاسبة سبيل لتزكية النفس:

وإنَّما يفعل المكلف ذلك إذا كان يقظاً لنفسه غير غافل عنها، يُحاسبها دائماً كما ورد في الحديث الذي رواه أبو ذر أنَّه ممَّا كان في صحف إبراهيم: «ينبغي أن يكون للعاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربَّه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكَّر فيها في صنْع الله ﷻ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب»^(١).

(١) رواه ابن حبان في البر والإحسان (٣٦١)، وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف جداً.

ورواه عبد الرزاق في جامع معمر (١٩٧٩٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٣٥٢)، عن وهب بن منبه قال: وجدت في حكمة آل داود... ولعله أشبه بالصواب.

تقسيم الإنسان ساعاته وتوزيع أوقاته:

ينبغي أن يقسم الإنسان ساعاته، ينبغي أن يُوزع أوقاته هكذا، فلا يدع الأمور (سهلة)، لا يدع كل أوقاته تضيع عبثاً.

لا، إن كان ولا بد فساعة لقلبك وساعة لرَبِّك.

أمّا أن تجعل ثلاثة وعشرين ساعة لقلبك وساعة واحدة لرَبِّك، فهذا لا يجوز.

والساعة التي لرَبِّك لا تُخلص لرَبِّك، حتّى إنك إذا وقفت بين يديه مصلياً فإن قلبك ليس معك، قلبك في الدنيا، قلماً تخشع، قلماً تطمئن، فماذا لله تعالى من ساعاتك؟!

جاء في الحديث: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»^(١).

لا بد أن تنظر أن عندك صحّة ربما يعترها السقم، وعندك غنى عن الناس قد يلحقه الفقر، وعندك فراغ ربما لا يستمرّ لك، وعندك حياة لا بد أن تنتهي بالموت، والموت يأتيك دون مقدمات، فليس من الضروري أن تمرض وتدخل المستشفى وتعرض على الأطباء؛ كم من أناس ماتوا فجأة؟ كم من أناس ماتوا بالسكتة أو بالذبحة؟ كم من أناس ماتوا بحوادث لم تكن تخطر لهم على بال؟

(١) رواه النسائي في الكبرى في المواعظ (١١٨٣٢)، والحاكم في الرقاق (٣٠٦/٤)، وصحّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧)، عن ابن عباس.



الدنيا ثلاثة أيام:

إذن فالحزم والاحتياط أن تنظر لنفسك؛ فالدنيا ثلاثة أيام - كما روي في بعض الآثار: يومٌ مضى لا تستطيع أن تسترجعه، ويومٌ آتٍ لا تعرف أتدركه أم لا تدركه، ويوم أنت فيه، فهذا هو الذي ينبغي أن تهتم به^(١).

الدنيا ثلاث ساعات:

بل قال بعض الناس: الدُّنيا ثلاث ساعات: ساعة مضت، وساعة آتية ربما لا تدركها، وساعة أنت فيها فهي التي لك فبادر إليها^(٢).

ولا يقصد بالسَّاعة: الساعة الفلكية (ستين دقيقة)، ولكن: اللحظة التي أنت فيها.

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ وَالْغُرُورُ الْغُرُورُ مَنْ يَجْتَبِهَا
مَا مَضَى فَاتٌ وَالْمُؤَمَّلُ غَيْبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا^(٣)

بل قال إمام الحرمين: الدُّنيا ثلاثة أنفاس: نفسٌ مضى، ونفسٌ آتٍ، ونفسٌ أنت فيه^(٤).

كانوا يحسبونها بالنفس، فربما تتنفس نفساً، ولا يدركك النفس الآتي أو لا تدركه؛ فالعمر إنّما هو أنفاس محدودة، ولحظات معدودة.

(١) رواه البيهقي في الزهد الكبير (٤٧٧)، عن الحسن البصري، تحقيق عامر أحمد حيدر، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٣٩/٢) من كتاب الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز.

(٣) من شعر أبي إسحاق الغزي، انظر: الكامل في التاريخ (٢٦/٩).

(٤) انظر: فيض القدير (٥٠/٥).

كيفية المحاسبة:

لا بدّ من محاسبة النَّفس، تُحاسبها قبل العمل، وتحاسبها أثناء العمل، وتحاسبها بعد العمل:

أولاً: قبل العمل:

قبل العمل هو نوع من المشاركة على النَّفس، تشترط أن لا تُقدم على حرام، بل لا تُقدم على شُبْهة، بل لا تُقدم على مكروه. كلما ارتقيت زدت في حسابها.

إذا أردت عبادةً فانظر ماذا أردت بها: أردت بها وجهَ الله أم وجوهَ النَّاس؟ وهل تؤدّيها على الوجه المشروع أو لا؟

إذا أردت عملاً من أعمال الدُّنيا فابحث قبل أن تُقدم عليه عن مشروعِيّته: أحلالٌ هو أم حرامٌ؟ ألك حقٌّ أو لا؟ وماذا تريد بهذا العمل؟ هكذا يصنع المحاسبون لأنفسهم.

ثانياً: تحاسبها أثناء العمل:

فإذا كان من المأمورات ك: الصَّلَاة والصَّيَام والزَّكَاة، يجب أن تؤدّيه على الوجه الشرعي، بحيث يقبل عند الله تعالى، الَّذي خلق النَّاس ليلوهم أيُّهم أحسن عملاً، وأحسن العمل كما قال الفضيل بن عياض: أن يكون خالصاً صواباً، فإنّه إذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل، وإذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وخلوصه أن يكون لله، وصوابه أن يكون على السُّنَّة^(١).

(١) مدارج السالكين (١/٨٣).

فلكلّ عبادة أركان وشروط، وآداب ومكملات، والناس يتفاوتون في أداء هذه الأمور، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ﴾ [فاطر: ٣٢].

ثالثاً: تحاسبها بعد العمل:

ثمّ بعد العمل لا بدّ أن تحاسب نفسك: هل أدّيته كما ينبغي أو قصّرت فيه؟ هل أتقنته كما يحبّ الله تعالى - «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَقَنَّهُ»^(١)، «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»^(٢) - أم أدّيته أداء؟ هل راعيت وجه الله تعالى فيه أو لا؟ هل خنت عملك؟ هل غششت فيه؟ هل تعدّيت حدودك؟ هل تعدّيت على حقّ مخلوق آخر؟

من وصايا السلف في المحاسبة:

حاسب نفسك، حاسب نفسك قبل أن تُحاسب؛ كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزنوا^(٣).

زن عملك قبل أن يوزن، واسأل نفسك قبل أن يصير السؤال إلى غيرك، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

(١) رواه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٩٢٩)،

وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٠)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١٣)، عن شدّاد بن أوس.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٠٠).

يقول ميمون بن مهران - من علماء التابعين - : التقى أشد محاسبة
لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح^(١).

من سلطان غاشم لا يتسامح ولا يتساهل، ومن شريك شحيح
يحاسبك على النقيير والقطمير والدانق، ولا يُسامحك في شيء مهما
صغر أو قل.

هكذا ينبغي للإنسان أن يكون مع نفسه.

مع الناس يتسامح، ومع نفسه يتشدد، هكذا كان السلف الصالح
رضوان الله تعالى عليهم.

يقول الإمام الحسن البصري رضي الله عنه : المؤمن قوام على نفسه يحاسبها
لله وَجَلَّ ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في
الدنيا، وإنما ثقل الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير
محاسبة، وإن المؤمن يفجؤه الشيء، ثم يقول لنفسه: والله إنني لراغب فيه،
ولكنني أتركه لله وَجَلَّ ، ويفرط منه الشيء، ثم يقول لنفسه: لماذا فعلت
كذا؟ ولماذا صنعت كذا؟ والله لا أعذر بهذا، ولا أعود إلى مثله أبداً^(٢).

المحاسبة على البواعث:

ويقول الحسن رضي الله عنه : المؤمن يقف مع نفسه دائماً يقول لها: ماذا
أردت بشربتي؟ ماذا أردت بمشيّتي هذه؟ ماذا أردت بزيارتي^(٣)؟

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥٣/٦١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٦٣٥٧).

(٣) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (٤)، تحقيق مصطفى بن علي بن عوض، نشر دار الكتب
العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

كانوا يبحثون عن البواعث، يريدون بها وجه الله أم وجوه العباد؟
يريدون الدنيا أم يريدون الآخرة؟

النفس دابة حرون:

هكذا كانوا، يحاولون أن يلزموا أنفسهم بما ألزمهم الله تعالى به،
يلزمونها ويخطمونها، فهي دابة حرون^(١) لا تُترك لأهوائها وشهواتها.

هي كما قال الإمام الغزالي: إنها عند الشهوة بهيمة، وعند الغضب
سبع، وعند النعمة تراها فرعوناً، وعند المصيبة تراها طفلاً صغيراً، وعند
الجوع تراها مجنوناً، وعند الشبع تراها مختلاً فخوراً.

كحمارِ السوءِ إنْ أشْبَعْتُهُ رَمَحَ النَّاسَ وَإِنْ جَاعَ نَهَقَ^(٢)!
هذه هي النفس.

النفس سبب الوقوع في المعاصي:

الله تعالى يقول على لسان امرأة العزيز: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ
لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣].

انظروا إلى هذه الصيغة: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾، لم يقل: امرأة
بالسوء، بل قال: ﴿لَأَمَّارَةٌ﴾ كثيرة الأمر بالسوء، باستمرار، تزيّن لك الباطل،
وتزيّن لك الشرّ، وتغويك بالحرام، فحاول أن تلجمها بلجام التقوى.

(١) الفرس الحرون: الذي لا ينقاد، وإذا اشتدّ به الجري وقف. انظر: مختار الصحاح مادة:
(ح. ر. ن).

(٢) انظر: منهاج العابدين للغزالي ص ١٧٩، ١٨٠، والبيت لصالح بن عبد القدوس. انظر: روضة
العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان ص ١٢٢، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

قتل الأخ أخاه:

أول معصية وقعت في الأرض، كانت بسبب تسويل النفس، قتل ابن آدم أخاه - قابيل قتل أخاه هابيل - بلا ذنب إلا أن الله تقبل منه قربانه ولم يتقبل من أخيه ف ﴿ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧، ٢٨].

ولكن هذا كله لم يردعه، ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٣٠]، هذه النفس الأمارة تجعل الأخ يقتل أخاه.

تسويل نفوس إخوة يوسف:

هذه النفس الأمارة هي التي سوّلت لأبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، أبناء بيت النبوة، أن يصنعوا بأخيه يوسف ما لا يتصور، ألقوه في غيابة الجب، ورموه في تلك البئر المهجورة، ﴿ وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ [يوسف: ١٦] بكاء التماسيح ودموع التماسيح، يخلقون الأكاذيب ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٧، ١٨].

فماذا قال يعقوب عليه السلام؟

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨].

تسويل نفس السامري:

السامري الذي أضلّ بني إسرائيل حين اتخذ عجلاً جسداً له خوار،

صُنِعَ مِنَ الْحَلِيِّ، وَقَالَ هَذَا: إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى، فَأُضِلَّ الْقَوْمَ وَعَبَدُوا الْعَجَلَ فِي غَيْبَةِ مُوسَى.

ولما جاء موسى وسأله عن هذا الضلال الذي صنعه، ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ، فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦].

خطر النفس الأمّارة بالسوء من ناحيتين:

إنّها النفس، النفس الأمّارة بالسوء، يمكن أن توقعك في كلّ شرٍّ، وتصدّك عن كلّ خير.

العدو الداخلي:

يقول الإمام الغزالي: إنّ هذه النفس خطر من ناحيتين، الناحية الأولى: أنّها عدوّ من داخل جسدك، والعدوّ إذا كان من الداخل كان أصعب، إذا كان اللص من خارج البيت يمكن أن تحكّم الإغلاق، ولكن إذا كان من أهل البيت كيف تستطيع الاحتيال منه والهروب من شرّه.

العدو المحبوب:

ثمّ يقول: الناحية الأخرى: أنّها عدوّ محبوب، والعدوّ المحبوب يغمي الإنسان عن عيوبه ولا يتفطن له^(١). كما قال الشاعر:

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ^(٢)

(١) انظر: منهاج العابدين للغزالي ص ١٧٩، ١٨٠.

(٢) من شعر عبد الله بن معاوية الجعفري، انظر: الحيوان للجاحظ (٢٣٦/٣).

وكما ورد: «حُبُّكَ لِلشَّيْءِ يُغْمِي وَيُصِمُّ»^(١).

ولهذا فالإنسان أعمى عن عيوب نفسه. يقول في ذلك الشاعر:

نَفْسِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي تُكْثِرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي
كَيْفَ احْتِيَالِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي^(٢)؟

من هنا كانت خطورة هذه النَّفْس، فتحتاج دائماً إلى مراقبة وإلى مشاركة وإلى محاسبة، قبل العمل وبعد العمل، ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] لتنظر نفس، كل نفس ما قدَّمت لغدها ومصيرها ولاخرتها.

النَّفْسُ اللّوَامَةُ:

لا بدّ من هذه الوقفة مع النَّفْس؛ فإن وقعت في معصية أو فرّطت في طاعة، لا بدّ أن يلومها وأن يقرّعها؛ حتّى لا تستهتر وتستمرى هذا الطريق.

وهذه هي النَّفْسُ اللّوَامَةُ، الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ﴾ [القيامة: ٢]، الَّتِي تَلُومُ صَاحِبَهَا دَائِماً، وَلَا تَتْرُكُهُ.

وهذه مرحلة من مراحل النَّفْس، أو مرتبة من مراتبها.

النَّفْسُ إِذَا حَاسِبَتَهَا وَرَاقَبَتَهَا، وَحَاولَتْ تَرْكِيتَهَا تَنْتَقِلُ مِنَ الْأَمَّارَةِ إِلَى اللّوَامَةِ؛ النَّفْسُ الَّتِي تَلُومُ، لَا النَّفْسُ الْمِيَّتَةُ الَّتِي لَا تَبَالِي بِأَيِّ شَيْءٍ، سَيِّئٍ عِنْدَهَا الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَالطَّاعَةُ وَالْمَعْصِيَةُ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالُ.

(١) رواه أحمد (٢١٦٩٤) عن أبي الدرداء، وقال مخرّجوه: صحيح موقوفاً.

(٢) من شعر ابن الأحنف، انظر: اعتلال القلوب للخرايطي (٢٦/١)، تحقيق حمدي الدمرداش،

نشر نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط ٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

هناك مَنْ ماتت أنفسهم، كما نقول بالتعبير العصري: ماتت ضمائرهم؛ هؤلاء ابكوا عليهم؛ فإنَّهم لا يكون على أنفسهم؛ لأنَّهم لا يحسُّون بأنَّهم موتى.

قالت إحدى الفنَّانات التائبات بعد أن هداها الله - وقد سُئِلَتْ: كيف تشعرين الآن؟ -: أشعر كأني حُييت من جديد، وكنا قبل ذلك من الموتى.

وهذا تعبير صحيح؛ هناك أناس ميِّتُونَ وهم أحياء؛ لأنَّ الحياة ليست حياة الأبدان، الحياة حياة القلوب: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

إذا رُزق الإنسان هذه النَّفس اللوَّامة، أو هذا القلب الصَّاحي، أو هذا الضَّمير الحيّ، فقد رُزق خيرًا كثيرًا.

محاسبة السَّلف والصَّالحين لأنفسهم:

كان بعض الصَّالحين يكتب كلَّ عمل يعملُه في اليوم، أو كلَّ قول يصدر منه، في مُذْكَرَة أو دفتر أو نحو ذلك، وفي آخر اليوم يحاسب نفسه: لماذا قلتُ هذا؟ ولماذا فعلتُ هذا؟ وما كان أغناكَ عن هذا؛ فإنَّ «من حُسِّنَ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(١)، وهكذا يومًا بيوم.

وفي آخر الأسبوع - مساء الجمعة - يقف وقفةً ليحاسب نفسه على ما صنع في الأسبوع.

وفي آخر الشهر يقف وقفةً يحاسب نفسه على ما صنع في هذا الشَّهر.

(١) سبق تخريجه ص ٣٣٨.

وفي كلِّ سنةٍ يقدِّم «الحساب الختامي» كما يقول التجار، ويقف مع نفسه ليحاسبها على الأعمال البارزة، طوال السنَّة. هؤلاء هم أصحاب القلوب، أصحاب الضمائر.

وقفه صادقة مع مرور عُمر الإنسان:

وهناك وقفة يقفها الإنسان مع نفسه كلَّ مدَّة من العمر، كما فعل توبة بن الصمَّة، جاء في يوم وكان من المحاسبين لأنفسهم، فنظر في عمره فإذا هو ابن ستين سنة، فقال: ستون سنة؟ كم يومًا فيها؟

فحسبها فإذا هي أكثر من واحد وعشرين ألف وخمسمائة يوم.

فقال: إذا كان كلُّ يوم فيه ذنب واحد، ألقى الملك بواحد وعشرين ألف وخمسمائة ذنب؟! فكيف وفي كلِّ يوم عشرة آلاف ذنب؟

ثمَّ صاح صيحة فخرٍ مغشياً عليه، فجاءوا يحركونه فإذا هو قد مات^(١).

فلقَّ الخوفُ من الله تعالى كبده، فصعدت رُوحه إلى بارئها.

هذا هو شأن المحاسبين من المؤمنين، حسابٌ يومي، حسابٌ أسبوعي، حسابٌ شهري، حسابٌ سنوي، حسابٌ ما بين الفترة والفترة أشمل وأشمل.

جدول المحاسبة:

كان الإمام الشهيد حسن البنا يعلم أتباعه أن يصنع كلُّ واحد منهم لنفسه جدولاً يسمَّى: «جدول المحاسبة»، يكتب فيه الأعمال الطيبة في

(١) ذكره الغزالي في الإحياء (٤٠٦/٤).

ناحية، والأعمال السيئة في ناحية أخرى، ويُعطي لنفسه درجة: صفراً أو ثلاثة من عشرة أو خمسة من عشرة أو سبعة من عشرة وهكذا.

الأعمال الطيبة مثل: هل حافظت على الصلوات في أوقاتها؟ هل أدّيتها في جماعة؟ هل شعرت بالخشوع وأنت تؤدّي صلاتك؟

هل تلوتَ وردك اليومي من كتاب الله؟

هل حافظتَ على أذكار الصباح والمساء؟

حينما أويت إلى فراشك هل ذكرت الله تبارك وتعالى؟ حينما قمت من فراشك هل ذكرت الله ﷻ؟ حينما خرجت من بيتك أو حينما ركبت سيارتك هل ذكرت الذكر المأثور؟

هل صُنت لسانك عن الغيبة والنميمة والكذب والسخرية بالناس؟

هل أدّيت إلى مسلم معروفاً لوجه الله ﷻ؟

هل ساهمتَ بعمل في خدمة الإسلام ونصرة دعوته؟

هل وقفتَ مع المسلمين الذين يعانون الأزمات والمجاعات والنكبات؟ هل... هل؟

وفي جانب الأعمال السيئة: هل قلت بلسانك ما يغضب الله تعالى؟

هل وقعت في آفة من آفات اللسان، وما أكثرها؟

هل نظرت بعينك إلى ما يغضب الله تعالى في التلفزيون وغيره؟

هل سمعتَ بأذنك ما لا يحلُّ سماعه؟

هل مددتَ يدك إلى ما ليس لك؟

هل دخل في بطنك لقمة من حرام أو من شبهة؟ هل... هل؟

المسلم يصنع لنفسه هذا الجدول ويحاسب نفسه، ترى أينجح بدرجة مقبول؟ أم بدرجة جيد؟ أم جيد جدًا؟ أم يرسب؟ وهل يرسب رسوبًا له ملحق؟ أم رسوبًا لا ملحق فيه؛ لأنه في أسفل الدرجات؟

الإنسان مطالب أن يحاسب نفسه، لا يتركها هكذا.

تأديب النفس ومعاقبته:

كان عمر الخطّاب رضي الله عنه - كما روى عنه أنس بن مالك - يخاطب نفسه ويقول: عمر بن الخطّاب بخ بخ، والله لتتقين الله أو ليُعذبنك ^(١).

وكان أحيانًا يمسك بالذرة التي يؤدّب بها العصاة والمنحرفين، فيضرب بها قدميه ^(٢).

وفاته صلاة الجماعة يومًا فتصدّق بحائط قيمته مائتا ألف درهم ^(٣)!

وكان عبد الله بن عمر إذا فاتته صلاة الجماعة، قام تلك الليلة حتى الفجر، فلم ينم فيها ^(٤)؛ عقابًا لنفسه أن فاتته صلاة جماعة واحدة.

كانوا هكذا يعاقبون أنفسهم، لم يكونوا يتركون الأنفس هكذا تفعل ما تشاء.

روى ابن أبي الدنيا في كتابه «محاسبة النفس»، عن طلحة رضي الله عنه قال: انطلق رجل ذات يوم إلى الرّمضاء في الظّهيرة - الرّمّل الذي يكاد

(١) رواه مالك في الكلام (٣٦٣٨)، تحقيق الأعظمي.

(٢) ذكره الغزالي في الإحياء (٤٠٤/٤).

(٣) ذكره الذهبي في الكبائر ص ١٧، نشر دار الندوة الجديدة، بيروت.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٦٦٣)، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، نشر مكتبة

الرشد - الرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

يكون جمرات تلتهب - فنزع ثيابه إلا ما ستر العورة، وظلّ يتمرّغ في الرّمضاء ويقول لنفسه: ذوقي النار جهنّم أشدّ حرّاً، أجيفةً بالليل بطالةً بالنهار؟

ثمّ أبصر رسول الله ﷺ، فجاء إليه، وقال: يا رسول الله، غلبتني نفسي.

فقال النبي ﷺ: «ألم يكن لك بدٌّ من الذي صنعت؟»

ثمّ قال له: «إنّ الله سبحانه يباهي بك في سمائه».

وجاء الصّحابة يطلبون منه الدعاء؛ هذا يقول له: ادعُ لي، وهذا يقول له: ادعُ لي.

فقال النبي ﷺ: «عُمّهم».

فقال: اللهمّ اجعل التّقوى زادهم، واجمع على الهدى أمرهم، واجعل الجنة مأبهم.

هو يدعو والنبي ﷺ يقول: «اللهمّ سدّده»^(١).

أهل المراقبة والمحاسبة:

هذا هو شأن المحاسبين، الذين يحاسبون أنفسهم، ولا يدعونها تفعل ما تشاء.

كان الأحنف بن قيس - كما حكى عنه بعض أصحابه يقول: صحبته بعض الليالي، فكان عامّة صلّاته بالليل الدعاء والاستغفار، وكان يُقرب

(١) رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النّفس (٥٧)، تحقيق مصطفى بن علي بن عوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. وقال العراقي في تخريج الإحياء ص ١٧٨٠، وقال: هذا منقطع أو مرسل.

أصبعه من المصباح حتّى تلدغه النّار، ثمّ يقول لنفسه: لماذا فعلت كذا؟ ولماذا تركت كذا^(١)؟

هذا هو شأن السّلف في هذه الأمّة، كانوا يعيشون مع الله ﷻ غير غافلين عن أنفسهم.

كان بعضهم يقوم الليل كلّهُ، كما رووا عن نبيهم ﷺ: أنّه كان يقوم الليل حتّى ترمّ قدماه^(٢).

وبعضهم كان يقوم حتّى تنتفخ ساقاه وتتورّم، مثلما حكي عن مسروق بن الأجدع: أن امرأته تراه هكذا وتقف خلفه وتبكي رحمة به^(٣).

وكذلك الأسود بن يزيد - من أصحاب ابن مسعود - وكان علقمة يقول له: رحمةً بنفسك.

فقال له: إنّما أفعل ما أفعل رحمةً بها؛ إنّما أريد كرامتها^(٤).

المحاسبة على قبول الأعمال الصالحة:

هكذا كانوا رضوان الله عليهم، كانوا يحاسبون أنفسهم على كلّ شيء.

كان منهم من يقوم الليل كلّهُ، ثمّ إذا جاء الفجر يقول: ترى أيقبل الله مني هذه الصّلاة فأهنأ، أم يردّها عليّ فأعزّي؟ إن كان يردّها عليّ فلا بدّ أن أتدارك ذلك بصيام النّهار، وإن كان قد قبلَ هذا القيام مني فعليّ أن أشكره بصيام النّهار! فيواصل الصّيام بالقيام.

(١) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٣٢٤/٢٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في التهجّد (١١٣٠)، ومسلم في صفة القيامة (٢٨١٩)، عن المغيرة بن شعبة.

(٣) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٤٢٧، ٤٢٦/٥٧).

(٤) ذكره الغزالي في الإحياء (٤٠٩/٤).



هؤلاء هم أهل الخشية من الله وَعَلَى.

هؤلاء هم عمّال الله تبارك وتعالى.

هؤلاء هم أهل المراقبة والمحاسبة.

التشبه بهذه القمم الشامخة:

إننا نتحدّث عن هؤلاء وكأننا نعيش في عالم آخر، فأين نحن وأين هذه الدُّرا وهذه القمم الشامخة؟

ولكننا نحاول أن نتقرّب من هؤلاء، عسى أن تلين القلوب الجامدة، عسى أن تحيا الأنفس الميّتة، عسى أن تستيقظ الضمائر الغافلة، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

كان داود الطائي يشرب الفتيت - الفتيت: خبز مبلول بالماء - ليس مفتتاً بالشُّوربة ولا بالحليب ولكن بالماء، ثم يبلعه. ف قيل له: ألا تأكل الخبز؟

فقال لهم: إنني وجدت بين شرب الفتيت وأكل الخبز قدر خمسين آية أتلوها من كتاب الله وَعَلَى ^(١)!

ما له يُضيّع هذا الأجر، وكلُّ ذلك ينتهي إلى المعدة، وكلّه ينتهي بعد ذلك إلى حيث يعرف الناس؟!

هؤلاء هم الأيقاظ، هم الأكياس: «الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت» ^(٢).

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥٣٠٢).

(٢) سبق تخريجه ص ٢٢٥.



هؤلاء هم الأيقاظ، هم الرجال:

إِنَّ اللَّهَ رَجَالًا فُطِنَا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
فَكَّرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ وَطْنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنًا^(١)

نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، وأن يغفر لنا ما مضى، ويُصلح لنا ما بقي.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) كان الإمام الطرطوشي يكثر إنشادها، كما في ترجمته في وفيات الأعيان (٢٦٢/٤)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.



الخطبة الثانية

أمّا بعد، أيُّها الإخوة:

فضل العمل الصالح في أيّام العشر:

نحن في العشر من ذي الحجة، و«ما العمل في أيّام أفضل منها في هذه العشر»^(١) كما جاء عن ابن عباس.

قيل: إنّها هي التي أقسم الله تعالى بها في قوله: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ [الفجر: ١، ٢].

ويُشرع صيام هذه الأيام والصدقة فيها، والتسبيح والتهليل والتكبير، وعمل الصالحات.

يضاعف الله تعالى المثوبة في هذه الأيام، وخصوصاً صوم التاسع «يوم عرفة»؛ فإنّ النبي ﷺ قال: «صيام يوم عرفة أحسب على الله أن يكفّر السنة التي قبله والسنة التي بعده»^(٢)، ولا بعيد على الله تبارك وتعالى أن يفعل ذلك، وما أكثر ذنوبنا التي تحتاج إلى تكفير، وإلى تطهير.

واحرصوا - أيُّها الإخوة - على التكبير عقب الصلوات، ابتداءً من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيّام التشريق (ثلاثة وعشرين صلاة).

شهود النساء صلاة العيد:

واحرصوا كذلك على صلاة العيد، وخذوا أولادكم، وليت الذين

(١) سبق تخريجه ص ١٧٢.

(٢) سبق تخريجه ص ١٧٢.

يُشرفون على المصلّيات هنا يجعلون مكاناً للمسلمات كما كان الأمر عند رسول الله ﷺ؛ فقد قالت أم عطية: أمرنا رسول الله ﷺ أن نُخرجهنَّ في الفطر والأضحى: العواتق والحَيَّض وذوات الخدور، فأما الحَيَّض فيعتزلن الصَّلَاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين، قلت: يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جلباب، قال: «لِثْبَسِهَا أُخْتُهَا مِنْ جَلْبَابِهَا»^(١).

فهذه سُنَّة هجرها النَّاس وأماتوها، «مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَ بَعْدِي، فَإِنَّ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا غَيْرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ»^(٢).

وقد أعجبني في العيد الماضي أن بعض المصلّيات جعلت مكاناً للنِّسَاء، فهذا يوم مهرجان إسلامي يحضر فيه الرجال والنِّسَاء والصبيان، حتَّى المرأة المعذورة الحائض تحضر، لا تشارك في الصَّلَاة، ولكن تشهد الخير ودعوة المسلمين.

إقامة سُنَّة الأضحى:

واحرصوا - أيُّها الإخوة - على إقامة سُنَّة الأضحى، وحبّذا لو أنَّ المسلم وكُل من يذبح له في بلد من البلاد الإسلاميَّة، المنكوبة بالمَجَاعَة أو الغزو أو نحو ذلك، ولجنة «مشروع كافل اليتيم» بقطر تقوم بهذا، كما نبّهنا في الأسبوع الماضي في أكثر من خمس وعشرين قُطْرٍ من الأقطار، فسارعوا إلى هذا والله تعالى يتولّاكم.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (٩٧١)، ومسلم (٨٩٠)، كلاهما في العيدين، عن أم عطية.
(٢) رواه الترمذي في العلم (٢٦٧٧)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في المقدمة (٢١٠)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٩٢): كثير بن عبد الله متروك واهٍ، ولكن للحديث شواهد. عن عمرو بن عوف المزني.



نداء لمساعدة المسلمين في البوسنة والهرسك:

وقد جاء من وزارة الأوقاف - جزاهم الله خير الجزاء - هذا النداء لمساعدة المسلمين في البوسنة والهرسك.

أيُّها الإخوة الكرام:

جميعنا يسمع ويرى ما يجري لإخوتنا المسلمين في البوسنة والهرسك من ذبح واغتصاب وتشريد وتقتيل وتدمير ونسف لبيوت الله، إنَّه سَيْلٌ عاتٍ من الإجرام والوحشية على أيدي عصابات الصُّرب الحاقدين المتوحّشين.

أيُّها الإخوة، إنَّ شعباً مسلماً كريماً يتعرّض للإبادة والإزالة من الوجود، تحت سمع وبصر العالم، الذي يكتفي بأن يقف متفرّجاً يتابع المأساة البشعة، ولا يكاد يفعل شيئاً لإيقاف العدوان، وإنقاذ الضّحية التي يتولّى الوحش الصُّربي تقطيع أوصالها، واستنزاف دماؤها، ويوماً بعد يوم، وقد مُنِع عنها السِّلَاح الذي تدافع به عن نفسها، بتواطؤ مشبوه ممّن يملكون القرار في عالم اليوم.

أخي المسلم:

كيف يهناً لك عيش، وتقرُّ لك عين، وإخوانك وأخواتك في الدين والعقيدة هناك يتعرّضون لهذا العدوان الغادر الغاشم، وليس لهم ذنب إلاَّ أنّهم مسلمون يقولون: ربُّنا الله؟

لقد حافظوا على هذه العقيدة السّميحة طوال العهود السّابقة، رغم الإلحاد الذي حكم بلادهم خمسة عقود من الزمن.

وهم من أبناء البلاد الأصليين وليسوا فيها دخلاء ولا غُرباء، فهل

هذه هي حقوق الإنسان في القرن العشرين، في ظلّ النظام العالمي الجديد؟

أيُّها الإخوة الكرام:

إنّ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تهيبُ بكم جميعاً، وتدعوكم أفراداً وشركات ومؤسّسات، أنْ تقوموا بأداء شيء من الواجب تجاه إخوانكم مسلمي البوسنة والهرسك، بالتبرُّع بما تستطيعون من أموال في الحسابات التّالية: حساب رقم (٩٧٠٤٧) في مصرف قطر الإسلامي، وحسابات أخرى على كلّ حال ممكن أنْ يقرأها بعض الإخوة عليكم، وهي تذايع باستمرار وموجودة في الجرائد، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

فعلاً - أيُّها الإخوة - كيف يهنأ لنا بال، ونجمع على موائدنا من الطّعام أطيبه، ومن الأشربة أعذبها، ونلبس أولادنا وأنفسنا من الثّياب أحسنها، وننعم بهذا كلّه، وإخواننا مُشرّدون مُعذّبون مُقتّلون مُدمّرون؟

لا يطيّب لنا عيش والله.

أقلُّ واجب: أنْ نمدّ يد المساعدة إلى هؤلاء ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً، والله يتقبّل منّا ويقبلنا.

اللهمّ أعزّ الإسلام وأيّد المسلمين.

اللهمّ اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهمّ عليك بأعدائك أعداء الإسلام.



اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم عليك بالصّريين الصّليبين
الحاقدين المتوحّشين، اللهم عليك بالهندوس المشركين المتعصّبين،
اللهم عليك بالشيوعيين الملحدين الجاحدين، اللهم عليك بالعلمانيين
اللا دينيين المنافقين، اللهم عليك بالظّلمة الطّغاة الجبّارين، اللهم ردّ
عنا كيدهم، وفلّ حدّهم، وأنزل على جمّعهم بأسك الذي لا يردّ عن
القوم المجرمين.

اللهم انصرنا نصراً مؤزّراً، وافتح لنا فتحاً مبيّناً، واهدنا صراطاً
مستقيماً، واجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا،
وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجزنا من خزي الدنيا والآخرة.

اللهم انصر إخواننا المستضعفين في كلّ مكان، اللهم احرسهم
بعينك التي لا تنام، واكلاًهم في كنفك الذي لا يضام.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سَخَاءَ رَحَاءَ، وسائر بلاد
المسلمين، اللهم احفظ شبابنا وبناتنا بالإسلام، اللهم أعزّهم بالإسلام
وأعزّ بهم الإسلام.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا
لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].



مَحَبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

تَحَدَّثْنَا عَنْ مَجْمُوعَةٍ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ، مِنْ الْعِبَادَاتِ الْبَاطِنَةِ، مِنْ
مَقَامَاتِ الصَّالِحِينَ وَمَنَازِلِ السَّائِرِينَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.
تَحَدَّثْنَا عَنِ الْوَرَعِ، وَالزُّهْدِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالشُّكْرِ، وَالصَّبْرِ، وَالْمِرَاقَبَةِ،
وَالْمَحَاسِبَةِ.

مَحَبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَعْظَمُ مَا يَتَنَافَسُ فِيهِ الْمُتَنَافِسُونَ:

وَنَتَحَدَّثُ الْيَوْمَ عَنْ مَقَامٍ مِنْ أَعْظَمِ مَقَامَاتِ الدِّينِ، وَمَنْزِلٍ مِنْ أَعْلَى
مَنَازِلِ الصَّالِحِينَ وَهُوَ: الْمَحَبَّةُ، مَحَبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

هَذَا أَعْظَمُ مَا يَحْرُصُ عَلَيْهِ الْحَرِيصُونَ، وَيَتَنَافَسُ فِيهِ الْمُتَنَافِسُونَ،
وَيَسْعَى إِلَيْهِ الْمُشْمَرُونَ.

أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَبْتَ:

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُهُ عَنِ السَّاعَةِ: مَتَى السَّاعَةُ؟

قال: «ما أعددت لها؟»

قال: يا رسول الله، ما أعددت لها كبير صيام ولا صلاة ولا صدقة، ولكنني أحب الله ورسوله.

قال: «أنت مع من أحببت»^(١).

ما دمت تحب الله ورسوله فأنت مع من أحببت.

محبة الله ورسوله هي الغاية التي ينتهي إليها العاملون.

أصناف الناس في المحبة:

الناس في المحبة أنواع، معظم الناس لهم محبوبات شتى، ولكنها تافهة هالكة:

هناك مَنْ محبوبه الدينار والدرهم، إليه يسعى، ومن أجله يتعب، وفي سبيله يقاتل.

هناك مَنْ محبوبه الجاه والمنصب، أو الشهرة والمحمدة.

هناك من محبوبه الكاس والطاس، والليالي الحمراء.

هناك من محبوبه امرأة يحني رأسه، أو يذل نفسه لأجلها.

هناك من أحبوا الدنيا وشهواتها: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ * ﴿قُلْ أُؤْتِيكُمْ بِهِ خَيْرٌ مِّنْ ذَلِكَ لِّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٧١)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٣٩)، عن أنس.

هؤلاء (الذين اتقوا) لا ترنو أبصارهم، ولا تشرَّب أعناقهم، ولا تتعلَّق قلوبهم، إلَّا بما هو أعلى من الدنيا، وأخلَد من الدنيا، وأعظم من الدنيا، إنَّما يتعلَّقون بالله تعالى وبمثوبته.

وما أحبُّوا الجنَّة إلاَّ لأنَّها محلُّ رضوانه، ومظهر كرامته، وموضع رحمته، ولذلك كان رضوان الله في الجنَّة أكبر من كلِّ نعيم الجنَّة ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التَّوْبَةُ: ٧٢].

أعظم ما يراه أهل الجنَّة:

أعظم ما يراه أهل الجنَّة هو انكشاف الحجاب بينهم وبين الله تبارك وتعالى، حين يكون الكفار محجوبين عن ربِّهم ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، ترى أولئك ينعمون بالنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

محبة الله ومحبة رسوله هي الغاية ترنو إليها بصائر المؤمنين.

أن يحبُّوا الله ورسوله وأن يحبَّهم الله ورسوله هي الغاية.

يحبُّهم ويحبُّونه:

وصف الله عباده المؤمنين الذين ادَّخرهم لنصرة الإسلام حين يرتدُّ المرتدُّون، ويمرِّق من الدِّين المارقون فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

أَوَّلُ أوصافهم أَنَّهُمْ: يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، اللَّهُ يُحِبُّهُمْ وَهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ،
مَحَبَّةً مُتَبَادَلَةً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يَنْصُرُونَ الْإِسْلَامَ.

أسباب محبة الله تعالى:

وكيف لا يُحِبُّ الإنسانُ اللهَ؟ كيف لا يُحِبُّ الإنسانُ ربَّه؟
كلُّ أسباب المحبة التي من أجلها يُحِبُّ الإنسانُ الأشياءَ أو
الأشخاصَ إنما تكتمل بالنسبة لمحبة الله تبارك وتعالى:

حُبُّ الإنسان لذاته يجعله يُحِبُّ الله:

١ - الإنسان يُحِبُّ نفسه، يُحِبُّ ذاته، وهذا يجعله يُحِبُّ الله قبل كلِّ
شيء؛ لأنَّ وجود ذاته من الله، ودوام وجوده من الله، وكمال وجوده من
الله؛ إذ لا قيام له بنفسه، هو مُخْدَتٌ مخلوق لم يكن شيئاً مذكوراً ثمَّ
كان، مَنْ الَّذِي أَخْرَجَهُ مِنْ ظِلْمَةِ الْعَدَمِ إِلَى نُورِ الْوُجُودِ؟ مَنْ الَّذِي جَعَلَهُ
شَيْئاً مذكوراً؟ مَنْ الَّذِي أَمَدَّهُ حَتَّى يَظْلَّ قَائِماً؟
إِنَّهُ (الله).

الإنسان لا وجود له من ذاته ولا بذاته، إنما وجوده برَّبِّهِ وَعِزَّتْ.
فمن كان يُحِبُّ نفسه ويحِبُّ ذاته، فليحِبَّ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِوُجُودِ
الذَّاتِ، ودوام الوجود، وكمال الوجود.

حُبُّ الإنسان لمن أحسن إليه يجعله يُحِبُّ الله:

٢ - الإنسان يُحِبُّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، مَنْ أَسَدَى إِلَيْكَ مَعْرُوفاً بغير
عوض ولا منفعة يرجوها منك تُحِبُّهُ، مَنْ عَلَّمَكَ لَوْجَهَ اللَّهِ وَاسْتَفَدْتَ مِنْهُ
شَيْئاً تُحِبُّهُ، مَنْ شَفَاكَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ وَكَانَ مَعَكَ رَقِيقاً رَفِيقاً فِي طَبِّهِ

وعلاجه تُحبُّه، كلُّ مَنْ أَسَدَى إِلَيْكَ خَدْمَةً أَوْ إِحْسَانًا تُحِبُّهُ؛ فالإنسان أسير الإحسان، ولهذا قال الشاعر قديماً:

أَحْسِنُ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْو فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ^(١)

ولكنَّ مصدر الإحسان كله هو الله تبارك وتعالى؛ كلُّ ما يحيط بك من نعم من قَرْنِكَ إِلَى قَدَمِكَ، عندما كنت صغيراً، وبعد أن صرت شاباً، وحينما تُصبح كهلاً، وحينما تَغْدُو شيخاً، الله هو صاحب النعم عليك، بل عندما كنت جنيئاً في بطن أُمِّكَ فَلُطِفَ اللهُ تبارك وتعالى بك وَفَضَّلَ اللهُ عليك دائماً، أَسْبَغَ عَلَيْكَ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴿ وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [النحل: ١٨].

حتى الإنسان الَّذِي يُسَدِي إِلَيْكَ مَعْرُوفًا أَوْ يَقْدِّمُ إِلَيْكَ خَدْمَةً أَوْ يَسَهِّلَ عَلَيْكَ عَمَلًا، الله هو الَّذِي يَسِّرُهُ لَكَ وَوَفَّقَهُ لِهَذَا الْعَمَلِ؛ فَالنَّعْمُ كُلُّهَا فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ مِنَ اللَّهِ وَإِلَى اللَّهِ.

فإذا كنت تُحِبُّ مَنْ يُحْسِنُ إِلَيْكَ فَأَحَبَّ اللهُ تبارك وتعالى، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «أَحْبَبُوا اللَّهَ لَمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحْبَبُونِي بِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحْبَبُوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي»^(٢).

الله هو الَّذِي يَغْذُوكُمْ بِالنَّعْمِ، لَوْلَا نِعْمُهُ مَا كُنْتُمْ لَكُمْ الْحَيَاةُ وَلَا اسْتَمَرَّتْ بِكُمْ الْحَيَاةُ.

(١) هو أبو الفتح البستي. انظر: قصيدة عنوان الحكم ص ٣٦، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) رواه الترمذي في المناقب (٣٧٨٩)، وقال: حسن غريب. والحاكم في معرفة الصحابة (١٦٢/٣)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. وأبو نعيم في الحلية (٢١١/٣)، وضعفه الألباني في فقه السيرة (٢٠)، عن ابن عباس.



حُبُّ الْإِنْسَانِ لِلْجَمَالِ: يَجْعَلُهُ يَحِبُّ اللَّهَ:

٣ - الإنسان يحبُّ الجمال، ولذلك نجد بعض النَّاسِ يحبُّون المناظر الطَّبيعيَّة، يحبُّون الخُضرة والماء والوجه الحسن، يحبُّون الوجوه الجميلة، قد يكون حبًّا بريئًا أو غير بريء، ولكن بفطرة الله تعالى في الأنفس يُحِبُّ النَّاسُ الجمال، ومصدر الجمال كلُّه هو الله تبارك وتعالى، هو الجميل الَّذي وهب الجمال لكلِّ شيء.

ليس كلُّ الجمال في الصُّورة، هناك جمال باطن؛ قد يُحِبُّ الإنسان إنسانًا إذا نظر إلى وجهه أو صورته لا يعتبره شيئًا، ولكن هناك جمالًا في أخلاقه، في معاملته، في عقله، في علمه، في سيرته، في تدبيره، فيحبُّه الإنسان لهذا. والجمال الإلهي جمالٌ فوق كلِّ جمال، لا يُدرك بالبصر إنَّما يُدرك بنور البصيرة؛ فالله هو مصدر الجمال كلِّه.

ولذلك من أحبَّ الجمال فليحبَّ الله الَّذي بثَّ الجمال في الكون كلِّه ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [السَّجْدَة: ٧]، ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النَّمْل: ٨٨].

ولذلك إذا كان الشَّاعر - كما قالوا - يرى الجمال في كلِّ شيء، حتَّى في النَّبْتة في الأرض أو النُّجْمَة في السَّماء، فإنَّ المؤمن يرى جمال الله تعالى في كلِّ شيء، ينظر إلى كلِّ جميل في الدُّنيا فيرى أنَّ الله هو صانع هذا الجمال، وخالق هذا الجمال، فيحبُّ الله تبارك وتعالى.

حُبُّ الْإِنْسَانِ لِلْكَمَالِ يَجْعَلُهُ يَحِبُّ اللَّهَ:

٤ - الإنسان يحبُّ الكمال، أولع الإنسان بِحُبِّ الكمال، ولذلك نجد النَّاسَ يحبُّون العباقرة، يحبُّون التَّوابع، يحبُّون الأبطال والشُّجعان، حتَّى إنَّ كثيرًا من عوام النَّاسِ نجدهم إذا قرؤوا قصصًا مثل قصة عنتره بن

شداد وقد كان رجلاً في الجاهليّة، أو قصة أبي زيد الهلالي أو نحو ذلك، يتعلّقون بهؤلاء الأبطال.

وأحياناً تقف القصة على موقف معيّن: أن أسر، أو هرم، أو نحو ذلك، فلا ينام الليل كلّ؛ لأنّه مشغوف بهذا البطل! ذلك من حبّ الإنسان للكمال. ولكن الكمالات البشريّة كلّها كمالات نسبية، وكلّها كمالات مخلوقة، مُستَمَدّة من كمال الخالق الأعظم الذي وهب كلّ كمال لأصحابه. الكامل المطلق هو الله تبارك وتعالى، إنّه مُتَّصِفٌ بكلّ كمال، مُنَزَّه عن كلّ نقص.

كمالات الله تعالى لا تنهاى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، هو صاحب الأسماء الحُسنى والصفات العلى، ولهذا تتوجّه أنفس المؤمنين إليه إذا عَرَفُوهُ حقَّ معرفته.

المحبّة تتحقّق بالمعرفة:

ولذلك لا تتحقّق المحبّة إلّا بالمعرفة، مَنْ عَرَفَ الله حقَّ معرفته أحبّه، وكلّما ازدادت المعرفة، ازداد الحبُّ لله ﷻ، ولذلك كان الأنبياء أكثر النَّاس حبّاً لله تبارك وتعالى، وكان محمّد ﷺ أشدَّ النَّاس حبّاً لرَبِّه؛ لأنّه أعرفهم به ﷻ.

إذا عرفنا الله، وعرفنا كماله، وعرفنا جماله، وعرفنا إحسانه ونعمه، فإنّنا نحبّه، بل لا نحبُّ إلّا إيّاه، ولا يستحقُّ الحبّ غيره.

حُبُّ المشركين غير الله:

للأسف هناك أناس أحبُّوا غير الله، حتّى وجدنا الكفار يحبُّون أصنامهم، وهناك من يُحبُّ أصناماً وإن لم تكن من حجارة، يحبُّون أهواءهم

وشهواتهم أو نحو ذلك، وفي هذا يقول تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] اتَّخَذُوا شُرَكَاءَ يَشْرِكُونَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْحُبِّ وَالْوَلَاءِ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] لا يضاهيهم أحدٌ، ولا يدانيهم أحدٌ في حُبِّ الله تبارك وتعالى. هذه هي أسباب المحبة.

علامات المحبة:

ولكن ما المحبة؟ هل لها علامات؟

هناك من يدَّعي أنه يُحِبُّ الله، ولكن ما أكثر الدَّعوى وما أعزَّ المعنى؛ ليست المحبة كلاماً يقال؛ المحبة شعور يستولي على القلب يظهر أثره بعد ذلك في أعمال الإنسان كلّها؛ في قوله وفعله وتركه وعلاقته بربه وعلاقته بخلقه.

اتباع منهج الله:

١ - أوّل علامات المحبة: أن يتَّبَعَ الإنسان منهج الله وَعَلَيْهِ.

من ادَّعى محبة الله فعليه أن يسلك الطريق الذي رسمه الله وَعَلَيْهِ، وإلا كانت المحبة دعوى بلا معنى، وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى لرسوله: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

علامة محبته: اتباع منهج الله الذي دَعَا إليه رسوله ﷺ: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

أمّا أن تُدَّعى المحبة، ولكن الإنسان يدع طريق ربه إلى سُبُل الشَّيَاطِينِ عن يمين وشمال، فهذا ليس من المحبة في شيء، كما قال الإمام عبد الله بن المبارك:

تعصي الإله وأنت تُظهر حُبَّه هذا لَعَمري في الفعال بَدِيعُ
لو كان حُبُّكَ صادقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لَمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ^(١)
ولذلك علامة المحبة لله ولرسوله: طاعة الله ورسوله، والالتزام
بمنهج الله ﷺ وبسنة رسوله ﷺ.

هكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم، كانوا يحبُّون الله ويحبُّون
رسوله ﷺ، بما لم يُعرف في التاريخ مثله، حتَّى إِنَّ أحدهم جيء به على
خشب الصَّلب ليُصلَّب قيل له: أَتُحِبُّ أَنْ يكون مُحَمَّد في مكانك وأنت
في بيتك بين أهلك وولدك؟

قال: والله ما أُحِبُّ أَنْ يكون رسولُ الله ﷺ في مكانه الَّذي هو فيه
تصيبه شوكة في قدمه.

فقال المشركون: ما رأينا أحدًا يحبُّ أحدًا كحُبِّ أصحاب مُحَمَّد
لِمُحَمَّد^(٢)!

وإنَّما أَحَبُّوا رسول الله؛ لأنَّه دليلهم إلى الله، وهاديهم إلى طريق الله.
مَنْ أَحَبَّ الله، أَحَبَّ مَنْ أرسله الله إليه، وَمَنْ دَلَّهم عليه.

موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه:

٢ - علامة محبة الله: أَنْ تُحِبَّ أحبابه، وتُوالي أوليائه، وتُعادي أعداءه.
وفي الحديث الصحيح المتفق عليه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مِنْ كَرٍّ
فيه وجد حلاوة الإيمان: أَنْ يكون الله ورسوله أَحَبَّ إليه ممَّا سواهما،

(١) انظر: تاريخ دمشق (٤٦٩/٣٢).

(٢) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٩٩٩). والقائل هو أبو سفيان بن حرب، قبل أن يسلم.

وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ»^(١).

الإحسان:

٣ - إِذَا كُنْتَ تُحِبُّ اللَّهَ وَتُحِبُّ أَنْ يُحِبَّكَ، فَكُنْ مُحْسِنًا، سَوَاءَ فَسَّرْنَا الْإِحْسَانَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

أَوْ فَسَّرْنَا الْإِحْسَانَ بِإِتْقَانِ الْعَمَلِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ»^(٢).

إِذَا شِئْتَ أَنْ يُحِبَّكَ اللَّهُ، فَأَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ عَمَلَكَ.

التوكل على الله:

٤ - إِذَا شِئْتَ أَنْ يُحِبَّكَ اللَّهُ، فَاعْتَصِمِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

تقوى الله:

٥ - إِذَا كُنْتَ حَرِيصًا عَلَى أَنْ يُحِبَّكَ اللَّهُ، فَكُنْ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

التَّطَهَّرْ حَسًّا وَمَعْنَى:

٦ - الطَّهَارَةُ الْحَسِيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ: إِذَا كُنْتَ حَرِيصًا عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ، فَتَطَهَّرْ دَائِمًا، تَطَهَّرْ حَسِيًّا، وَتَطَهَّرْ مَعْنَوِيًّا؛ تَطَهَّرْ مِنَ النَّجَاسَاتِ وَالْأَقْذَارِ، وَتَطَهَّرْ

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٦)، وَمُسْلِمٌ (٤٣)، كِلَاهُمَا فِي الْإِيمَانِ، عَنْ أَنَسٍ.

(٢) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ ص ٣٥٣.

من السَّيِّئَاتِ وَالْأَوْزَارِ، فَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ قَوْمًا بِقَوْلِهِ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا لِلَّهِ مِغْفَرًا لِمَا هُمْ فِيهِ مُضِرَّينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

التَّوْبَةُ:

٧ - إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يُحِبَّكَ اللَّهُ، فَتُبْ إِلَى اللَّهِ كُلَّمَا نَزَلَتْ بِكَ مَعْصِيَةٌ أَوْ زَلَّتْ قَدَمُكَ إِلَى مَا يُسْخِطُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ارْجِعْ بِسُرْعَةٍ إِلَيْهِ، وَبَادِرْ لِتَقْرَعَ بَابَ التَّوْبَةِ، فِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

الصَّبْرُ:

٨ - إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يُحِبَّكَ اللَّهُ، فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَنْزِلُ بِكَ مِنْ بَلَاءٍ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي شَأْنِ الرِّبَّانِيِّينَ الَّذِينَ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَجَلَّ:

٩ - إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يُحِبَّكَ اللَّهُ وَجَلَّ، فَضَعْ يَدَكَ فِي يَدِ إِخْوَانِكَ فِي الْمَعْرَكَةِ عِنْدَمَا يَدْعُو دَاعِيَ الْجِهَادِ، كُنْ مَعَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِينَ مَرْصُورًا﴾ [الصف: ٤].

مَوَانِعُ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ:

أَمَّا إِذَا كُنْتَ تَخْشَى أَنْ لَا يُحِبَّكَ اللَّهُ وَجَلَّ، فَابْتَعدْ عَنْ كُلِّ مَا لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

١ - الظلم والاعتداء:

لا تظلم؛ فإن الله لا يحب الظالمين.

لا تعتدي على حرمة أحدٍ أو حق أحد، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

٢ - الاختيال:

لا تختل بنفسك، ولا تفتخر على غيرك؛ فإن الله ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

٣ - الخيانة:

لا تكن خائناً؛ فإن الله لا يحب الخائنين، والله ﴿لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَشِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧].

٤ - الكفر بنعمة الله:

لا تكن كافراً بنعمة الله؛ فقد قال الله تعالى في شأن أهل الربا: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

٥ - الإفساد في الأرض:

لا تفسد في الأرض؛ فقد قال الله تعالى في شأن اليهود: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

لا تسع في أي شيء يغضب الله تبارك وتعالى، ولا تكن ممن لا يحبهم الله وعجل، وقد ذكر لنا الكثير من هؤلاء الأنواع الذين لا يحبهم الله تبارك وتعالى.

ابتعد عن هؤلاء، ابحث عمن يحبهم الله، واسلك نفسك في زمرتهم،
وتشبه بهم إن لم تكن منهم:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم **إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالرَّجَالِ فَلَاحٌ^(١)**

طريق محبة الله يتطلب عزماً وتصميماً:

إذا أردت أن يحبك الله **وَعَجَلَ**، فاعلم أن طريق محبة الله طويل، ولكن
من سار على الدرب وصل.

المهم هو النية والتصميم: «وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٢).

التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل:

أد فرائض الله تبارك وتعالى، وزد على ذلك بالنوافل؛ فقد جاء في
الحديث القدسي الذي رواه البخاري: «وما تقرب إلي عبدي بشيء
أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى
أُحِبَّهُ، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به،
ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن
استعاذ بي لأُعِيذَنَّهُ»^(٣).

أداء الفرائض يرفعك إلى منزلة القرب من الله: «وما تقرب إلي عبدي
بشيء أحب إلي مما افترضت عليه».

وأداء النوافل يرفعك إلى مقام الحب لله سبحانه، وهو أعلى
«وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحِبَّهُ».

(١) من شعر السهروردي المقتول. انظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٣٩٧/٢١).

(٢) سبق تخريجه ص ٢٣٦.

(٣) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢)، عن أبي هريرة.



البحث عن أحب الأعمال إلى الله:

بل الذي يحبُّ الله وَعَجَّلَ يحاول أن يبحث عن أحبِّ الأعمال إلى الله، لا يكتفي من الأعمال بما يحبُّه الله، بل بأحبِّ الأعمال.

ولهذا كان الصَّحابة رضوان الله عليهم لحرصهم على الدَّرجات العُلى والتَّسابق في مَيْدان الخيرات يسألون عن أحبِّ الأعمال إلى الله، فيقول لهم: أحبُّ الأعمال إلى الله كذا وكذا؛ «الصَّلَاة على وقتها، برُّ الوالدين، الجهاد في سبيل الله»^(١).

«أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ»^(٢).

استباق الخيرات:

هذا هو الذي ينبغي أن يحرص عليه المتسابقون في ميدان الخيرات: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٤٨].

مَنْ أَحَبَّ الله ورسوله فعليه أن يبذل، لا يبخل بما يريد الله تعالى منه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١]، ولذلك قَدَّمَ الَّذِينَ أَحَبُّوا الله تعالى الأنفس هيَّنة، والأموال رخيصةً، والحياة وكلَّ ما يملكون في سبيل الله، لم يصرفهم عن ذلك «شَحُّ هَالع، ولا جبن خالع»^(٣)، وإنما جاهدوا ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في مواقيت الصَّلَاة (٥٢٧)، ومسلم في الإيمان (٨٥)، عن ابن مسعود.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٤٨.

(٣) سبق تخريجه ص ١٠٩.

المفاصلة الحاسمة بين حب الله ورسوله، وحب الدنيا وما يتعلق بها:

لقد وضعها القرآن مفاصلة حاسمة بين حب الله ورسوله من جانب، وحب الدنيا وكل ما يتعلق الناس به فيها من جانب آخر.

ضَعُ هذا في كَفَّة المِيزان وَضَعُ تلك في الكَفَّة الأخرى، ثُمَّ انظر أَيَّ الكَفَّتَيْنِ أَرْجَحُ عندك.

اسمعوا هذه الآية: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

كل هذه في كفة: آباؤكم، أبنائكم، إخوانكم، أزواجكم، عشيرتكم، الأموال التي جمعتموها، التجارة التي تخشون كسادها، المساكن والأوطان التي ترضونها. إذا كان هذا كله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤]، وهذا وعيد وتهديد، ثم ختمه بقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

أَمَّا الصَّحَابَةُ رضوان الله عليهم فقد أجابوها صريحة: الله ورسوله، وحب الله ورسوله، فوق الأموال والأولاد والديار والأوطان والأهل والعشيرة.

ضَحُّوا بهذا كله في سبيل الله، وتركوا كل شيء لله، هاجروا من أوطانهم، أخرجوا من ديارهم بغير حقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا: رَبُّنَا اللَّهُ.

تركوا الأولاد والأزواج والآباء والأبناء إذا كان ذلك حائلاً بينهم وبين حب الله ورسوله.

ربح البيع:

حينما أراد صُهَيْبُ أَنْ يُهَاجِرَ - وَهُوَ رَجُلٌ رُومِيٌّ الْأَصْلُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
عَشِيرَةٌ فِي مَكَّةَ تَحْمِيهِ - لَحِقَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ يَمْنَعُونَهُ مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَى اللَّهِ
وَرَسُولِهِ، وَقَالُوا لَهُ: لَقَدْ جِئْتَنَا فَقِيرًا ثُمَّ أَنْتَ الْآنَ صَاحِبُ مَالٍ وَثَرَةٍ.

قال: أَمَّا إِذَا تَرِيدُونَ مَالِي فَدُونَكُمْ أَدْلُكُمْ عَلَيْهِ، وَأَمَّا إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ
تَحُولُوا بَيْنِي وَبَيْنَ الْهَجْرَةِ فَقَدْ عَلِمْتُمْ - وَاللَّهُ - أَنِّي مِنْ أَرْمَاحِكُمْ رَجُلًا، وَاللَّهُ
لَأَرْمِيَنَّكُمْ بِكُلِّ سَهْمٍ فِي كِنَانَتِي.

قالوا: مَا نَرِيدُ إِلَّا الْمَالَ.

قال لهم: دُونَكُمْ هُوَ فِي الْمَكَانِ الْفُلَانِي.

قالوا: نَسْتَبْقِيكَ حَتَّى نَسْتَوْثِقَ، فَذَهَبُوا فَوَجَدُوا الْمَالَ، وَأَخَذُوهُ،
وَاشْتَرَى نَفْسَهُ بِهَذَا كُلِّهِ.

ولذلك حينما ذهب إلى المدينة قال له النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا يَحْيَى، رِبْحُ
الْبَيْعِ، رِبْحُ الْبَيْعِ، رِبْحُ الْبَيْعِ»^(١).

قالوا: وَفِي مِثْلِهِ نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ
أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

الَّذِينَ يَشْتَرُونَ النَّارَ وَيَبِيعُونَ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَجَلَّ:

هناك من النَّاسِ مَنْ يَبِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجِهَادًا فِي سَبِيلِهِ بِثَمَنِ بَخْسٍ،
دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ، يَبِيعُ دِينَهُ وَيَبِيعُ شَرَفَهُ وَيَبِيعُ كُلَّ مَا يَحْرَصُ النَّاسُ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْلِ دَرَاهِمٍ رُبَّمَا تُسْرِقُ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ تُنْفَقُ وَيَذْهَبُ أَثَرُهَا، أَوْ مِنْ
أَجْلِ مَنْصَبٍ، أَوْ مِنْ أَجْلِ شَيْءٍ تَافَهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا.

(١) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (٤٥٢/٣)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن صهيب.

وما أكثر الذين باعوا الله ورسوله ورضوا بالدُّون والحياة الهون.
هؤلاء الذين نراهم يعصون الله تبارك وتعالى، الذين أضاعوا
الصَّلوات واتبَعوا الشَّهوات، الذين نراهم في كلِّ مكان يبغون في الأرض
بغير الحقِّ، يأكلون أموال النَّاس بالباطل، يستمرئون الاعتداء على البشر،
المختالون الفخورون والمغرورون بقوَّتهم، الذين يظنُّون أنَّ الدُّنيا دائمة
لهم، وأنَّ الموت بعيد عنهم، وأنَّ الله تعالى ليس لهم بالمرصاد، هؤلاء
الطَّغاة البغاة الذين يُعَذِّبون خَلْقَ الله، والذين طَغَوْا في البلاد فأكثروا فيها
الفساد، هؤلاء بعيدون كلَّ البعد عن محبَّة الله، ولا يفكِّرون في محبَّة الله.
هذا الذي لا يُصَلِّي، هذا الذي يستمرئ المعصية، تلك المرأة التي
تمشي وقد كشفت شعرها وذراعها، تلك التي تطلُّ علينا من التَّلَفاز وقد
زيَّنت نفسها ليراها النَّاس بالملايين في كلِّ مكان من أجل أن تشتهر، أو
من أجل أن تقبض راتبًا آخر الشَّهر، وتفتخر بذلك، ومعصيتها مستمرة،
وتمتدُّ كلَّما رآها عددٌ أكبر وكلَّما ظهرت صورتها أكثر.
ما أكثر الذين يشترون النَّار ويبيعون محبَّة الله وعَجَل، ما أصبرهم على
النَّار، ما أرخص صنعتهم، ما أرخص ما أخذوا وما أغلى ما تركوا.

من حِكَم ابن عطاء الله:

رضي الله عن ذلك الرجل الصَّالح الذي قال: إلهي، ماذا وَجَدَ مَنْ
فقدك؟ وما الذي فقدَ مَنْ وجدك؟

لقد خاب من رضي دونك بدلًا، وقد خسر من بغى عنك متحوَّلًا،
عَمِيَتْ عَيْنٌ لا تراك عليها رقيبًا، وخسرت صفقة عبدٍ لم تجعل له من
حبِّك نصيبًا^(١)!

(١) حِكَم ابن عطاء الله بشرح العارف بالله الشيخ زروق ص ٥٠٧، ٥١٨.

فَقَدْ حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ:

ما أَضْيَعَ أولئك الَّذِينَ أَضَاعُوا مَحَبَّةَ اللَّهِ وَحَبْلَهُ، لَمْ يَشْعُرُوا بِهَذِهِ الْحَلَاوَةِ الَّتِي حَدَّثَنَا عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِيمَا رَوَاهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ»^(١).

١ - «أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»:

وَلَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِذَلِكَ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٢).

وَقَدْ قَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي.

قَالَ: «لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ».

وَأَخَذَ عُمَرُ يَرَاجِعُ نَفْسَهُ، ثُمَّ وَجَدَ أَلَّا نَجَاةَ لِنَفْسِهِ، وَلَا خَلَاصَ لَهَا، وَلَا سَعَادَةَ لَهَا، إِلَّا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: فَإِنَّهُ الْآنَ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ»^(٣).

هَذَا تَمَّ إِيمَانُكَ.

(١) سبق تخريجه ص ١٠.

(٢) سبق تخريجه ص ١٠.

(٣) رواه البخاري في الأيمان والتُّدُور (٦٦٣٢)، عن عبد الله بن هشام.

٢ - «وَأَنْ يَحِبَّ الْمَرْءُ لَا يَحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ»:

لأنَّه مِنْ أَحِبَابِ اللَّهِ - مِنَ الَّذِينَ يَطِيعُونَ اللَّهَ، مِنَ الَّذِينَ يَنْصُرُونَ دِينَ اللَّهَ، مِنَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ لِلَّهِ، مِنَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ الْخَيْرَاتِ، فَيُحِبُّهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، لَا لِقَرَابَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، لَا لِمَصْلَحَةٍ لَهُ عِنْدَهُ، لَا لَخِدْمَةٍ يَرْجُوهَا مِنْهُ، إِنَّمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَلِذَلِكَ قَدْ يَحِبُّهُ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُ جِبَالٌ وَبَحَارٌ وَوُدْيَانٌ، وَرَبِّمَا لَمْ يَلْقَهُ فِي حَيَاتِهِ قَطُّ؛ لِأَنَّهُ يَحِبُّهُ اللَّهُ.

٣ - «وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ»:

يَكْرَهُ الْكُفْرَ كَرَاهِيَةَ النَّارِ، وَإِذَا كَرِهَ الْكُفْرَ كَرِهَ أَهْلَهُ، فَمَحَبَّةُ اللَّهِ تَقْتَضِي أَنْ تُحِبَّ أَوْلِيَائِهِ وَأَنْ تَكْرَهُ أَعْدَاءَهُ، «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ: الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالبَغْضُ فِي اللَّهِ»^(١).

هذه هي المحبة، وقد قال الإمام الغزالي: الآيات والأحاديث والآثار فيها أكثر من أن تحصى^(٢).

الردُّ على دعوى المستشرقين في أنَّ المحبة أمر دخيل على الإسلام:

ومع هذا نجد من المستشرقين والمبشِّرين من يقول: إنَّ المحبة أمر دخيل على الإسلام، وإنَّ المحبة إنما هي في المسيحية!

بينما لا يوجد في المسيحية إلَّا نصٌّ أو نصَّان، كلمة أو كلمتان عابرتان: الله محبة، أو نحو ذلك.

(١) رواه أحمد (١٨٥٢٤)، وقال مخرَّجوه: حسن بشواهده. والطيالسي (٧٨٣)، وابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٤٧٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٣٠): حسن بمجموع طرقه. عن البراء بن عازب.

(٢) انظر ما ذكره الإمام الغزالي عن شواهد الشرع في حبِّ العبد لله تعالى في كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، ربع المنجيات من الإحياء (٢٩٣/٤ - ٣٠٧).

أَمَّا الْقُرْآنُ، فهو مليء بالآيات، والسُّنَّة مليئة بالأحاديث، والصَّحابة والتَّابعون وأئمة الأُمَّة رُويَ عنهم الآثار الكثيرة الوفيرة، ومع هذا يقولون: إِنَّ الْإِسْلَامَ يقوم على الخوف، ولا يقوم على الحبِّ، إِنَّ إِلَهَ الْإِسْلَامِ هو إِلَهُ الْجَبَّارِ المنتقم، وليس إِلَهُ الَّذِي يُحَبُّ!

كذبوا والله، بل إِلَهُ فِي الْإِسْلَامِ أَوَّلُ مَا يَتَعَرَّفُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ: أَنَّهُ «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ»، ولذلك بدأ الْقُرْآنَ بالبسملة، وبدأت سورته كُلُّهَا - إِلَّا سورة واحدة - بالبسملة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ:

أَحِبُّوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

مَنْ لَمْ يَشْعُرْ بِهَذِهِ الْمَحَبَّةِ فَلْيَسْعَ إِلَيْهَا؛ لِيَتَعَرَّفَ عَلَى آلاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِهِ، وَلِيَنْظُرَ جَمَالَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، وَكَمَالَ اللَّهِ تَعَالَى يَمَا يَتَجَلَّى لَنَا بِهِ مِنْ أَفْعَالِهِ؛ حَتَّى نُحِبَّ اللَّهَ أَعْظَمَ الْحَبِّ، فَإِذَا أَحْبَبْنَا اللَّهَ أَحَبَّنَا اللَّهُ، وَإِذَا أَحَبَّنَا اللَّهُ كَانَ لَنَا نِعَمُ الْمَوْلَى وَنِعَمُ النَّصِيرِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ.

* * *





زلزال تسونامي^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

وجوب التأمل في الكوارث الكونية:

منذ عشرة أيام وقع حادثٌ هائلٌ، ذلك الزلزال الرهيب الذي وقع في شرقي آسيا، فقتل عشرات الألوف، وشرّد الملايين، وهدم المنازل، وخرّب الديار، وترك بعده آثارًا إلى الآن لا زال النَّاسُ يحاولون أن يتخلّصوا من ويلاتها.

هذا الزلزال الرهيب، وما تبعه من مدّ بحريٍّ يشبه الطوفان، ينبغي أن يقف النَّاسُ عنده، ويتأمّلوا فيه، ويأخذوا منه العبر والدروس.

هذا الزلزال الذي ارتجفت له القلوب، وارتعشت له الأبدان، وزاغت منه الأبصار، يجب أن يعتبر النَّاسُ به.

(١) أُلقيت بتاريخ ٣١ ديسمبر ٢٠٠٤م، وقع زلزال تسونامي في يوم ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٤م، في جنوب شرق آسيا (إندونيسيا، وتايلاند، وسريلانكا، وبنغلاديش، والمالديف، وماليزيا، والهند)، وتسبب في وقوع موجات مدّ أسفرت عن مقتل أكثر من مليون إنسان، ودُمّر المئات من المدن والقرى.

موقف النَّاس من الزَّلْزَال:

قال مَنْ قال: إِنَّ هذا هو غضب الطبيعة، كأنَّ الطبيعة تعقل وتعي، وترضى وتغضب، وتحب وتكره، وتعطي وتمنح؛ والطبيعة مخلوقة مُسَخَّرَةٌ لا عقل لها، يُسَخَّرُها ربُّها كما يُسَخَّرُ كلَّ مخلوقاته؛ الله هو الفاعل الواحد في هذا الكون، كلُّ ما يحدث في الكون من حركة أو من سَكَنَة، من خير أو شرٍّ، من عافية أو من بلاء، من سرَّاء أو من ضرَّاء إنما يقع بإرادة الله ﷻ، ويقع بقدرته ويقع بعلمه، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ أَلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

كثرة الزلازل من أشرار الساعة:

لماذا وقعت هذه الحوادث؟ لماذا تقع هذه الزلازل بين الحين والحين؟ ولماذا كثرت؟

قد جاء في صحيح البخاري، عن أبي هريرة، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، ويتقارب الزمان، وتكثر الزلازل والفتن»^(١).

يقبض العلم علم النبوة، أما العلم الطبيعي، والعلم الرياضي فهو على أشده، بلغ فيه الإنسان ما بلغ، ولكن العلم الَّذِي يُقْبَضُ ويقلُّ هو علم النبوة، علم الهداية الإلهية، يُقْبَضُ العلم، ويتقارب الزمان فلا يكون في الزمان بركة، وإنْ وَصَلَ الإنسان إلى اختصار الزمان، واختصار المسافات بواسطة العلم العصري، ولكن الزمان لا بركة فيه، وتكثر الزلازل كما نراها الآن بين الحين والحين، زلزال هنا وزلزال هناك.

(١) رواه البخاري في الجمعة (١٠٣٦).

كثرة الزلازل تدلُّ على جهل الإنسان وضعفه:

هذه الزلازل - التي تكثُر - دلَّتنا على أمرين مهمَّين:

الأمر الأول: مدى جهل الإنسان بما حوله:

وإن بلغ في العلم ما بلغ، وانتصر في الثورات العلمية المعروفة، الثورة التكنولوجية، والثورة الإلكترونية، والثورة النووية، والثورة الفضائية، والثورة البيولوجية ثورة الجينات، وثورة الاتصالات، وثورة المعلومات، رغم هذا كلُّه يجهل الإنسان الزلازل حتَّى تحدث.

لم يستطع العلم الحديث أن يتنبَّأ بهذه الزلازل، منذ سنوات قال الصينيون: أنَّهم استطاعوا أن يتنبَّؤوا بوقوع الزلازل، ودَعَوْا إلى مؤتمر جمعوا فيه الخبراء والعلماء من أنحاء العالم؛ ليتدارسوا ذلك، وأثناء اجتماعهم وقع زلزال لم يكن لهم به علم، ولم يخطر لهم على بال.

هذا هو شأن الإنسان؛ ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

والعجيب أنَّ الله أعطى الحيوانات حاسة لا يملكها البشر، تستطيع أن تُدرك الزلزال قبل أن يقع بقليل، فتفر من أماكنها، وترتحل عن مواضعها أفواجاً وجماعات؛ الغزلان، والأبقار في المراعي، هذه المخلوقات تترك المكان قبل الزلزال.

أوتيت الحيوانات هذه الحاسة، ولم يؤتها الإنسان، وهذا يدلُّ على مدى جهل الإنسان المغرور.

الأمر الثاني: ضعف الإنسان:

ودلَّت الزلازل كذلك على ضعف الإنسان أمام قوَّة الله، ضعف

المخلوق أمام قدرة الخالق، ﴿وَحُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت: ٢٢]، الإنسان الذي فجر الذرة، وغزا الكواكب، ووصل إلى الاستنساخ والجينوم البشري، الإنسان الذي صنع الكمبيوتر والإنسان الآلي، الإنسان الذي استطاع أن يحلّق في الهواء كالطير، وأن يسبح في الماء كالسمك، هذا الإنسان لا زال ضعيفاً أمام هذه القوارع الإلهية التي تفاجئه، من حيث لا يحتسب، وتفاجئه من حيث لا يشعر، لم يستطع أن يفعل معها شيئاً، هذه الكوارث الإلهية لا يستطيع الإنسان المغرور بقوّته أن يفعل معها شيئاً.

أمريكا - على جبروتها واستكبارها في الأرض، وتألّوها في الأرض - تجتاحها الأعاصير ما بين الحين والحين، ولا تستطيع أن تردّها، ولا أن تدفعها، كلُّ ما تستطيعه أن تعالج بعض آثارها.

واليابان - على رغم قوّتها التكنولوجية والاقتصادية - لا تستطيع أن تفعل أمام الزلازل شيئاً، هذا الشيء الهائل الذي يفاجئ الإنسان، هذه الأرض الذلول التي نمشي في مناكبها، ونأكل من رزق الله فيها، سرعان ما تتحوّل إلى وحش كاسر، إلى تين مخيف يفغر فاه، يبتلع ما فوقه، ويُدمّر ما حوله، ولا يملك النّاس أمامه شيئاً.

معرفة الإنسان قدر نفسه:

أيّها الإنسان المغرور بقوّته، أيّها الإنسان المدلُّ بعلمه:

اعرف ضعفك وعجزك أمام قدرة الله وعِزِّكَ.

أيّها المتكبرون تواضعوا، أيّها المغرورون اعرفوا قدر أنفسكم.

الدروس والعبر المستفادة من الزلازل:

ماذا نأخذ - أيها الإخوة - من هذه الزلازل من عبر ودروس؟

الدرس الأول: عقاب الله لمن يتعدى حدوده:

إنَّ هذا الزلزال عقوبة قدرية، عقوبة سماوية من الله تبارك وتعالى للنَّاس إذا أفسدوا في الأرض، إذ تحلَّلوا من الفضائل، إذا تعدَّوا حدود الله، إذا أكلوا حقوق النَّاس، إذا غرَّتْهم أنفسهم، وإذا غرَّتْهم دنياهم، وغرَّهم بالله الغرور، لا بدَّ أن يعاقبهم الله.

الرَّدُّ على من يقول: ما علاقة الكوارث بالطاعات والمعاصي؟

هناك من يقول: ما علاقة هذه الزلازل والبراكين والأعاصير بالطاعات والمعاصي، والصالح والفساد، والخير والشر؟

نحن نقول لهؤلاء: إننا - نحن المسلمين - نؤمن بالله يسيطر على هذا الكون، ويُدبِّر كلَّ ما فيه، ولا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، هذا الإله العظيم يسخر هذه الحوادث؛ ليعلِّم الجاهلين، ويُنَبِّه الغافلين، هناك ارتباط بين الذنوب والمعاصي من جهة، وبين عقاب الله من جهة أخرى، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، يعني: لا يأخذنا الله بكلِّ الذنوب، بل يعفو عن كثير.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ﴾ [النساء: ٧٩].

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢].

﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

المخلوقات جند من جنود الله يعذب بها الطغاة والمتجبرين:

إنَّ الله يسخر هذه المخلوقات ليعذب الطغاة والمتجبرين، سخر الله الماء لإغراق قوم نوح بالطوفان، وإغراق فرعون وقومه في البحر، وسخر الله الريح ليهلك بها عادًا، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا، وسخر الصواعق ليهلك بها ثمود، الله يسخر هذه المخلوقات ليؤدب بها بعض عباده.

نحن نعلم أنَّ هذه الكوارث من جنود الله، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، يجند الله هذه الجنود لينبّه ويؤدب ويعاقب من تجبر من عباده وأفسد، ومن طغى في البلاد، وأكثر فيها الفساد: ﴿فَاكْثُرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٢ - ١٤].

فالله ﷻ يراقب ولا يخفى عليه شيء، وهذا ما يصنعه القدر؛ فالقدر يعاقب هؤلاء المفسدين.

سبب وقوع الزلزال في هذه المنطقة وهذا الوقت:

انظروا - أيها الإخوة - لا بد أن يسأل الناس أنفسهم: لماذا وقع الزلزال في هذه المنطقة دون غيرها؟ ولماذا وقع في هذا الوقت دون غيره؟ لماذا هذه المناطق؟

من يتأمل فيها يجدها مناطق سياحية، وما أدراك ما المناطق السياحية؟! هي المناطق التي يكثر فيها فعل المنكرات، وتناول المسكرات، وتعاطي المخدرات، واقتراف الموبقات.

كلُّ مَنْ يعرف السياحة في عصرنا يعرف هذا، ولكن هذه المناطق اشتهرت بنوع من السياحة في عصرنا سمّوه السياحة الجنسية، وهي تجارة ممنوعة، محظورة دوليًا، ولكنّها ثالث تجارة محظورة في العالم بعد تجارة المخدرات وتجارة الأسلحة.

يأتي بالسياحة الجنسية، الذين يتاجرون بالدعارة ويتاجرون في الشذوذ الجنسي، حتّى أنّهم يتاجرون بالأطفال! يأتون بالأطفال الفقراء ليستخدموهم في الشذوذ الجنسي، ومؤخرًا نشرت الصحف ومواقع الإنترنت صور أربعين طفلًا صغيرًا يستخدمونهم في الشذوذ الجنسي، أفلا يستحقّ هؤلاء عقاب الله؟

إِنَّ اللَّهَ حَلِيمٌ صَبُورٌ، إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الْمُظْلِمِينَ، وَيُعَذِّبُ الْمُفْسِدَ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَا يُفْلِتُهُ، ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣]، يُمَهِّلُ وَلَا يُهْمِلُ، يَمْلِي لَهُوْلَاءَ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُمْ لَمْ يُفْلِتْهُمْ، أَخَذَهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ، هَكَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» ثُمَّ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هُود: ١٠٢] (١).

هناك إذن علاقة بين الذنوب والمعاصي وبين العقوبات، وقد ذكرنا في عقوبة الإيدز قول النبي ﷺ: «لن تظهر الفاحشة في قوم حتّى يُعلنوا بها، إلّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمْ» (٢).

أَوَّلُ درس نستفيدُه أنّ هذه عقوبة إلهيّة للمفسدين في الأرض.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البرّ والصّلة (٢٥٨٣)، عن أبي موسى.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، والحاكم (٥٤٠/٤)، كلاهما في الفتن، وصحّحه على شرطهما، ووافقه

الذهبي، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٦)، عن ابن عمر.

الدرس الثاني: ابتلاء المؤمنين:

وثاني درس، أن هذا ابتلاء للمؤمنين، فحينما يأتي البلاء يأخذ المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر، والصالح والطالح، الرحمة تخصّ والبلاء يعم: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، ولكن المصاب من هؤلاء مثاب، والميت منهم شهيد، من أصيب في حادثة في غرق أو حرق أو هدم أو زلزال، جاء في الأحاديث أن هؤلاء من شهداء الآخرة لهم أجر الشهداء^(١)، هؤلاء لن يضيع أجرهم عند الله وعجل.

فالمؤمنون يمكن أن يُصابوا ابتلاءً من الله وعجل، ولكن أجرهم غير ضائع عند الله وعجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

الدرس الثالث: تنبيه الغافلين:

وهناك درس ثالث، هو تنبيه الغافلين، إن شرّ ما يُصاب به الناس الغفلة عن الله، الغفلة عن المصير، عن الآخرة، الغفلة عن حقائق الدين، أن يعيش الإنسان في يومه وينسى غده، أن يعيش في دنياه وينسى آخرته، هذا شرّ ما يصاب به الناس، قال الله تعالى عن قوم هم حطّب جهنم: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ﴿وَلَا نُطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

الغفلة علة خطيرة تحتاج إلى قوارع تُنبّه الإنسان من غفلته.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد (٢٨٢٩)، ومسلم في الإمارة (١٩١٤)، عن أبي هريرة بلفظ: أن رسول الله ﷺ قال: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله».

مثل هذه القوارع، ومثل هذه الزلازل، ومثل هذه الأعاصير، ومثل هذه الفيضانات تقول: يا أيُّها الغافل انتبه، يا أيُّها السكران اضح، يا أيُّها النَّاسي استيقظ، أيُّها المتكبر تواضع، يا أيُّها العاصي تُب إلى ربِّك.

إنَّ الله يرسل هذه القوارع لتُعَلِّم الجاهل، وتنبِّه الغافل، وتذكِّر النَّاسي، ويتوب العاصي.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرُّوم: ٤١].

لماذا يصيب الله النَّاس بالأمراض، والبلاء، والغلاء، والحروب والمصائب التي تنزل بهم؟

ليذيقهم بعض الذي عملوا، لا يؤاخذهم بكلِّ ما عملوا ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]، فهو يعفو عن كثير، يؤاخذهم ببعض ما عملوا لَعَلَّهُمْ يرجعون، يعني: لا يريد الله أن ينتقم منهم، يريد أن يُنبِّههم من غفلتهم، يقول لهم: يا أيُّها النَّاس توبوا، ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر: ٥٣]، أمَّا تكفيكم هذه القوارع؛ لتكفؤا عن غروركم؛ لتتوبوا من معاصيكم؛ لتتهتدوا من ضلالكم.

﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرُّوم: ٤١].

أصناف النَّاس أمام المصائب:

والنَّاس أمام المصائب والشدائد ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: مَنْ يعرف الله في الرِّخاء والشِّدَّة:

هناك صنف يعرف الله في الرِّخاء والشِّدَّة، في العافية والبلاء، في السَّرَّاء والضَّرَّاء، قبل أن تقع البلية يعرف الله، فهذا كما جاء في حديث ابن عباس، عن النَّبي ﷺ قال: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرَّف إلى الله في الرِّخاء يعرفك في الشِّدَّة»^(١)، اعرف ربَّك في الرِّخاء يعرفك في الشِّدَّة.

وهذا أفضل الأصناف، الذي يعرف الله في الرِّخاء قبل الشِّدَّة.

الصنف الثاني: مَنْ ينسى الله في الرِّخاء ويعرفه عند الشِّدَّة:

والصنف الثاني ينسى الله في الرِّخاء، ويعرف الله عند الشِّدَّة، إذا نزلت به نازلة اتَّجه إلى الله بإخلاص، وقال: يا ربِّ، يا ربِّ، فرِّج عني ما أنا فيه، اجعل لي من عُسري يُسرًا، ومن ضيقي فرجًا، ومن همِّي مخرجًا.

يلجأ إلى الله، حتَّى المشركون ذكر القرآن عنهم أنَّهم إذا نزلت بهم الشِّدَّة يرجعون إلى الله، لم يرجعوا إلى هُبُل، ولا إلى اللات، ولا العُزَّى، ولكن قالوا: يا ربِّ؛ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكُمْ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

يدعو الله مخلصًا له الدين؛ لأنَّه رجع إلى الفطرة، ترك الأصنام التي كانوا يدعونها، ولم يقل إلَّا: يا ربِّ، لقد رجع إلى الفطرة، والفطرة هي التوحيد،

(١) رواه أحمد (٢٦٦٩)، وقال مخرجه: إسناده قوي. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٦)، وقال:

حسن صحيح.

دعا الله مخلصًا: ﴿لَيْنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]، ولأنه دعا الله مُخْلِصًا له الدين، يُجيبه الله ^{عَلَيْهِ}، ويستجيب له، ويفرّج عنه الكرب، ويُخرّجه من الشدة.

وهذا هو الصنف الثاني.

الصنف الثالث: من لا يعرف الله في رخاء ولا في شدة:

والصنف الثالث وهو شرُّ الأصناف، الذي لا يعرف الله في رخاء ولا شدة، تحلُّ به المصائب، وتنزل بساحته الشدائد، وتعتريه الكروب من يمين وشمال، ويُزلزل هو والناس من حوله زلزالًا شديدًا، ولكن قلبه كالحجارة أو أشدَّ قسوة، لم يلن قلبه، ولم يتعظ عقله، ولم يغيّر من حالته، هؤلاء الذين قال الله في شأنهم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، يبسطون أيديهم يقولون: يا ربّ ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [الأنعام: ٤٣]، لولا إذ جاءهم بأسنا، حين نزلت بهم نقم الله ذكروا الله، فاستغفروا لذنوبهم وتضرعوا، ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣]، هذا هو المؤسف.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُؤُا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٥]، هم الذين لا تنفع معهم موعظة، ولا يستفيدون من دروس الحياة، ولا من عبر الزمان، وهؤلاء هم شرُّ الناس.

وأحذركم - أيها الإخوة المسلمون - أن تكونوا من هذا الصنف.

علينا أن نعتبر بما يقع لنا من دروس يُهديها الله إلينا من عنده؛ حتّى يتعلّم الجاهلون، ويتنبّه منها الغافلون.

هذا هو الدرس الثالث.

الدرس الرابع: التذكير بزلزلة الساعة:

وهناك درس رابع أنها تذكّرنا بزلزلة أخرى هي زلزلة الساعة، التي ترتجف من هولها القلوب: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ [النّازعات: ٦ - ٩]، ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ [الواقعة: ٤ - ٦]، ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٤، ١٥]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٧].

الزلزلة التي ينتظرها الناس قرب الساعة، وبعضهم يقول بعد قيام الساعة، ولكن الأظهر أنها قبل قيام الساعة: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢]، المرضعة تذهل عن طفلها الرضيع، الأم المشفقة على طفلها تنساه وئديها في فمه، ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢]، بهذا الهول، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ [الحج: ٢]، لم يشربوا خمرًا، ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢].

هذه الزلزلة العظيمة ينبغي أن نتذكرها حينما تحدث هذه الزلازل؛ حتّى لا نعيش في حاضرتنا وننسى مستقبلنا، ننسى مصيرنا ونعيش في شهواتنا، ونغرق فيها.

هذا المصير أيها المغرورون بأموالهم وأعمالهم، أيها المشغولون بأنفسهم وأولادهم، أيها المتمتعون بشهواتهم وممتعهم، أيها الناسون لآخرتهم، عليكم أن تتذكروا هذه الزلزلة العظيمة، ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

إذا تذكّرنا هذه الزلزلة ينبغي علينا أن نراجع أنفسنا، أن نحاسب هذه الأنفس، ونقول كما قال أبونا آدم وأُمّنا حواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].
وهذا درس مهم.

الدرس الخامس: التوبة والاستغفار والشكر لله وعَجَل:

هناك درس آخر من هذه الحوادث، لَمَن نَجَّوا من هذه الحوادث، سواء كانوا من هذه المناطق أو من البعيدين عنهم، نحن من الناجين، كان يمكن أن تقع هذه الحوادث عندنا، يمكن أن تقع غداً أو بعد غد، ليس هناك أحد يقول: إنّه سالم لا محالة من هذه الحوادث.

يجب على الناجين أن يعتبروا، ويشكروا الله تعالى على النّجاة.
الحمد لله الذي نَجَّانا.

بعض الإخوة كان في تلك البلاد ونجّاه الله، قال: قد رأيت ما لا يمكن أن يوصف... ما لا أستطيع أن أصفه.

كيف تستطيع أن تصف الزلزال؟

من نَجَا فعليه أن يشكر الله وعَجَل، وعليه أن يستغفر الله وعَجَل من كلّ ذنب أتاه، وكلُّنا خطّاء، وخير الخطّائين التّوّابون المستغفرون، علينا أن نتوب إلى الله توبةً نصوحاً، أن نصطليح مع الله.

ما أجدرنا نحن المسلمين، وما أجدر البشرية كلّها، أن تستفيد من هذه الدروس، ما أجدر المستكبرين في الأرض، المُتألّهين على خلق الله، أن يعتبروا بهذه القوارع، ويظلموا من كبريائهم، ويعرفوا أنّ هناك مَنْ هو أكبر منهم، ومَنْ هو أقدر عليهم، وأن يتوبوا إلى الله.



مساعدة المنكوبين:

وعلينا أيُّها الإخوة أن يتمثَّل هذا الشكر في معونة إخواننا الذين أصيبوا بهذه البلايا، لا بدَّ أن نمَدَّ يد المعونة إلى المتضرِّرين من هذه البلايا، لا بدَّ أن نمَدَّ يد المعونة إلى المتضرِّرين من هذه البلايا، في إندونيسيا، وفي ماليزيا، وفي تايلاند، وفي الهند وغيرها، أن نمَدَّ أيدينا إليهم شكرًا لنعمة الله علينا، وتقديرًا لهذه المنَّة العظيمة، وإشفاقًا على مَنْ أصيب من إخواننا، وكلِّ النَّاس إخواننا.

لا أقول: نعطي المسلمين ونمنع غير المسلمين، نعطي المسلمين، وكلِّ النَّاس جميعًا؛ لأنَّ الإسلام ينظر إلى النَّاس باعتبارهم أسرة واحدة، تشترك في العبودية لله، وفي البنوة لآدم: «إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ»^(١).

ولا ينهانا الله أن نبرَّ مَنْ لم يقاتلونا في الدين، ولم يخرجونا من ديارنا، لم ينهنا الله أن نبرَّهم ونُحسن إليهم، ولذلك علينا أن نبذل لنعين هؤلاء الإخوة في الدين، أو في الإنسانية.

تستطيعون - أيُّها الإخوة - أن تبذلوا من زكاة أموالكم، ومن الصدقات التطوعيَّة، ومن وصايا أمواتكم، ومن ريع الأوقاف والصدقات الجارية، ومن أيِّ مال فيه شُبْهة تريد أن تتطهَّر منه، كلُّ هذا يصلح لأن تبذل منه معونة لإخوانك.

وشَكَرَ الله لقطر؛ فقد كانت من أوائل الدول التي قامت بإرسال المساعدات إلى هذه الجهات، في حين تقاعست كثير من الدول الإسلاميَّة، و«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا»^(٢).

(١) سبق تخريجه ص ٦٧.

(٢) سبق تخريجه ص ٤٠.

أَسْأَلُ اللَّهَ وَحْدَكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا مِنْ هَذِهِ الْحَوَادِثِ الشَّدِيدَةِ الْقَاسِيَةِ عِبْرًا
وَدُرُوسًا نَتَعَلَّمُ مِنْهَا، وَنَسْتَفِيدُ مِنْهَا؛ فَالْسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِحَوَادِثِ الزَّمَانِ.
اللَّهُمَّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، نَسْأَلُ اللَّهَ وَحْدَكَ أَنْ يَغْفِرَ لِي وَلَكُمْ،
وَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرَ لَكُمْ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ.

* * *



الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يُسَبِّحُ له ما في السَّمَاوَاتِ وما في الْأَرْضِ، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيء قدير.

وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ، وَاهْتَدَى بِسُنَّتِهِ، وَجَاهَدَ جِهَادَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

حربٌ إعلاميةٌ شعواء:

في الأشهر الأخيرة شُنَّت على الفقير إليه تعالى حربٌ إعلاميةٌ شعواء على مساحة واسعة من العالم في الشرق والغرب، واستُخدمت فيها كلُّ الأسلحة، هذه الحرب سَخَّرَتها الصهيونية العالمية وشريكاتها الاستراتيجية الولايات المتحدة، جَنَّدت جنودها، وسَخَّرت الأقلام المأجورة، والقنوات المنكورة؛ لتهاجمني، وأطلقت الكلاب المسعورة هنا وهناك لتعقرني بأنيابها، وتنبحني بأصواتها.

وأستطيع أن أقول: إِنَّ أَمْرِيكَ أثبتت قدرتها على تحريك الإعلام، الإعلام المقروء، والإعلام المسموع، والإعلام المشاهد، وتجنيد مَنْ ترى تجنيده ليندّد بِمَنْ يندّد، ويجرّح مَنْ يجرح، ويطعن مَنْ يطعن.

تجنيد الإعلام العربي في هذه الحملة:

ولم أعجب لتجنيد الإعلام الغربي في أمريكا وأوروبا ضدي، ولكن الذي عجبني له، وأسفتُ له جدًا: هو تجنيد الإعلام العربي، الإعلام العربي، أصبح لا يجد فرصة إلا ويهاجمني، فتحت الصحف أبوابها والإذاعات والتلفازات لكلّ مأجور يريد أن يهاجمني، أو كلّ جاهل لا يعرفني، فتحت لهم أبوابًا ليتّهموني بكلّ جريمة، أصبحت أنا المحرّض الأول على الإرهاب، أصبحت أنا الذي يدعو إلى خطف الرهائن وقتلهم، أصبحت أنا داعية العنف.. تُهمّ عجيبة.

القرضاوي داعية الوسطية والاعتدال:

وإنّ من نكد الدنيا، ومن عجائب الأيام أن يقف الإنسان مدافعًا عن نفسه ضد هذه التهم الباطلة، يوسف القرضاوي الذي عاش عمره داعيًا إلى الوسطية والاعتدال لا التطرّف، إلى التسامح لا التعصّب، إلى الحبّ لا الكراهية، يُتّهم بأنّه يحرّض على الإرهاب، ويدعو إلى خطف الرهائن.

تحريم خطف الرهائن وقتلهم:

لقد أصدرتُ فتوى من سنوات طويلة، أنكرتُ فيها خطف الرهائن، حينما خطفت جماعة (أبو سيّاف) في الفلبين بعض الرهائن الغربيين، وطلبوا فدية أو يقتلوهم، أنكرتُ ذلك وقلتُ: هذا حرام؛ لأنّك تعاقب أناسًا بذنب آخرين.

فلا يجوز أن تخطف الرهائن وتهدّد بهم آخرين.

كذلك أصدرتُ فتوى في تحريم خطف الطائرات؛ ما ذنب ركّاب الطائرات تخطفهم لتطالب حكومة معيّنة بكذا وكذا من المطالب.

أنا الذي أصدرت هذه الفتاوى أصبحت مُتَّهَمًا بالتحريض على الإرهاب.

من سنوات طويلة، من بضعة عشرة سنة حرّمتُ خطف الرهائن، ومنذ مدّة أصدرنا بيانًا باسم الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يحرم خطف الرهائن بغير جريمة وبغير سبب، وحين تخطف لا يجوز أن تقتل؛ لأنّهم أصبحوا أسرى، والأسرى ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ﴾ [محمد: ٤].

هذا ما أصدره الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

سفراء العالم يستعينون بي لإطلاق سراح الرهائن:

ولا عجب أن زارني وزير فرنسا في القاهرة يطلب مني التدخّل لإنقاذ الرهينتين، وقد أرسل إليّ خطابًا من فرنسا يشكرني.

وجاءني وزير خارجية إيطاليا وزارني هنا في قطر في بيتي يطلب مني أن أتدخّل لإنقاذ الرهينتين الإيطاليتين.

وزارني سفراء إندونيسيا وسريلانكا واليابان يطلبون منّي ذلك...

فمن قال: إنني أدعو إلى الإرهاب؟

هذا عجيب!

عجيب أن يُتَّهَم الإنسان بالباطل وهو حيّ يُرزق، والناس يعرفون ويشاهدون، ولكن هناك أناس يكذبون ويكذبون ويكذبون حتّى يصدّقوا أنفسهم، ويحاولون أن يُصدّقهم النَّاس، ولكن الباطل لا يروج أبدًا.

الإسلام دين تسامح وسلام:

إنني - أيها الإخوة الأحبة - من منطلق إيماني بالإسلام الذي أراه دين سلام، لا دين حرب، ودين تسامح لا دين تعصب، وأنه يفتح صدره للناس جميعاً، ويمدُّ يده للناس جميعاً، ويسالم من سالمه، ولا يُعادي إلا من عاداه: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْكُمْ فَلَمْ يَقْبَلُواكُمْ وَلَقَدْ أَلَيْكُمْ السَّلَامُ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠]، ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]، هذه مقولتي، لا أفترى على الإسلام، ولا أدعي إسلاماً من عندي.

ولكن أن يفترى الناس عليّ كأنني أعيش في صومعة منعزلة، أو في سرداب من الأرض، لا والله، أنا لا أؤمن بالعمل السري ولا بالتنظيمات السريّة، أنا أعمل على المكشوف، في العراء، كُتبي يقرؤها الناس في أنحاء العالم، وخطبي يسمعها الناس في الفضائيات، ومحاضراتي منشورة على الملاء، وموقعي على الإنترنت يستطيع الناس أن يعرفوا منه موافقي، ليس عندي شيء أخفيه عن خلق الله.

ولكن هؤلاء المُبطلون يريدون أن يحاكموني دولياً، فليفعلوا، فأنا - والله - لا أخاف من المحاكمات، ولا أخاف إلا الله عَزَّ وَجَلَّ؛ إِنَّ رِزْقِي مَقْسُومٌ، وَإِنَّ أَجْلِي مُحْتَمٌ، لا يستطيع أحد أن يأكل من رزقي لقمة، ولا أن يؤخّر أجلي لحظة: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

اتهامي بالسلفية التكفيرية:

وهناك من قال: إنني من السلفية التكفيرية، وأنا من ضحايا السلفية التكفيرية، السلفية التكفيرية تكفّرني وتضلّلني وتؤثمني، وقد أصدرت أكثر من كتاب في مهاجمتي، وأنا أول من هاجم فكرة التكفير بقوة،

حين أصدرتُ في السبعينيات كتابي: «ظاهرة الغلو في التكفير»، حينما ظهرت هذه الفِكر في مصر، ورَوَّج لها مَنْ رَوَّج، كتبتُ رسالتي هذه.

أنا ضدَّ التكفير؛ لأنَّ التكفير خطر يستبيح دماء النَّاس وأموالهم، كيف أتهم بالتكفير؟!

اتهامي بأنِّي من علماء السلطة:

وأعجب ما سمعتُ أنَّه يقال: القرضاوي من علماء السلاطين؛ لذلك وسَّعته بلاد الخليج، واستطاع أن يعيش فيها، كأنَّ بلاد الخليج لا تَسع إِلَّا المنافقين، الَّذِينَ يسيرون في الرِّكاب ويتمسَّحون بالأعتاب، والذين يعرفوني ويعاشرونني يعلمون أنَّي لا أَصْلح أن أكون من علماء السلطة، ولا من عملاء الشرطة، أنا رجل صريح مستقيم لا أبيع ديني بدنيائي، ولا أستطيع أن أمدح إنساناً بباطل، أو أنافق إنساناً في حقِّ.

لقد عشتُ في بلاد الخليج، وعشتُ في قطر واحداً من أهلها، وعضواً في جسدها، أَحَبُّهم ويحبُّونني، أنا منهم وهم منِّي، لم ينظروا إِلَيَّ أَنِّي غريب فيهم أو مهاجر إليهم، أنا لا أومن بالإقليميات، أنا أومن بدار الإسلام الواحدة، أنا انتقلت من جزء من دار الإسلام إلى جزء من دار الإسلام، ومن إخوة لي وأهل في مصر إلى إخوة لي وأهل في قطر، لا أشعر بأنِّي غريب، أو أَنِّي أجنبي، لم تراودني هذه الفكرة قط.

لقد عشتُ في قطر - بحمد الله - مُتَّصِبَ القامة، مرفوعَ الهامة، محفوظَ الكرامة، لا يستطيع أحد أن يتَّهمني بأنِّي نافقتُ يوماً في حياتي.

لو كنتُ أَحِبُّ أن أنافق، أو أَحِبُّ أن أسير في ركاب السلطان، لبقيتُ في موطني الأصلي، وبقليل من التنازلات كنتُ وصلت إلى أعلى المناصب التي وصل إليها مَنْ هو دوني بكثير.

الثبات على المبدأ والموقف:

ولكنني آثرتُ أن أحتفظ بديني، وأحتفظ بمبدئي، وأثبت على موقفي، وأقول للطغاة، أقول لكل ظالم جبار متحديًا:

ضَعُ في يديَّ القيدَ ألْهَبْ أضلعي بالسَّوطِ ضَعُ عُنْقِي على السَّكِينِ
لن تستطيعَ حصارَ فِكْرِي ساعةً أو نزعَ إيمانِي ونورِ يقيني
فالنُّورُ في قلبي وقلبي في يدي ربِّي وربِّي ناصري ومُعيني
سأعيشُ معتصمًا بحبلِ عقيدتي وأموتُ مبتسمًا ليحيَا ديني^(١)

هكذا قلتُ للطغاة، ولا زلتُ على موقفي، أنا لا أداهن في ديني، ولا أبيع ديني بدنياي، فضلًا عن أبيعه بدنيا غيري، والحمد لله عشتُ في قطر، لم يحظر عليَّ أحدٌ في قول أعلنه، أو في موقف أتّخذه، رغم ما يتعرّضون له من ضغوط أعرفها، ولكن لم يقل لي أحدٌ كلمة تمسُّ من حرّيتي.

أنا أعرض دعوتي على النَّاس كما أراها، أعلمُ الإسلام للنَّاس كما أعلمه، أقول الحقَّ لا أخشى في الله لومة لائم.

حينما أسَّست مع إخواني الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، جعلنا شعاره هذه الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

أنا لا أبالي بهؤلاء الذين يُوسعونني سبًّا وقذفًا، لا أبالي بهم؛ لأنَّ معظمهم لم يركع لله ركعة، لم يعرفه النَّاس في مسجد، وقد قال السلف عليهم السلام: حسبك نصرًا أنَّ خصمك يحارب الله ورسوله!

(١) ديواننا: نفحات ولفحات ص١٢٦، القصيدة النونية، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

إذا كان خصومك ممّن يحاربون الله ورسوله فحسبك، فهذا هو النصر الحقيقي.

كلُّ هؤلاء الذين يهاجمونني ليس لهم في الإسلام نصيب، هم من الناحية الدينيّة منافقون، ومن الناحية الوطنية عملاء، فلا أبالي بهم أبداً، والله لا أبالي بهؤلاء.

كلُّ ما أفعله أنني أعمل لإرضاء ربّي وعَجَل، أتمثل في ذلك قول أبي فراس الحمداني:

فليت الذي بيني وبينك عامراً وبينني وبين العالمين خراباً
وليتك تحلو والحياة مريّة وليتك ترضى والأنام غضاباً^(١)

وقول المتنبي:

إذا صحّ منك الودّ فالكلُّ هيّن وكلُّ الذي فوق التراب تراب^(٢)

هؤلاء الملاحدة واللا دينيون وعملاء الاستعمار الأمريكي وغيره عملاء الصهيونية ودعاة التطبيع مع إسرائيل، هؤلاء لا أبالي بهم، بل أنا سعيد بأن هؤلاء هم خصومي، وإنّي أتمثل بقول الشاعر العربي:

لقد زادني حبّاً لنفسي أنني بغیض إلى كلّ امرئ غير طائل
وإنّي شقيّ باللئام ولا ترى شقيّاً بهم إلا كريم الشمائل^(٣)

(١) انظر: ديوان أبي فراس الحمداني ص ٤٨، شرح د. خليل الدويهي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م.

(٢) ديوان المتنبي ص ٤٨١، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

(٣) من شعر: الطرمّاح بن حكيم، انظر: الوافي بالوفيات (٢٤٥/١٦)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا،
اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن
خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ومن تحتنا، ونعوذ بعظمتك أن
نُغتال من تحتنا.

اللهم أكرمنا ولا تُهنا، وأعطينا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا
ولا تُؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهم طهر أقوالنا من اللغو، وأعمالنا من العبث، وأنفسنا من
الضعف، وقلوبنا من الغش، وأعينا من الخيانة، وألسنتنا من الكذب،
وعبادتنا من الرياء، وحياتنا من التناقض.

اللهم انصر إخواننا في فلسطين، وإخواننا في العراق، وانصر إخواننا
المجاهدين في كل مكان، اللهم سدّد رميتهم، وقوّ شوكتهم، واجمع
على الحق كلمتهم.

اللهم افتح لهم فتحاً مبيناً، واهدهم صراطاً مستقيماً، وانصرهم نصراً
عزيزاً، وأتمّ عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم
رحمتك.

اللهم عليك بالطغاة والمستكبرين، اللهم عليك بالمعتدين على
المسلمين، اللهم عليك بالصهاينة الظالمين، اللهم عليك بالأمريكان
المستكبرين، اللهم عليك بكل ظالم للمسلمين، اللهم خذهم ومن عاونهم
أخذ عزيز مقتدر، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

اللهم منزل الكتاب، ومُجري السحاب، وهازم الأحزاب اهزمهم
وانصرنا عليهم.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبّت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم ارفع غضبك ومقتك عَنَّا، ولا تُهلكنا بما فعل السفهاء مِنَّا، ولا تُسلِّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

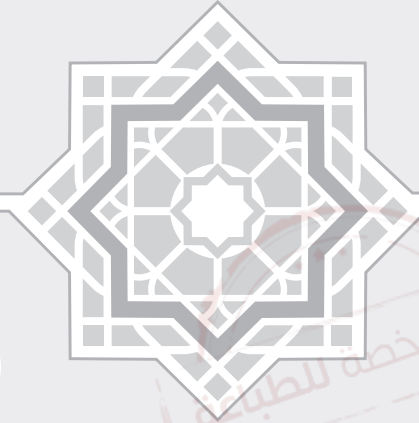
اللهم آمين.

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقَرَضَاوِيِّ



الفهارس العامة



- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.





فهرس الآيات القرآنية الكريمة



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	١	٢٢٠، ٢١٩
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٢	٢٩٧، ٢٢٠
﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	٣	٢٢٠
سورة البقرة		
﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾	٤	٢٥٧
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾	٢١	١٥٨
﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾	٣٥	١٥٩
﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾	١١١	٢٢٥
﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾	١١٢	٢٢٥
﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾	١٢٩	١٥
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾	١٤٣	٢٩، ٥٨، ١٤٣
﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾	١٥١	٢٠، ٢٩٣
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾	١٥٢	٢٠، ٢٨٦، ٢٩٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	١٥٣	٣٠٨
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾	١٥٤	٤٣
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ﴾	١٥٥ - ١٥٧	٣٠٩
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾	١٦٥	٣٧٩
﴿وَعَاقَى الْمَالِ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾	١٧٧	٣٢، ١٢٤، ٣٠٧
﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾	١٧٨	٩٨، ٨٨
﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ آلَ لَبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٧٩	٨٨
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾	١٨٣	٨٨
﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾	١٨٧	١٤٠
﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعْدُوا﴾	١٩٠	٣٨٣، ٩٧
﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	١٩٥	٣٨١
﴿وَتَكَزَّوْا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَتَأُولَىٰ آلَ لَبِ﴾	١٩٧	٢٧٧
﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾	١٩٨	٢٧٧
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾	٢٠٧	٣٨٧
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾	٢١٤	٣١٩
﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾	٢١٧	٦٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٢١٨	٢٢٧
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	٢٢٢	٣٨٢
﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾	٢٣٥	٣٣١، ٣٢٥
﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾	٢٤٣	٢٨٧



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾	٢٦٨	٣١٧
﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾	٢٧٦	٣٨٣
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	٢٧٨	٢٣٩ ، ٤
﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	٢٧٩	٢٣٩ ، ٤
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	٢٨٦	٢٠٧
سورة آل عمران		
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾	٤	٢٢٢
﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾	٥	٢٧٠
﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾	١٤	٣٧٣
﴿قُلْ أَوْبِئْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ﴾	١٥	٣٧٣
﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ﴾	١٧	٣٠٧
﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾	٣٠	٣٢٩ ، ٢٢٣
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾	٣١	٣٧٩ ، ١٠
﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾	٣٦	١٦٦
﴿فَنَجْعَلَ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾	٦١	١٢٤
﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾	٧٦	٣٨١
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ﴾	٧٧	١٢٥
﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	١٠١	٢٧١
﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	١٠٣	٧٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾	١١٠	٢٩، ٥٨، ١٤٣، ١٦٤
﴿ وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾	١٢٠	٣٠٦
﴿ بَلَى إِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ ﴾	١٢٥	٣٠٦
﴿ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾	١٣٦	٢٢٧
﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾	١٤٦	٣٠٨، ٣٨٢
﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا ﴾	١٤٧	١٠٦، ١٣٠، ١٥١، ٣٢٦، ١٧٥
﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾	١٥٩	٢٧١، ٣٨١
﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ ﴾	١٦٠	٢٨٥
﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾	١٦٤	١٥
﴿ هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ ﴾	١٦٧	٩٩
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾	١٦٩	٦٠
﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾	١٧٣	٢٧٢
﴿ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾	١٧٤	٢٧٣
﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾	١٨٢	٣٩٦
﴿ وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾	١٨٦	٣٠٦
﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ ﴾	١٩٥	١٣٢، ١٣٩، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٤
﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾	٢٠٠	٣٢٠، ٣٢١



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النساء		
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾	١٠	٢٣٨
﴿وَالَّتِي يَأْتِيكَ الْفَحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ﴾	١٥	١٤١
﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾	١٩	٢٩٦، ١٦٨
﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ﴾	٢٠	١٧٠
﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾	٢٥	١٣٢
﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾	٢٨	٣٩٥
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ﴾	٣٥	١٧٠
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا﴾	٤٠	٣٩٩
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾	٤٩	١١٥
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾	٧١	٢٧٧
﴿قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾	٧٧	٢٦٢
﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾	٧٩	٣٩٦
﴿فَإِنْ اَعْتَزَلْتُمْ فَلَمْ يَقْنِلُوكُمْ وَالْقَوَالِ إِلَيْكُمْ السَّلَامُ﴾	٩٠	٤١٠
﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾	٩٣	٨٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾	٩٧	٣٢١
﴿لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا﴾	١٠٧	٣٨٣
﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾	١٢٣	٣١٥، ٢٢٦
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾	١٢٤	٢٢٦
﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾	١٤٧	٣٠١، ٢٢٢

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المائدة		
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾	٢	٧١
﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾	١٥	٢٠
﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾	١٦	٢٠
﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	٢٣	٢٧٢
﴿قَالَ لَا قُنُوتَ لَكَ إِلَّا إِنَّمَا يَنْتَقِبُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾	٢٧	٣٥٦
﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ يَدِي إِلَيْكَ لَا قُنُوتَ لَكَ﴾	٢٨	٣٥٦
﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٣٠	٣٥٦
﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾	٣٢	٨٥
﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾	٤٨	٣٨٥
﴿وَأَحْذَرُهُمْ أَن يَقْتُولُوا عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾	٤٩	٤٣
﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن رَّتَدٍ مِّنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾	٥٤	٣٧٤، ١٨٤، ٧٨
﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾	٦٤	٣٨٣
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخُبَرِ وَالْمَيْسِرِ﴾	٩١	٧٦
﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٩٨	٢٢٣
سورة الأنعام		
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾	٤٢	٤٠٢
﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	٤٣	٤٠٢
﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾	٥٧	٩١



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ﴾	٥٩	٣٩٣
﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَكْفُرْنَ﴾	٨٩	٣٥، ٢١٤
﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَةَ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾	٩٨	٢١٤
﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾	١٢٢	٣٥٩
﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾	١٤١	٢٠٣
﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾	١٥١	١٨، ٨٩
﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾	١٥٣	٤٣، ٤٤ ٥٨، ٨٢
﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	١٦٢	٢٣٦، ٣٤١
﴿لَا شَرِيكَ لِي، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾	١٦٣	٢٣٦، ٣٤١
سورة الأعراف		
﴿فِيمَا أَغْوَيْنِي أَفْقَدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	١٦	٢٨٧
﴿ثُمَّ لَا تَبْنِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾	١٧	٢٨٧
﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾	١٩	١٥٩
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٢٣	٤٠٤
﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾	٣١	١٢٠، ٢٥٥
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾	٣٢	٢٥٥
﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	٣٤	٤١٠
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾	٤٣	٢٩٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	٥٦	٢٢٨
﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾	٥٨	١٤٣
﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾	٦٤	٢٧٨
﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾	٨١	١٦٠
﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾	٨٤	١٦٠
﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾	٨٥	٢٣٩
﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيِنًا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾	٨٨	٢٧٥
﴿قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا﴾	٨٩	٢٧٦ ، ٢٧٣
﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾	٩٩	٢١٨
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾	١٣٧	٣٠٨
﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	١٥١	٢٢١
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾	١٥٦	٢٢٨ ، ٢١٨
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾	١٥٧	٢٢٨
﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	٢٣
﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	١٦٧	٢٢٣
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾	١٧٩	٣٩٩ ، ٣٢٨
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾	١٨٠	٣٧٨
﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَّهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾	١٨١	٢١٤ ، ٣٥
﴿وَأُمِّي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾	١٨٣	٣٩٨



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنفال		
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾	٢	٢٧١
﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾	٢٥	٣٩٩
﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾	٣٨	٢٣٠
﴿ وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُشَلُّوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾	٤٦	٣٠٨ ، ٧٠
﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾	٦٠	٢٧٧
﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾	٦١	٤١٠
﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾	٦٢	٨١
﴿ وَاللَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾	٦٣	٨١
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾	٧٣	٥٢
سورة التوبة		
﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾	٦	٩٦
﴿ اشْتَرُوا بِعَاقِبَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ﴾	٩	٤٧
﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾	٢٤	٣٨٦
﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ ﴾	٣٢	٦٢ ، ٤٩
﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ﴾	٣٣	٤٩
﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾	٣٤	٢٨٨
﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴾	٣٦	١٥
﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾	٤٠	٢٨٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٤١	٦١
﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾	٦٠	٣٢
﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾	٦٧	١٦٤، ١٣٢
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾	٧١	١٦٤، ١٣٢
﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾	٧٢	٣٧٤
﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾	١٠٥	١٧٥
﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ يَحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾	١٠٨	٣٨٢
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾	١١١	٣٨٥، ٢٢٨
﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ﴾	١١٢	٢٩٧
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾	١١٩	١٢٤
﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾	١٢٩	٢٧٣
سورة يونس		
﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا﴾	٧	٢٥٦
﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	٨	٢٥٦
﴿وَعَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	١٠	٢٩٧
﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْأَبْرِ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِحِمِّهِ﴾	٢٢	٤٠٢، ٤٠١
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	٤٤	١٧١، ٣٢
﴿يَقُومُ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِعَايَتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾	٧١	٢٧٤
﴿يَقُومُ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾	٨٤ - ٨٦	٢٧٦
﴿وَمَا تَغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	١٠١	٣٢٨



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة هود		
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾	٦	٢٧٤
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾	١٥	٢٥٦
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾	١٦	٢٥٦
﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾	٥٤ - ٥٦	٢٧٥
﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾	٨٢، ٨٣	١٦١
﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾	١٠٢	٣٩٨
سورة يوسف		
﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾	١٦	٣٥٦
﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا﴾	١٧	٣٥٦
﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾	١٨	٣٥٦، ٣١٧
﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَقَتْ الْأُتُوبَ﴾	٢٣	٣١٦
﴿وَلَقَدْ رَوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ، فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامَرُهُ، لَيَسْجَنَنَّ﴾	٣٢	٣١٧
﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾	٣٣	٣١٧، ٣١٣
﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾	٣٩	٢٢٠
﴿أَلَكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾	٥١	١٥٦
﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾	٥٢	١٥٦
﴿وَمَا أَتُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	٥٣	٣٥٥، ٣٤٨، ١٥٦
﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	٦٤	٢٢٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾	٦٧	٢٧٨
﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	٨٣	٣٢٢، ٣١٧
﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾	٨٧	٣٢٢، ٢١٧، ٢١٥
﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	٩٢	٢٢١
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾	١٠٤	٢٣
﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْشَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾	١١٠	٣٢٢
سورة الرعد		
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾	٦	٢٢٣
﴿قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾	١٦	٢٢٠
﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا﴾	٢٢	٣٠٧
﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾	٢٤	٣٠٧
﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾	٢٤	٣٠٧
سورة إبراهيم		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾	٤	٢٥
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾	٥	٣٠٤
﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُجُوكُمْ لِنِ شُكْرِكُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ﴾	٧	٢٩٩
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾	٢٨	٢٩٩
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾	٣٢ - ٣٤	٢٩٢
﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾	٣٣	١٩٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾	٣٤	٢٨٨
﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ﴾	٣٧	٢٧٥
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾	٤٢	١٤٥
﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾	٤٨	٢٢٠
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	٩	٣٥، ٣٤
﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾	٤٩	٢٢٢، ٢٢١
سورة النحل		
﴿وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	٨	٣٣٠
﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾	١٨	٣٧٦
﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	٤٢	٣٠٧
﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾	٥٣	٣٧٦، ٢٨٨
﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾	٥٨	١٥٣، ١٨
﴿أَيْمُسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾	٥٩	١٥٣، ١٨
﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾	٧٢	١٦٢
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾	٨٩	١٧٧
﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ﴾	٩٦	٣٤٧، ٣٠٨، ٢٦٥
﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِبَيِّنَاتِ اللَّهِ﴾	١٠٥	١٠٩
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾	١١٢	٢٩٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	١١٤	٢٩٣
﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	١٢٠	٢٨٧
﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجْتَبَنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	١٢١	٢٨٧
سورة الإسراء		
﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾	٣	٢٨٧
﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا﴾	١٣	٣٢٩
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾	١٨	٢٥٦
﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾	١٩	٢٥٨
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾	٢٣	١٨٤ ، ١٨٣
﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾	٢٤	١٨٤ ، ٧٨ ، ١٨٣
﴿وَلَا بُدْرَ تَبْدِيرًا﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾	٢٦ ، ٢٧	١٢٠
﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ﴾	٣١	٨٩ ، ١٨
﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾	٣٣	٨٨
﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾	٥٧	٢٢٤
﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾	٨٢	٦٤
﴿وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٨٥	٣٩٤
سورة الكهف		
﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾	٥	٢٧٤
﴿وَلَا نُنَاطِعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾	٢٨	٣٩٩
﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَرَىٰ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾	٤٩	٣٣٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾	٦٢	٢٧٩
﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾	١١٠	٣٤٠، ٢٢٨
سورة مريم		
﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾	٤	١٧٩
﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًا﴾	٢٩ - ٣١	١٣
﴿يَتَأْتَى لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾	٤٢ - ٤٥	١٨٣
﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾	٦٥	٣١٨
﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾	٧٦	٢٣٤
سورة طه		
﴿يَعْلَمُ الْسِرَّ وَآخَفَى﴾	٧	٣٣١
﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾	٥٥	٣٢٨
﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى﴾	٦١	١٢٤
﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾	٧٢	٢٨٣، ٢٦٧
﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾	٩٦	٣٥٧
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾	١٠٥ - ١٠٧	٤٠٣
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾	١٣٢	٣١٨
سورة الأنبياء		
﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٧	١٢٦
﴿وَنَضْعُ الْمَوْزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾	٤٧	٣٥٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَنَارُكُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾	٦٩	٢٨١
﴿مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	٨٣	٢٢٠
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾	٩٠	٢٢٤
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	١٠٧	٢٣، ٣٢٣
سورة الحج		
﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾	١	٤٠٣، ٤٠٤
﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾	٢	٤٠٣
﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾	٥	١٧٨
﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾	٢٨	٦٤
﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾	٤١	١٤
﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ﴾	٧٣	١٧
سورة المؤمنون		
﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا﴾	٢٧	٢٧٨
﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾	٥١	٢٤٣
﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾	٥٢	٥٨، ٧١
﴿وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	٧٥	٤٠٢
﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾	١٠١	٦٧
﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾	١٠٩	٢٢١
﴿وَقُلْ رَبِّ أَعْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾	١١٨	٢٢١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النور		
﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	٢٤	٣٣٠
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	٢٣، ٣٢٣
﴿إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾	٤٢	٣٢٠
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾	٦٢	١٩٧
سورة الشعراء		
﴿إِنْ هَؤُلَاءِ لَشَرِذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ﴾	٥٤ - ٥٦	٢٨٢
﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُتْرِفِينَ﴾	٦٠	٢٨٢
﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾	٦١	٢٨٢
﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾	٦٢	٢٨٢، ٢٨٣
﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾	٦٣ - ٦٦	٢٨٢
﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾	١٦٥	١٦٠
﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾	١٦٦	١٦٠
﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٢١٥	١٨٤
﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾	٢٢٧	١٤٥
سورة النمل		
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	١٥	٣٠٠
﴿فَنَبَسَمَ صَاحِبًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾	١٩	٨، ٢٥٣، ٣٠٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾	٣٢	١٥٧
﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾	٣٣	١٥٧
﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾	٣٤	١٥٧، ١٥٨
﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ، قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾	٤٠	٣٠١
﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾	٥٥	١٦٠، ١٦١
﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾	٧٩	٢٧١
﴿صُنِعَ اللَّهُ لِدَنِّي أَنْفَنَ كُلِّ شَيْءٍ﴾	٨٨	٣٧٧
سورة القصص		
﴿إِبْرَ الْ مَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾	٢٠	٢٧٨
﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَافِيًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	٢١	٢٧٨
﴿يَتَأْتِيَ أَسْتَجِرْهُ إِبْرَ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينَ﴾	٢٦	١٥٦، ١٥٧
﴿ءَأَسْكَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَأَسْتُ نَارًا﴾	٢٩	٢٧٩
﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾	٣٨	٢٦٧
سورة العنكبوت		
﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَن يَتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَأَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	٢	٣١٩
﴿وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ ة إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	١٧	٢٩٣
﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾	٢٢	٣٩٥
﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾	٣٠	١٦٠
﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ ة فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾	٤٠	٣٩٧



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾	٤٥	١٠٦، ١٥١، ١٧٥، ١٩٦
﴿نِعَمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾	٥٨	٢٧١
﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	٥٩	٢٧١، ٣٠٧
سورة الروم		
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾	٤١	١٩٥، ٤٠٠
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾	٥٤	١٧٨، ١٩٩
﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾	٦٠	٣٢٠
سورة لقمان		
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾	١٢	٢٨٧
﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾	١٤	٢٨٧، ٣٠٣
﴿لَا يُحِبُّ كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾	١٨	٣٨٣
﴿الْمُتَرَوِّا أَنْ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	٢٠	٢٩٢
سورة السجدة		
﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾	٧	٣٧٧
﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾	٢٢	٢٢٢
﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾	٢٤	٣٠٧
سورة الأحزاب		
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾	٣	٢٧١
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾	٢١	٢١، ٢٢

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾	٣٥	٣٠٧، ١٥٨
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾	٣٦	١٤٢
﴿الَّذِينَ يَلْعَنُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾	٣٩	٤١٢
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾	٥٦	٤١٥، ١٩٦
سورة سبأ		
﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكُورُ﴾	١٣	٢٨٧
﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾	١٥	٣٠٠
﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾	١٦	٣٠٠
﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾	١٧	٣٠٠
﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾	٣٩	٣٧٠، ١٠٥
سورة فاطر		
﴿وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾	١٤	١٢٦
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾	٣٢	٣٥٣، ١٠٠، ٩٩
﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾	٣٧	٢٠٤، ٤
﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾	٤٤	٢٧١
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكْنَا عَلَى ظَهْرِهَا﴾	٤٥	٤٠٠
سورة يس		
﴿إِنَّمَا نُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾	١١	٢٢٤، ٢٢٣
﴿وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْتُهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾	٣٣ - ٣٥	٢٩١
﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾	٣٦	١٥٩



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾	٦٥	٣٣٠
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَمْلُكُونَ﴾	٧١ - ٧٣	٢٩١
سورة الصافات		
﴿قَالَ اتَّعَبُودُونَ مَا نَنْحِتُونَ﴾	٩٥	١٦
﴿يَتَأْتِيَ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾	١٠٢	٣١٨
﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَتَّبِعْ بَرَهَيْمُ﴾	١٠٣ - ١٠٥	٣١٨
سورة ص		
﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾	٦	٣٢٠
﴿لَهُ الرِّيحُ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾	٣٦	٢٥٢
﴿وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾	٣٧	٢٥٢
﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾	٤٤	٣١٧
﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾	٧٥	١١٦
﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْنَاهُ مِنْ طِينٍ﴾	٧٦	١١٦
سورة الزمر		
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾	٢	٢٣٦
﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	١٠	٣٠٨
﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾	٣٦	٢٧٢
﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾	٥٣	٢٢٩، ٤٠٠
﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾	٦٦	٢٨٦
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ﴾	٧٤	٢٩٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة خافر		
﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾	٣	٢٢٣، ٤٠٧
﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾	٧	٢١٩
﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾	١٦	٢٢٠
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾	٢٨	١٢٤
﴿ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾	٣٩	٢٦٢
﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ﴾	٤٠	٢٦٢
﴿ فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾	٤٤	٢٨٤
﴿ فَوَكَهَهُ اللَّهُ سَبْعَ مَآكِرٍ وَمَا كَرُّوا وَهَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾	٤٥	٢٨٤
﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾	٦٧	١٧٧
سورة فصلت		
﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾	١٩	٣٣٠
﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَبِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	٢٠	٣٣٠
﴿ وَقَالُوا لِمَ جُودِهُم لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ ﴾	٢١	٣٣١، ٣٣٠
﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴾	٢٢	٣٣١
﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	٢٣	٢٢٨
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾	٣٣	١٦٥
﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾	٣٤	٧٨
﴿ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾	٣٥	٧٨
﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾	٤٣	٢٢٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشورى		
﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾	٣٠	٣٩٦
﴿ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقْ مَا يَشَآءُ ۚ ﴾	٤٩	١٥٥
﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مِّنْ شَآءٍ عَاقِمًا ﴾	٥٠	١٥٥
سورة الزخرف		
﴿ سُبْحٰنَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾	١٣	٢٩٧
﴿ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾	١٤	٢٩٧
﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴾	٨٠	٣٢٩
سورة الجاثية		
﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيٰتٍ لِّأُولِى الْأَبْصَٰرِ ﴾	١٣	٢٩٢
﴿ وَإِنَّ الظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾	١٩	٥٢
﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ۚ ﴾	٢٣	١٤٩
سورة الأحقاف		
﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾	٣٥	٣١٩
سورة محمد		
﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ۖ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾	٤ - ٧	٤٣
﴿ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾	٤	٤٠٩
﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصَرُّوْا اللَّهُ يَضِرَّكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾	٧	١٠٥
﴿ وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُولُهُمْ ﴾	١٧	٢٣٤
﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلٰمِ وَأَنْتُمْ الْآعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَهُمُ أَعْمٰلُكُمْ ﴾	٣٥	١٠٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفتح		
﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا﴾	٧	١٩٣
سورة الحجرات		
﴿وَلَنَكُنَّ اللَّهُ حَبَبَ إِلَيْكُمْ أَلَا يَمُنَّ رَبَّنَاهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَتْ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ﴾	٧	٢٩٢
﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	٨	٢٩٢
﴿وَلَمَّا طَابَ فِئَانُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَتْوْا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾	٩	٩٨
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾	١٠	٩٨، ٨١، ٦٥، ٥٩
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾	١١	٨٠، ٧٩
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾	١٢	٨٠، ٧٩
﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾	١٣	٦٧، ٦٦
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾	١٥	٣٨٥، ١٢٤
﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَن أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾	١٧	٢٩٢
سورة ق		
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾	١٦	٣٣٣، ٣٢٩
﴿وَأَرْزَلْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَفَيِّنِ عِوَىٰ بَعِيدٍ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ﴾	٣١ - ٣٣	٢٢٣
﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾	٣٣	٢٢٤
سورة الذاريات		
﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	٤٩	١٦٠، ١٥٩
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	١٣٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الطور		
﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾	٤٨	٣٢٠
سورة النجم		
﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾	٢٩	٢٥٩
﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمِ مِنَ الْعِلْمِ﴾	٣٠	٢٥٩
﴿فَلَا تَرْكُؤُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾	٣٢	١١٥
﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾	٤٢	٤٣
﴿خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾	٤٥	١٧١
سورة الرحمن		
﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾	٤، ٣	٢٩١
سورة الواقعة		
﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۖ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾	٤ - ٦	٤٠٣
سورة الحديد		
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	٣	٣٣٢
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾	٤	٣٣٢، ٣٣٣
﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾	١٦	٣٦٥
﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ۖ ثُمَّ يَهَيِّجُ فُتْرَهُ مُمْصَفًّاءً﴾	٢٠	٢٢٣، ٢٦٢، ٢٦٩
سورة المجادلة		
﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾	١	١٣٤
﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾	٦	٣٣٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	٧	٣٣٢، ٣٢٥
﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾	١٨	١٠٨
﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾	٢٢	١٥٠
سورة الحشر		
﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾	٩	٦٩
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾	١٠	١٠٦، ٣٢٦، ٤١٥، ٣٧١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾	١٨	٣٥٨
﴿الْجَبَّارُ الْمُنَكَّرُ﴾	٢٣	٢٢٠
سورة الممتحنة		
﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾	٤	٢٧٥
﴿وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾	٨	٩٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهْجَرَتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾	١٠	١٣٤
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ﴾	١٢	١٣٤
سورة الصف		
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُم بُنِينَ مَرْصُورًا﴾	٤	٨٢، ٣٨٢
سورة الجمعة		
﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾	٢	١٥
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾	١٠	٢٧٧، ٢٧٩



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المنافقون		
﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ﴾	١٠	٢٠٣، ٤
﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	١١	٢٠٣، ٤
سورة التغابن		
﴿فَأَنْفِقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾	١٦	٢٠٧
سورة الطلاق		
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾	٢	٢٧٢
﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ﴾	٣	٢٧٢
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾	٤	٢٧٢
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾	٥	٢٧٢
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَهَا﴾	٧	٢٠٧
سورة التحريم		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾	٦	٣٤٤، ٢٠٨
سورة الملك		
﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	١٣	٣٣١
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	١٤	٣٣١، ٢٧٠
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾	١٥	٢٧٧
سورة الحاقة		
﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾	١٤، ١٥	٤٠٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المعارج		
﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾	٥	٣٢٠
سورة نوح		
﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٤	٢٠٤
سورة المزمل		
﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾	٩	٢٧١
﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾	١٠	٣١٩
﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَعَآخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾	٢٠	٢٧٩
سورة المدثر		
﴿يَتَأْتِيَهَا الْمُدَّثِّرُ ۖ قُمْ فَأَنْذِرْ... وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾	١ - ٧	٣١٩
﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾	٣١	٣٩٧ ، ١٩٣
سورة القيامة		
﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾	٢	٣٥٨
﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾	٢٢ ، ٢٣	٣٧٤
سورة الإنسان		
﴿وَجَزَّيْنَهُمَا صَبْرًا وَجَنَّةً وَحَرِيرًا﴾	١٢	٣٠٧
سورة المرسلات		
﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۖ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾	٢٠ ، ٢١	١١٧
سورة النازعات		
﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاحِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۖ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۖ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾	٦ - ٩	٤٠٣



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾	٢٤	٢٦٧
﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ﴾	٣٣	٢٩١
﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا... فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾	٣٧ - ٤١	٢٥٨
سورة التكويد		
﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِيتْ﴾	٨ ، ٩	١٥٤ ، ٨٧ ، ١٨
سورة الانفطار		
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كُنِينٍ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾	١٠ - ١٢	٣٣٩
سورة المطففين		
﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٦	٢٥٧
﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	١٤	٢٣٥
﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَّحُجُونَ﴾	١٥	٣٧٤
سورة الطارق		
﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾	٥ - ٧	١١٧
سورة الأعلى		
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾	١٤ ، ١٥	٢١٧
سورة الفجر		
﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾	١ ، ٢	٣٦٧
﴿فَاكْثُرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾	١٢ - ١٤	٣٩٧
سورة البلد		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾	٤	٢٦١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾	٩ ، ٨	٢٩١
﴿ فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً ﴾	١١ - ١٣	٣٢
سورة الشمس		
﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾	٧ - ١٠	٣٤٩ ، ٢١٧
سورة العلق		
﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾	٤ ، ٥	٢٩١
سورة البينة		
﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾	٥	٢٥٠ ، ٢٣٦
سورة الزلزلة		
﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ ﴾	٦	٣٢٩
﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾	٧	٢٧٦
﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾	٨	٢٧٦

* * *





فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



رقم الصفحة	الحديث
	أ
١٠٨	آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوّمن خان
١٦٩	أتردّين عليه حديثه؟ قالت: نعم. قال رسول الله ﷺ: اقبل الحقيقة
٢٢٢	أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار؟ قلنا: لا
٢٣٧	اتّق المحارم تكن أعبد الناس
٣٨٥، ٢٤٨	أحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ
٣٧٦	أحبّوا الله لما يَغْذُوكُم مِنْ نِعَمِهِ، وأحبّوني بحُبّ الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي
٤٠١	احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء
١١٦	إذا أخبرتنا أخبرناك. فقال: وذاك بذاك؟
١١١	أرأيتم لو أخبرتم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مُصدّقين
١٠٨	أربعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ
١١٤	إصلاح ذات البين؛ فإنّ فساد ذات البين هي الحالقة
٢٣٩	أعطوا الأجير أجره، قبل أن يجفّ عرقه
٢٩	أعطيتُ خمسًا لم يعطهنّ أحد قبلي - وذكر منها - ونُصرتُ بالرعب مسيرة شهر
٣٥٠	اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك

رقم الصفحة	الحديث
٩٤	أَفَلَا شَقَّقْتَ عَنْ قَلْبِهِ؟!
١١٣	أَلَا أَخْبِرْكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ
٢٢٨	أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةً، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةَ
١٢٥	أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ (ثلاثاً). قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ
٢١٦	أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ
١٧٨	اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ
٣١٣	اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ مَصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا
٣٦٣	أَلَمْ يَكُنْ لَكَ بَدْءٌ مِنَ الَّذِي صَنَعْتَ؟ ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ يَبْهِي بِكَ فِي سَمَائِهِ
٩٣	أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
٢٤٣	إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا
٣٥٣	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
١٤٦	إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي - أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ - عَلَى ضَلَالَةٍ
٢١٢	إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ
٣٩٨	إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ
٢١٤، ٣٦	إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا
٣٨١، ٣٥٣	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَّقِنَهُ
٢٦٥	إِنْ تَصَدَّقَ اللَّهُ يَصْدُقْكَ
٣٤١	أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ
٤٠٥	إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ
٢٠٧	إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ
٢١٩	إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي



الحديث	رقم الصفحة
إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرَى - أَي: مِنْ أَشَدِّ أَنْوَاعِ الْكَذِبِ وَالْفَرِيَةِ - أَنْ يُرَى -	١٢٧
أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ	١٨٠
انصِرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا	٧٢
إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ	٧٨
إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى	٢٣٦، ٢٥٠
إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ	٢٢
إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ	١٦٥
إِنِّي وَالْإِنْسَ وَالْجَنِّ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ، أَخْلَقَ وَيُعْبَدُ غَيْرِي	٢٣٠
أَوْ مُسْلِمًا... يَا سَعْدُ، إِنِّي لِأَعْطِيَ الرَّجُلَ وَغَيْرَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ	٩٠
أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ: الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ	٣٩٠
إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوفُ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوفُ فِي الدِّينِ	٨٩
أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلْتَ زَوْجَهَا طَلَاقًا فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ	١٦٩
أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا اسْتَنْقَذَ اللَّهَ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ	٣٢
أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، كُلُّكُمْ لِآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ	٦٧
أَيُّهَا النَّاسُ. فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ: اسْتَأْخِرِي عَنِّي. قَالَتْ: إِنَّمَا دَعَا الرِّجَالُ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءُ	١٥٨
ب	
بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ	٧٨
بَرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ	١٨٧
ت	
تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ	٧٥
تَحْرِيفُ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالُ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلُ الْجَاهِلِينَ	٣٥

رقم الصفحة	الحديث
٧٥	تشميت العاطس
٦٧	التقوى ههنا
ث	
٣٨٩، ٣٨٠، ١٠	ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه
٢٣٩	ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنتُ خصمه خصمته يوم القيامة
١٢٧	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يُزكِّيهم، ولهم عذاب أليم: شيخٌ زانٍ
ح	
٢٦٦، ٤٢	حُبُّ الدنيا، وكراهية الموت
٣٥٨	حبُّك للشيء يُعمي ويصمُّ
١١٣	الحرب خدعة
٢٩٧	الحمد الذي جعله عذاباً فرأتا برحمته ولم يجعله ملحاً أجاباً بذنوبنا
٢٩٦	الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النُّشور
٢٩٦	الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وإذا رأى ما يكره قال: الحمد لله
٢٩٦	الحمد لله الذي كفانا وأروانا غير مكفِّي ولا مكفور
٢٩٧	الحمد لله، ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿
خ	
١٩٧	الخلق عيال الله، فأحبُّهم إليه أنفعهم لعياله
١٩٧	خيرُ النَّاس أنفعهم للنَّاس
د	
١٧٤	دخلت امرأة النار في هرة ربطتها
٣٣٧، ٢٤٥	دع ما يريبك إلى ما لا يريبك
١٧٣	دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه



الحديث	رقم الصفحة
ر	
رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ	١٨٤
ز	
زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي	١٦٣
س	
سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ	٨٧
سَبِيلُ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ	٥٨
سَيُظَلُّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ يُجَدِّدُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَ دِينِهَا	٣٦
ش	
شَحَّ هَالِعٌ، وَلَا جَبْنَ خَالِعٌ	٣٨٥
شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ: شَحٌّ هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ	١٠٩
ص	
صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ	١٦٣
صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَقَهُ اللَّهُ	٢٦٥
الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا، بَرُّ الْوَالِدَيْنِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	٣٨٥
صَنَفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سَيَاطِرُ كَاذِبَاتِ الْبَقَرِ	١٤٠
صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ	١٧٢، ٣٦٧
ط	
الطَّهْرُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ	٢٩٧
ع	
عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحِبِّ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقٌ	٢٦١

رقم الصفحة	الحديث
١٤٦	عليكم بالجماعة؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ
١٢٣	عليكم بالصدق؛ فَإِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ
غ	
٤١	غشاء كغشاء السيل
ف	
١٧٤	فشكر الله له فغفر له
٩٤	فكيف تصنع ب: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟
٨٦	فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكلُ من خَشَاشِ الْأَرْضِ
٢٤٤	فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ
٢٥٢	فهو بِنَيْتِهِ، فَوَزَّرَهُمَا سِوَاءَ
١٧٤	في كلِّ كبد رطبة أجر
ق	
٢٦٥	قَسَمْتُهِ لَكَ. قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَيَّ هَذَا اتَّبَعْتُكَ
٣٤٢	قم - يا بلال - فَأَرْحَنَّا بِالصَّلَاةِ
ك	
٥١، ٤٠	كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى
٣٦٤	كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ
٣٤٢	كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ
١١٠	كَبُرَتْ خِيَانَةٌ أَنْ تَحْدُثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مَصَدَّقٌ، وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ
٢٤٤	كُلُّ جَسَمٍ نَبَتٍ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ
٨٦	كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ - كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ - إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا



رقم الصفحة	الحديث
٣٠٨	كلُّ عمل ابن آدم له، إلَّا الصَّيام فإنه لي وأنا أجزي به
٨٢	كلُّ المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه
٢٠٩	كلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته؛ فالرجلُ راع في أهله
٦٨	كلُّكم لآدم، وآدم من تراب
٢٣٧	كن ورعًا تكن أعبد النَّاس
٣٦٥، ٢٢٥	الكَيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها
ل	
١١٤	لا أقول: تَحْلِقُ الشَّعر، ولكن تحلق الدِّين
٧٠	لا تختلفوا؛ فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا
٧٤	لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا
٨٧، ٧٧	لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض
٢١٤، ٣٥	لا تزال طائفة من أُمَّتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم
٢٥٩، ٤٧	لا تزنْ عند الله جناح بعوضة
٥	لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامة حتى يُسألَ عن عمره فيما أفناه؟
٩٥	لا تقتله؛ فإن قتلته، فإنَّه بمنزلة قبل أن تقتله، وإنَّك بمنزلته قبل أن يقول كلمته
٣٢١	لا تقفنَّ عند رجلٍ يُقتلُ مظلومًا؛ فإنَّ اللعنة تنزل على من حضره
٣٩٣	لا تقوم الساعة حتَّى يُقبض العلم، ويتقارب الزمان، وتكثر الزلازل والفتن
١٣٧	لا تمنعوا إماء الله مساجد الله
٩٠	لا - ثم أخبرهم - إنَّه سيخرج من ضئضئ هذا قوم - من أصل هذا الرجل
٣٨٩	لا، والذي نفسي بيده، حتَّى أكون أحبَّ إليك من نفسك
١٨٥	لا، ولا بزفرة واحدة

رقم الصفحة	الحديث
٧٥	لا يَبِغُ الرجلُ على بَيْعِ أخيه، ولا يَخْطُبُ على خِطْبَةِ أخيه، إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَهُ
٣٣٥، ٢٤٤	لا يبلغ العبد أن يكون من الْمُتَّقِينَ، حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ؛ حَذَرًا لِمَا بِهِ بَأْسٌ
٣١١	لا يحلُّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُجَدَّ على ميت فوق ثلاثة
١١٠	لا يحلُّ لمسلم أن يروِّع مسلمًا
٧٥	لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان في الطريق
٨٠	لا يدخل الجنة قتات
٩٩	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن - أي: إيمانًا كاملاً -
٣٠٣، ٢٩٤	لا يشكر الله من لا يشكر النَّاسَ
١٦٨	لا يَفْرَكُ مؤمنٌ مؤمنةً - يعني: لا يبغيض ولا يكره مؤمنٌ مؤمنةً -
٢٠٧	لا ينبغي للمؤمن أن يذِلَّ نَفْسَهُ
٣٨٩	لا يؤمن أحدكم حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
٦٩، ٦٨	لا يؤمن أحدكم حَتَّى يَحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ
١٠	لا يؤمن عبدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
١١١	لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ - أَوْ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ - شِبْرًا بِشِيرٍ
٣٦٨	لِتُلْبِسْهَا أَخْتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا
٨٦	لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ
٣١٢	لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَبَارِكَ لَكُمْ فِي لَيْلَتِكُمْ
٩٣	لَعَلَّ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي
٢٤٠	لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي
٢٣٨، ٢٠٧	لعن النَّبِيُّ ﷺ أَكَلَ الرِّبَا وَمُؤْكَلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ
٣٩٨	لَنْ تَظْهَرَ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الطَّاعُونَ



رقم الصفحة	الحديث
٨٦	لن يزال المؤمنُ في فسحة من دينه، ما لم يُصِبْ دمًا حرامًا
٢٨٤	لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خماصًا
٢٨٨	ليَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا
١١٣	ليس الكذاب الَّذي يُصْلِح بين النَّاسِ، ويقول خيرًا وَيَنْمِي خيرًا
٧٧	ليس مَنَّا مَنْ دعا إلى عَصِيَّةٍ، وليس مَنَّا مَنْ قاتل على عَصِيَّةٍ
١٨٦	ليس مَنَّا مَنْ لم يُجِلِّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقَّه
م	
١٨١	ما آمن بي مَنْ بات شعبانَ، وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم
٣٧٣	ما أعددت لها؟ قال: يا رسولَ الله، ما أعددتُ لها كبيرَ صيامٍ ولا صلاةٍ
٢٢٧	ما أقلَّ حياءٍ من يطلب جنَّتي بغير عمل! كيف أجود برحمتي
١٨٧	ما أكرمَ شابٌ شيخًا لسنِّه، إلَّا قَيَّضَ اللهُ له مَنْ يكرمه عند سنِّه
٦٤	ما أنزل الله داءً إلَّا أنزل له شفاء
٢٤٦، ١٩٨	ما تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتَّى يُسأل عن أربعٍ: عن عمره فيما أفناه؟
١٣٣	ما التفتُ يمينًا وشمالًا إلَّا وأراها تقاتل دوني
٣٦٧	ما العمل في أيام أفضل منها في هذه العشر
١٧٢	ما من أيَّام أعظم عند الله، ولا أحب إلى الله العمل فيهنَّ من أيَّام العشر
١٠٥	ما من أيَّام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام
٣١٠	ما من عبدٍ تُصيبه مصيبة، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون
٦٥، ٧١، ٣٤٦، ٧٢	المسلمُ أخو المسلم، لا يَظلمه، ولا يُسلمه
٣٤٦	المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم



رقم الصفحة	الحديث
٣٦٨	مَنْ أَحْيَا سُنَّةَ مَنْ سُنَّتِي قَدْ أَمِيتَ بَعْدِي، فَإِنَّ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ
١٨٥	مَنْ أَدْرَكَ وَأَبُويهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ
٦٨	مَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ
٦٠	مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا
١٢٦	مَنْ حَدَّثَ عَنِّي حَدِيثًا، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ
٣٣٨، ٣٥٩	مَنْ حَسَّنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ تَرَكُهُ مَا لَا يَعْغِيهِ
٢٤٨	مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ
٢٤٨	مَنْ صَامَ رَمَضَانَ فَشَهْرَ بَعَثَةِ أَشْهُرٍ، وَصِيَامَ سِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ
٣٠٣	مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لَصَاحِبِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ أُبْلِغَ فِي الثَّنَاءِ
٢٠٦	مَنْ ضَلَعَ الدِّينَ وَغَلَبَةَ الرِّجَالَ
٧٧	مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ
٨٦	مَنْ قَتَلَ مَعَاهِدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ
١٢٦	مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعِدَةَ مِنَ النَّارِ
٣١٥	مَنْ نَصَبَ أَوْ وَصَبَ، أَوْ غَمَّ أَوْ حَزَنَ، حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُهَا، يَكْفُرُ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ
٦٥	الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ
٤٠، ٧١، ٤٠٥	الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا
٧٢	الْمُؤْمِنُونَ كَجَسَدٍ وَاحِدٍ، إِذَا اشْتَكَى بَعْضُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ
ن	
١١٦، ١١٧	نَحْنُ مِنْ مَاءٍ
١٣٢	النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ
٩٣	نُهِيتُ عَنْ قَتْلِ الْمُصَلِّينَ



الحديث	رقم الصفحة
هـ	
هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة - منزلة الاضطفاء - وكلهم في الجنة	١٠٠
هذا سبيل الله. ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبيل	٤٣
هلك المُتَنَطِّعون، هلك المُتَنَطِّعون، هلك المُتَنَطِّعون	٨٩
و	
وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم	٢٠٧
واعلم أنَّ النصر مع الصبر	٣٠٦
والكلمة الطيبة صدقة	٧٥
واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع	١٢٥
وإنما لكل امرئ ما نوى	٣٨٤
وإنَّ نبيَّ الله داود كان يأكل من عمل يده	٢١
وأيُّما أهل عَرْصة - أي: ساحة - أصبح فيهم امرؤ جائع، فقد برئت منهم ذمَّة الله	١٨١
وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم	٩٣
وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يخبط في ماله بغير علم	٢٥١
وعينُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كليلَةٌ	٣٥٧
ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن	٢٦٦
وما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترضت عليه	٣٨٤
ومنْ شذَّ شذَّ إلى النار	١٤٧
ي	
يا أبا بكر، ألسْتَ تمرض؟ ألسْتَ تحزن؟ أليس يُصيبك الأذى؟ فهذا ممَّا تُجزى به	٣١٥
يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟	٢٥٤

رقم الصفحة	الحديث
٢٨٣	يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن؛ إِنَّ الله معنا
٩٩	يا أبا ذر، إِنَّك امرؤ فيك جاهليّة
٣٨٧	يا أبا يحيى، ربح البيع، ربح البيع، ربح البيع
٩٤	يا أسامة، أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟!
٢٠٥	يا حنظلة، ساعة وساعة
٢٤٣	يا سعد، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة
٢٤٢	يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ، أمن حلال أم من حرام
٢٠٨	يتعرّض من البلاء لما لا يُطيق
٢١٤	يحمل هذا العلم (ميراث الثبوة) من كلّ خلفٍ عدوّه
٢٣٧	يدع الطعام من أجلي، ويدع الشراب من أجلي، ويدع لذته من أجلي
٤٠	يسعى بذمتهم أدناهم، ويُجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم
١٠٩	يُطبع المؤمن على كلّ خلّة - أي: على كلّ خصلة - غير الخيانة والكذب
٧٧	يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً، فَقَتَلَ فَقَتَلَهُ جَاهِلِيَّة
٩٦	يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان
٣٤٩	ينبغي أن يكون للعاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله أربع ساعات



فهرس الموضوعات

- ❖ من الدستور الإلهي للبشرية ٤
- ❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥
- مقدمة: د. يوسف القرضاوي ٧
- مقدمة: د. خالد السعد ٩
- ❖ ١- أباطيل حول الاحتفال بالمولد النبوي
- أنحتفل بميلاد الرسول أم بميلاد الرسالة؟ ١٠
- حبُّ المسلمين للنبيِّ وحقيقته ١٠
- بدعة الموالد ونشأتها ١١
- أحداث وذكريات في شهر ربيع الأول ١٣
- اختيار الهجرة للتاريخ ١٤
- الامتنان بالبعثة وليس بالمولد ١٥
- ضلال العرب قبل البعثة وهداية النبي لهم ١٥
- الجاهليّة أفسدت عقول الإنسان وتفكيره ١٦
- الجاهليّة أفسدت عقل الإنسان وعاطفته ١٨

- ١٨.....الجاهليّة عمّت العالم كلّهُ
- ١٨.....الجاهليّة في الحضارة الهنديّة
- ١٩.....الجاهليّة في الحضارة الفارسيّة
- ٢٠.....بعثة النبي ﷺ أعظم نعمة
- ٢١.....الرسول هو الأسوة المثلى لكلّ المؤمنين
- ٢٣.....وجوب تبليغ الرسالة إلى العالم
- ٢٤.....هل بلّغنا دعوة الإسلام تبليغاً صادقاً؟
- ٢٥.....دلائل صدق النبي ﷺ كثيرة
- ٢٦.....التنصير في ديار المسلمين

❖ ٢ - عناصر الخلود في هذه الأمة..... ٢٨

- ٢٨.....المرض يصيب الأمم كما يصيب الأفراد
- ٢٩.....الأمة الإسلاميّة أمة مجد وعزّ
- ٢٩.....المجد السياسي لأمة الإسلام
- ٢٩.....المجد العسكري لأمة الإسلام
- ٣١.....المجد الاقتصادي لأمة الإسلام
- ٣٢.....الضعف بعد القوّة
- ٣٣.....عناصر الخلود في الأمة
- ٣٣.....أولاً: حفظ القرآن والسنة
- ٣٥.....ثانياً: وجود الطائفة القائمة على الحقّ
- ٣٦.....ثالثاً: ظهور القوّة الذاتيّة في الشدائد والكروب
- ٣٨.....سرّ قوّة الأمة
- ٣٨.....أولاً: الاستمسك بشرع الله
- ٣٨.....ثانياً: احترام سنن الله في الأنفس والآفاق
- ٣٩.....رعاية الأسباب والمُسبّبات واجبة



- ٤٠..... ثالثاً: التعاون على البرِّ والتقوى
- ٤١..... وهن الأمة اليوم
- ٤٣..... كيف تجتمع هذه الأمة؟
- ٤٥..... الذكرى الثانية للانتفاضة الثانية
- ٤٦..... خذلان الشعب الفلسطيني
- ٤٨..... أثبت شعب فلسطين فالتصرّات

❖ ٣ - مآسي المسلمين والعلاج

- ٥٠..... المسلمون اليوم يعيشون عصر المآسي
- ٥٢..... مآسي المسلمين في كلّ مكان
- ٥٣..... المسلمون بحاجة إلى مَنْ يقف معهم
- ٥٤..... ليتنا نتعلّم من أعدائنا
- ٥٤..... اصطناع الصليبيّة لعدوّ جديد
- ٥٤..... الكيد لأمة الإسلام والمكر بصحوتها
- ٥٥..... وجوب تجمّع الأمة وتكثّلها تحت قيادة واحدة
- ٥٦..... ضياع الخلافة وتمزّق بلاد المسلمين
- ٥٧..... الإسلام الصحيح أساس الوحدة
- ٥٨..... سعي أعداء الإسلام لتمزيق الأمة المسلمة
- ٥٩..... مظاهر كيد الأعداء للمسلمين
- ٥٩..... تحذيري للإخوة الأفغان من التنازع
- ٦٢..... البشائر بانتصار الإسلام
- ٦٣..... خوف أعداء الإسلام من الأصوليين
- ٦٣..... الإسلام يرفض العنف ويرفض مصادرة حرمة المسلمين
- ٦٤..... وحدة الأمة واجتماع قادتها لحلّ مشكلاتها من منافع الحجّ



٦٥.....	❖ ٤ - الأخوة الإسلامية.....
٦٥.....	الأخوة الإسلامية أساس المجتمع الصالح.....
٦٥.....	حال المجتمعات قبل الإسلام.....
٦٦.....	عناصر الأخوة.....
٦٦.....	أولاً: المساواة.....
٦٨.....	المساواة المطلقة بين الناس، أول عناصر الأخوة.....
٦٨.....	ثانياً: المحبة.....
٦٩.....	منزلة الإيثار.....
٧٠.....	ثالثاً: الوحدة.....
٧١.....	رابعاً: التعاون.....
٧١.....	خامساً: التناصر.....
٧٣.....	عبادات الإسلام تؤكد معاني الأخوة.....
٧٤.....	آداب الإسلام وأخلاقياته تثبت معاني الإخاء.....
٧٥.....	تشريعات الإسلام وأحكامه تثبت هذه الأخوة.....
٧٦.....	الآفات الداخلية التي تفسد الأخوة.....
٧٧.....	١ - الأنانية.....
٧٧.....	٢ - العصبية.....
٧٨.....	٣ - الكبر.....
٧٩.....	٤ - سوء الظن.....
٨٠.....	الآفات الخارجية التي تفسد الأخوة.....
٨٠.....	إثارة العوامل المفرقة للأمة.....
٨٢.....	وجوب نسيان الخلافات في وقت المعركة.....
٨٤.....	❖ ٥ - قتل المصلين جريمة عظيمة.....
٨٤.....	عودة بعد غياب.....



- ٨٥..... كارثة قتل المصلّين
- ٨٥..... حرمة الدماء عظيمة في كلّ الأديان
- ٨٧..... سفك الدماء في الجاهليّة
- ٨٧..... دوافع القتل عند النّاس
- ٨٨..... دوافع قتل المصلّين
- ٨٩..... الفكر الخارجي هو الدافع
- ٩٠..... بداية الفكر الخارجي
- ٩١..... تحذيره ﷺ من الخوارج
- ٩٢..... واجب العلماء والمرّيين
- ٩٥..... خطر الفكر الخارجي
- ٩٧..... النهي عن قتل الرهبان في الصوامع
- ٩٧..... التكفير هو الخطر الأكبر
- ٩٨..... المعاصي لا تُكفّر ولو كانت كبائر
- ١٠١..... انتخاب شارون رئيس وزراء لإسرائيل
- ١٠٢..... الانتفاضة يجب أن تستمرّ وتُساند
- ١٠٥..... فضل العشر الأوّل من ذي الحجة
- ❖ ٦ - كذبة أبريل عادة قبيحة..... ١٠٧
- ١٠٧..... كذبة أبريل
- ١٠٨..... كذبة أبريل حرام لوجوه
- ١٠٨..... الأوّل: أنّها كذب
- ١١٠..... ثانيًا: أنّها ترويع للمسلم بغير حقّ
- ١١٠..... ثالثًا: أنّها خيانة للصّاحب
- ١١١..... رابعًا: أنّها تقليد لغيرنا
- ١١١..... الحياة الإسلاميّة تقوم على الصّدق

- ١١٢..... حالات يجوز فيها الكذب
- ١١٣..... الموضوع الأول الكذب في الحرب
- ١١٣..... الموضوع الثاني الإصلاح بين الناس
- ١١٤..... الموضوع الثالث في العلاقات الزوجية الحميمة
- ١١٥..... صدق مذموم
- ١١٦..... في المعارض مندوحة عن الكذب
- ١١٨..... شيوع الكذب في جوانب الحياة
- ١١٨..... ١ - الكذب في الحياة الاجتماعية
- ١١٨..... ٢ - الكذب في الحياة الاقتصادية
- ١١٩..... الإغراء بالشراء عن طريق المبالغة في الدعاية والإعلان
- ١٢١..... جوائز السحب الكبرى
- ١٢٢..... ٣ - الكذب في الحياة السياسية
- ١٢٢..... التزام الصدق وتحرّيه
- ١٢٣..... الصدق فيه النجاة
- ١٢٤..... حاجة الأمة إلى الصدق
- ١٢٥..... أنواع الكذب
- ١٢٥..... ١ - الكذب في الشهادة
- ١٢٥..... ٢ - الكذب في اليمين
- ١٢٦..... ٣ - الكذب على النبي ﷺ
- ١٢٦..... ٤ - الكذب في الرؤيا
- ١٢٧..... ٥ - كذب الملوك والرؤساء
- ١٢٨..... الأمر الأول إضراب إخواننا في فلسطين
- ١٢٩..... الأمر الثاني زيارة البابا للأراضي المقدسة



❖ ٧ - المرأة ودورها في الحياة..... ١٣١

حق المرأة في المشاركة في الحياة العامة..... ١٣١

دور المرأة في عصر النبوة..... ١٣٢

تراجع دور المرأة في الحياة الإسلامية..... ١٣٥

حُجَّة المانعين للمرأة من الحضور إلى المسجد..... ١٣٦

تقاليد غريبة عن الإسلام..... ١٣٧

ضياح قضية المرأة بين الإفراط والتفريط..... ١٣٧

النظرة الدونية للمرأة..... ١٤٠

ما يريده المُفَرِّطون من المرأة..... ١٤٠

ما يُريده المُفَرِّطون من المرأة..... ١٤٠

الإسلام مرجعيتنا في دور المرأة..... ١٤١

عودة المرأة إلى المرجعية الإسلامية..... ١٤٣

ملحمة جنين..... ١٤٤

الشذوذ عن الجماعة..... ١٤٥

حرق عِلْمِي إسرائيل وأمريكا..... ١٤٧

تحریم شراء البضائع اليهودية والأمريكية..... ١٤٨

الدعاة إلى التطبيع مع إسرائيل..... ١٤٩

❖ ٨ - يوم المرأة العالمي..... ١٥٢

الإسلام حرر المرأة..... ١٥٢

وضع المرأة في الجاهلية..... ١٥٣

وأد البنات في الجاهلية..... ١٥٤

فضل الإسلام على البنات..... ١٥٤

تكریم الإسلام للمرأة ومظاهره..... ١٥٥

حكمة امرأة العزيز..... ١٥٦

- ١٥٦.....حكمة ابنة الشيخ الصالح في مدين
- ١٥٧.....حكمة ملكة سبأ
- ١٥٨.....المرأة مكلفة مثل الرجل
- ١٥٩.....بعضكم من بعض
- ١٥٩.....الزوجية سنة كونية
- ١٦٠.....الحضارة الحديثة تخالف هذه السنة الكونية
- ١٦١.....إحياء الحضارة الغربية للشذوذ الجنسي والمباهاة له
- ١٦٢.....الحياة تقوم على الازدواج
- ١٦٢.....الإسلام يرفع قيمة المرأة
- ١٦٣.....أول شهيد في الإسلام امرأة
- ١٦٣.....أول مؤمن برسالة محمد ﷺ امرأة
- ١٦٤.....الرسالة المحمدية رسالة الرجل والمرأة
- ١٦٦.....خطر الجور على المرأة باسم التدوين
- ١٦٦.....خطة تغريب المرأة المسلمة
- ١٦٧.....تطوير قوانين الأسرة يكون وفق اجتهاد شرعي سليم
- ١٦٨.....العمل بقانون الخلع الجديد
- ١٧٠.....سبيل المرأة للتخلص من ظلم الزوج
- ١٧٠.....١ - المخرج الأول الخلع
- ١٧٠.....٢ - المخرج الثاني التحكيم
- ١٧٠.....٣ - المخرج الثالث طلاق القاضي للضرر
- ١٧٢.....ماسي موزمبيق
- ١٧٦.....❖ ٩ - رعاية المسنين
- ١٧٧.....الشيخوخة مرحلة طبيعية من مراحل حياة الإنسان
- ١٧٧.....الشيخوخة مرحلة الضعف



١٧٨.....	مرحلة أرذل العمر
١٧٩.....	حقوق المُسنّين
١٧٩.....	أولاً الحقوق المادّية
١٧٩.....	الحقوق المادّية واجبة على الأسرة
١٨٠.....	الحقوق المادّية واجبة على المجتمع
١٨١.....	تطوُّر هذه الحقوق بتطوُّر الزمن
١٨٢.....	ثانياً الحقوق الأدبية
١٨٢.....	توفير الجو الاجتماعي
١٨٣.....	الوصية بالوالدين في حالة بلوغ الكبر
١٨٣.....	نهيان وثلاثة أوامر
١٨٤.....	الإحسان إلى الأبوين سبب للمغفرة
١٨٦.....	توقير الكبار قيمة إسلاميّة
١٨٨.....	المسنُّ يعيش وحده في الحضارة الغربيّة
١٨٩.....	حاجة المسنّين إلى أسرة
١٩٠.....	القضيّة الأولى قضيّة الشيشان
١٩٣.....	القضيّة الثانية قضيّة فلسطين

❖ ١٠ - نعمة الوقت ١٩٧

١٩٧.....	نعمة الوقت نعمة عظيمة
١٩٨.....	الله سائلنا عن الوقت
١٩٨.....	أربعة أسئلة رئيسة
١٩٩.....	خصائص الوقت
١٩٩.....	الأمر الأوّل أنّه ثمين، وثمان جدّاً
٢٠١.....	والأمر الثاني أنّ هذا الوقت ينقضي بسرعة
٢٠٢.....	وأمر ثالث من خصائص الوقت أنّ ما مضى منه لا يُعوّض

- الإسلام يَعْمُرُ أوقات المسلم ٢٠٢
- متى يُعرف قدر الوقت على الحقيقة؟ ٢٠٣
- الاهتمام بالأوقات في الإجازات وغيرها ٢٠٤
- الترويح عن النَّفس بالمباح وبالاستطاعة ٢٠٥
- مساوئ السفر إلى البلاد الأجنبية ٢٠٥
- الاستدانة للسفر من أجل الرياء الاجتماعي والمظاهر الفارغة ٢٠٦
- مراعاة حدود الاستطاعة ٢٠٧
- توجيه الأبناء إلى الاستفادة بأوقاتهم في الإجازات ٢٠٨
- في وداع الشَّيخ الشعراوي ٢١٠
- من مواهب العلامة المُفسِّر الشعراوي ٢١٠
- الحذر من قبض العلم ٢١١
- مسؤولية الأمة أن تُهيئ من أبنائها من يحمل الراية ٢١٣
- استمرار ميراث النبوة ٢١٤

❖ ١١ - الخوف والرجاء ٢١٦

- حقيقة الإنسان ٢١٦
- عناية الإسلام بتزكية النَّفس ٢١٧
- الخوف والرجاء ٢١٧
- معنى الرجاء ٢١٨
- فضل الله على الإنسان ٢١٨
- الرحمة عامَّة والعذاب خاص ٢١٨
- رحمة الله واسعة ٢١٩
- الرحمن الرحيم ٢١٩
- أرحم الراحمين ٢٢٠
- الموازنة في الوعظ ٢٢١



- ٢٢٢..... رحمة الله بعباده
- ٢٢٣..... الموازنة بين الخوف والرجاء
- ٢٢٣..... الخوف والرجاء في القرآن
- ٢٢٣..... القرآن يربط الخشية بأسماء الجمال
- ٢٢٤..... الأمن من مكر الله
- ٢٢٤..... الرجاء والأمنية
- ٢٢٥..... دخول الجنة ليس بالأمني
- ٢٢٦..... أمني كاذبة
- ٢٢٧..... الرجاء الصحيح
- ٢٢٨..... حسن الظن بالله
- ٢٢٩..... المسرفون على أنفسهم
- ٢٣٠..... التوبة تجب ما قبلها
- ٢٣٠..... فضل الله تعالى على عباده

❖ ١٢ - الورع ٢٣٢.....

- ٢٣٢..... طوبى لمن كان رمضان شاهداً له
- ٢٣٣..... علامات للمقبولين، وعلامات للمردودين
- ٢٣٣..... بئس القوم قوم لا يعرفون الله إلا في رمضان
- ٢٣٤..... علامة قبول صيامك وقيامك
- ٢٣٤..... من عقوبة السيئة أن تضيف إليها سيئة أخرى
- ٢٣٥..... ماذا استفدنا من رمضان؟
- ٢٣٥..... أهمية عمل القلب مع عمل الجارحة
- ٢٣٧..... أهم شيء في الدين الورع
- ٢٣٨..... درجات الورع
- ٢٣٨..... أقل درجات الورع الامتناع عن أكل الحرام

٢٣٨	من أخطر الكبائر.....
٢٣٨	أكل أموال النَّاسِ بالباطل.....
٢٤٠	السُّرَّاق الكبار.....
٢٤١	التعدي على حقوق النَّاس.....
٢٤١	الصدقة لا تُقبل من مال خبيث.....
٢٤٢	الزَّكاة لا تجب في المال الحرام.....
٢٤٤	درجات الورع عند الإمام الغزالي.....
٢٤٥	الابتعاد عن الشبهات.....
٢٤٨	دعاء.....

❖ ١٣ - الزُّهد..... ٢٥٠

٢٥٠	غفلة المسلمين عن أعمال القلوب.....
٢٥١	زُهد القلب.....
٢٥١	أسوأ المنازل من النَّاس.....
٢٥٢	نماذج من الأنبياء الزَّاهدين.....
٢٥٢	داود وسليمان عليهما السَّلام.....
٢٥٣	يوسف بن يعقوب عليهما السَّلام.....
٢٥٤	نماذج من الصَّحابة الزَّاهدين.....
٢٥٤	عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفَّان، والزُّبير بن العوام وغيرهم.....
٢٥٤	الزُّهد الحقيقي.....
٢٥٥	التمتع بالطَّيبات لا يتنافى مع الزُّهد.....
٢٥٥	الزُّهد أن تجعل الآخرة أكبر همِّك.....
٢٥٦	النَّاس صنفان.....
٢٥٦	أولاً من يريد الدُّنيا.....
٢٥٧	ضعاف الإيمان.....



- ٢٥٧..... ثانيًا من يريدون الآخرة ويوقنون بها
- ٢٥٨..... الزُّهد هو إثارة الآخرة على الدنيا
- ٢٥٨..... الإرادة الحقيقيّة للآخرة
- ٢٥٩..... مشكلة الحضارة المعاصرة
- ٢٥٩..... تنافس المسلمين على الدنيا
- ٢٥٩..... وزن الدُّنيا عند الله
- ٢٦٠..... وصف عليّ بن أبي طالب للدنيا
- ٢٦١..... ١ - أولها بكاء، كما يقول الشاعر
- ٢٦١..... ٢ - وأوسطها عناء
- ٢٦١..... ٣ - وآخرها فناء
- ٢٦٢..... ٤ - في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب، وفي متشابها العتاب
- ٢٦٣..... نظرة المؤمنين للدنيا
- ٢٦٣..... مراتب الزُّهد ثلاث
- ٢٦٤..... أثر حبّ الدُّنيا وإيثارها على الآخرة
- ٢٦٤..... أثر حبّ الآخرة وإيثارها على الدُّنيا
- ٢٦٦..... شرُّ ما يصيب الأمّة
- ٢٦٧..... الاستعلاء على الدنيا
- ٢٦٧..... البطل المجاهد عمر المختار
- ٢٦٨..... الشَّيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر
- ٢٦٨..... قيمة الدنيا
- ٢٧٠..... ❖ ١٤ - التوكُّل على الله
- ٢٧٠..... معنى التوكُّل
- ٢٧١..... الأمر بالتوكُّل
- ٢٧١..... فضل التوكُّل

- التوكل كفاية..... ٢٧٢
- التوكل وقاية..... ٢٧٣
- التوكل قوّة..... ٢٧٣
- الأنبياء والتوكل..... ٢٧٤
- التوكل والأسباب..... ٢٧٦
- الأخذ بالأسباب وترك النتائج لله سبحانه..... ٢٨١
- الأنبياء يقتبسون من مشكاة واحدة..... ٢٨٢
- التوكل وسكينة النفس..... ٢٨٣
- ❖ ١٥ - الشُّكر..... ٢٨٦
- العبادات القلبيّة..... ٢٨٦
- فضل منزلة الشكر..... ٢٨٦
- الشكر من أخصّ أوصاف الصالحين..... ٢٨٧
- قلّة الشاكرين في الخلق..... ٢٨٧
- أركان الشُّكر..... ٢٨٧
- شكر القلب..... ٢٨٨
- معرفة قدر النعم..... ٢٨٨
- من نعم الله عليك أنّه خلقك إنساناً..... ٢٩٠
- من نعم الله عليك تسخير الكون لمنفعتك..... ٢٩١
- من نعم الله عليك أن هداك للإسلام..... ٢٩٢
- نعم لا تعدّ ولا تُحصى..... ٢٩٣
- روح الشكر..... ٢٩٤
- شكر اللسان..... ٢٩٥
- الشكر في السرّاء والضراء..... ٢٩٦
- حمْدُ الله تعالى على كلّ حال..... ٢٩٦



- كلمة «الحمد» في القرآن الكريم ٢٩٧
- شكر الجوارح والأركان ٢٩٨
- التحذير من استخدام النعم في معصية الله ٢٩٨
- قانون الله في شكر النعمة وكفرانها ٢٩٩
- منفعة الشكر عائدة إلينا في الدنيا والآخرة ٣٠١
- ❖ ١٦ - الصبر ٣٠٤
- الإيمان نصفان ٣٠٤
- الصبر فضيلة دينية وضرورة دنيوية ٣٠٥
- كل خير لا ينال إلا بالصبر ٣٠٦
- لا تُنال الجنة إلا بالصبر ٣٠٧
- تُنال الإمامة في الدين بالصبر واليقين ٣٠٧
- الصبر والصلاة ٣٠٨
- الصبر وجزاؤه ٣٠٨
- والصبر أنواع ٣٠٩
- أولاً: الصبر على البلاء ٣٠٩
- فضل الاسترجاع ٣٠٩
- استرجاع أم سلمة ٣١٠
- من مظاهر الجزع والعادات المحرمة عند المصائب ٣١٠
- صبرٌ واسترجاع أم سليم ٣١١
- العاقل يصبر ويؤجر ٣١٢
- نعم الله في المصيبة عند عمر ٣١٣
- أول نعمة في المصيبة أنها لم تكن في الدين ٣١٣
- صبر عروة بن الزبير ٣١٤
- وثالث نعمة أنني أرجو ثواب الله تعالى عليها ٣١٥

- ثانيًا: الصبر عن المعصية..... ٣١٦
- صبر يوسف عليه السلام عن المعصية مع توفر أسبابها..... ٣١٦
- صبر أيوب ويعقوب على البلاء..... ٣١٧
- ثالثًا: الصبر على طاعة الله..... ٣١٧
- صبر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام..... ٣١٨
- رابعًا: الصبر على الدعوة إلى الله..... ٣١٨
- صبر نوح عليه السلام..... ٣١٩
- طريق الدعوة يلزمه الصبر..... ٣١٩
- لا بدّ مع الصبر من المصابرة..... ٣٢٠
- المؤمنون أولى بالصبر من غيرهم..... ٣٢٠
- حاجتنا إلى الصبر..... ٣٢١
- بعض الصبر لا يجوز..... ٣٢١
- الصبر المصحوب بالأمل..... ٣٢٢
- إنّ بعد الليل فجرًا..... ٣٢٢
- المستقبل للإسلام..... ٣٢٣
- أهميّة الرقابة على القنوات الفضائية..... ٣٢٤
- الرقابة على النَّفس والأهل..... ٣٢٥
- ❖ ١٧ - المراقبة..... ٣٢٧
- معنى المراقبة..... ٣٢٧
- الغفلة هي آفة الآفات..... ٣٢٨
- لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه سرٌّ ولا علانية..... ٣٢٩
- اقرأ كتابك..... ٣٢٩
- العمل لا يفنى بمجرد وقوعه..... ٣٣٠
- نطق الجوارح وشهادتها يوم القيامة..... ٣٣٠
- علم الله المحيط بكلّ شيء..... ٣٣١



- ٣٣٢.....المؤمن الحق يراقب الله
- ٣٣٣.....قرب الرب من العبد
- ٣٣٣.....المراقبة التي تصنع القلب الحي
- ٣٣٣.....المراقبة تصنع القلب الحي
- ٣٣٤.....أهميّة الرقابة الذاتيّة الناشئة من الإيمان واليقين
- ٣٣٥.....الرقابة الذاتيّة أهم من القوانين
- ٣٣٦.....إن كان أمير المؤمنين لا يرانا فإنّ ربّ أمير المؤمنين يرانا
- ٣٣٦.....مثال آخر للمراقبة
- ٣٣٧.....وصايا للمسلم في المراقبة
- ٣٣٨.....وقفة مع النّفس قبل العمل
- ٣٣٩.....ثلاثة أسئلة يسأل عنها الإنسان نفسه عند كلّ عمل
- ٣٣٩.....لماذا تُقدّم على هذا العمل؟
- ٣٣٩.....كيف يتمّ هذا العمل؟
- ٣٤٠.....لمن هذا العمل الذي تعمله؟
- ٣٤١.....اعبد الله كأنّك تراه
- ٣٤١.....مرتبة المشاهدة
- ٣٤١.....مرتبة المراقبة
- ٣٤٢.....مراقبة الله في أداء الصّلاة
- ٣٤٣.....مراقبة الله بعد أداء العمل
- ٣٤٤.....راقب الله في أمورك كلّها
- ٣٤٦.....سنة الأضحية

❖ ١٨ - المحاسبة.....٣٤٨

- ٣٤٨.....النّفس أمّارة بالسّوء
- ٣٤٩.....وجوب تزكية النّفس

- المحاسبة سبيل لتزكية النفس..... ٣٤٩
- تقسيم الإنسان ساعاته وتوزيع أوقاته..... ٣٥٠
- الدنيا ثلاثة أيام..... ٣٥١
- الدنيا ثلاث ساعات..... ٣٥١
- كيفية المحاسبة..... ٣٥٢
- أولاً قبل العمل..... ٣٥٢
- ثانياً تحاسبها أثناء العمل..... ٣٥٢
- ثالثاً تحاسبها بعد العمل..... ٣٥٣
- من وصايا السلف في المحاسبة..... ٣٥٣
- المحاسبة على البواعث..... ٣٥٤
- النفس دابة حرون..... ٣٥٥
- النفس سبب الوقوع في المعاصي..... ٣٥٥
- قتل الأخ أخاه..... ٣٥٦
- تسويل نفوس إخوة يوسف..... ٣٥٦
- تسويل نفس السامري..... ٣٥٦
- خطر النفس الأمارة بالسوء من ناحيتين..... ٣٥٧
- العدو الداخلي..... ٣٥٧
- العدو المحبوب..... ٣٥٧
- النفس اللوامة..... ٣٥٨
- محاسبة السلف والصالحين لأنفسهم..... ٣٥٩
- وقفة صادقة مع مرور عمر الإنسان..... ٣٦٠
- جدول المحاسبة..... ٣٦٠
- تأديب النفس ومعاقبتها..... ٣٦٢
- أهل المراقبة والمحاسبة..... ٣٦٣



- ٣٦٤..... المحاسبة على قبول الأعمال الصالحة
- ٣٦٥..... التشبُّه بهذه القمم الشامخة
- ٣٦٧..... فضل العمل الصالح في أيَّام العشر
- ٣٦٧..... شهود النِّساء صلاة العيد
- ٣٦٨..... إقامة سُنَّة الأضحية
- ٣٦٩..... نداء لمساعدة المسلمين في البوسنة والهرسك

❖ ١٩ - محبة الله ورسوله..... ٣٧٢

- ٣٧٢..... محبة الله ورسوله أعظم ما يتنافس فيه المتنافسون
- ٣٧٢..... أنت مع من أحببت
- ٣٧٣..... أصناف النَّاس في المحبة
- ٣٧٤..... أعظم ما يراه أهل الجنة
- ٣٧٤..... يحبُّهم ويحبُّونه
- ٣٧٥..... أسباب محبة الله تعالى
- ٣٧٥..... حُبُّ الإنسان لذاته يجعله يحبُّ الله
- ٣٧٥..... حُبُّ الإنسان لمن أحسن إليه يجعله يحبُّ الله
- ٣٧٧..... حُبُّ الإنسان للجمال يجعله يحبُّ الله
- ٣٧٧..... حُبُّ الإنسان للكمال يجعله يحبُّ الله
- ٣٧٨..... المحبة تتحقَّق بالمعرفة
- ٣٧٨..... حُبُّ المشركين غير الله
- ٣٧٩..... علامات المحبة
- ٣٧٩..... اتِّباع منهج الله
- ٣٨٠..... موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه
- ٣٨١..... الإحسان
- ٣٨١..... التوكُّل على الله



- تقوى الله ٣٨١
- التَّطَهُّرُ حَسًّا وَمَعْنًى ٣٨١
- التَّوْبَةُ ٣٨٢
- الصَّبْر ٣٨٢
- الجهاد في سبيل الله وَجَلَّ ٣٨٢
- موانع محبة الله للعبد ٣٨٢
- ١ - الظُّلم والاعتداء ٣٨٣
- ٢ - الاختيال ٣٨٣
- ٣ - الخيانة ٣٨٣
- ٤ - الكفر بنعمة الله ٣٨٣
- ٥ - الإفساد في الأرض ٣٨٣
- طريق محبة الله يتطلَّب عزمًا وتصميمًا ٣٨٤
- التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِالْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ ٣٨٤
- البحث عن أحبِّ الأعمالِ إِلَى اللَّهِ ٣٨٥
- استباق الخيرات ٣٨٥
- المفاصلة الحاسمة بين حبِّ الله ورسوله، وحبِّ الدُّنْيَا وما يتعلَّقُ بها ٣٨٦
- ربح البيع ٣٨٧
- الَّذِينَ يَشْتَرُونَ النَّارَ وَيَبِيعُونَ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَجَلَّ ٣٨٧
- من حَكَمَ ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ ٣٨٨
- فَقَدْ حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ ٣٨٩
- ١ - «أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا» ٣٨٩
- ٢ - «وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءُ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ» ٣٩٠
- ٣ - «وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ» ٣٩٠
- الرَّدُّ عَلَى دَعْوَى الْمُسْتَشْرِقِينَ فِي أَنَّ الْمَحَبَّةَ أَمْرٌ دَخِيلٌ عَلَى الْإِسْلَامِ ٣٩٠



- ❖ ٢٠ - زلزال تسونامي..... ٣٩٢
- وجوب التأمل في الكوارث الكونية..... ٣٩٢
- موقف الناس من الزلزال..... ٣٩٣
- كثرة الزلازل من أسراط الساعة..... ٣٩٣
- كثرة الزلازل تدلُّ على جهل الإنسان وضعفه..... ٣٩٤
- الأمر الأول مدى جهل الإنسان بما حوله..... ٣٩٤
- الأمر الثاني ضعف الإنسان..... ٣٩٤
- معرفة الإنسان قدر نفسه..... ٣٩٥
- الدروس والعبر المستفادة من الزلزال..... ٣٩٦
- الدرس الأول عقاب الله لمن يتعدَّى حدوده..... ٣٩٦
- المخلوقات جند من جنود الله يعذب بها الطغاة والمتجبرين..... ٣٩٧
- سبب وقوع الزلزال في هذه المنطقة وهذا الوقت..... ٣٩٧
- الدرس الثاني ابتلاء المؤمنين..... ٣٩٩
- الدرس الثالث تنبيه الغافلين..... ٣٩٩
- أصناف الناس أمام المصائب..... ٤٠٠
- الصنف الأول من يعرف الله في الرِّخاء والشدة..... ٤٠١
- الصنف الثاني من ينسى الله في الرِّخاء ويعرفه عند الشدة..... ٤٠١
- الصنف الثالث من لا يعرف الله في رخاء ولا في شدة..... ٤٠٢
- الدرس الرابع التذكير بزلزلة الساعة..... ٤٠٣
- الدرس الخامس التوبة والاستغفار والشكر لله وعجل..... ٤٠٤
- مساعدة المنكوبين..... ٤٠٥
- حرب إعلامية شعواء..... ٤٠٧
- تجنيد الإعلام العربي في هذه الحملة..... ٤٠٨
- القرضاوي داعية الوسطية والاعتدال..... ٤٠٨



- ٤٠٨.....تحريم خطف الرهائن وقتلهم
- ٤٠٩.....سفراء العالم يستعينون بي لإطلاق سراح الرّهائن
- ٤١٠.....الإسلام دين تسامح وسلام
- ٤١٠.....اتهامي بالسّلفيّة التكفيريّة
- ٤١١.....اتهامي بأنّي من علماء السلطة
- ٤١٢.....الثبات على المبدأ والموقف
- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.....٤١٩
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.....٤٤٩
- فهرس الموضوعات.....٤٦١

* * *



